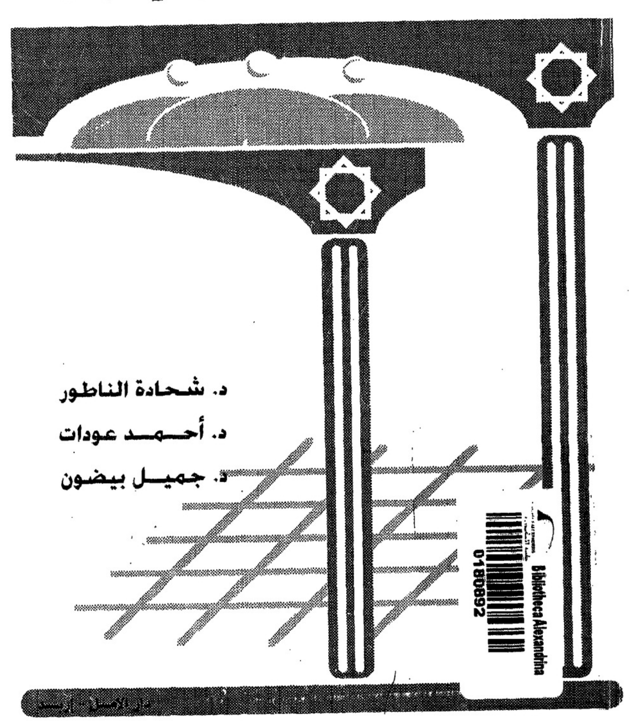
مكتبة الدراسات الاجتماعية

مدخل الى
تاريخ الحضارة العربية والإسلامية



د. شحادة الناطور

د. أحمد عودات

د. جميل بيضون

دار الأمل - إربد

مدخل إلى تاريخ الحضارة العربية والإسلامية

٩ ع ٠
شحاد شحادة الناطور
مدخل الى تاريخ الحضارة العربية الاسلامية /
شحادة الناطور ، أحمد عودات ، جميل مبيضون .ـ
عمان : دار الأمل للنشر ، ١٩٨٩ .
(٣٥٠) ص .
ر.أ (٩٦/٢/١٩٨٩)
١ ـ العالم العربي ـ تاريخ .
٢ ـ العالم الاسلامي ـ تاريخ .
أ ـ أحمد عودات ، مؤلف مشارك .
ب ـ جميل مبيضون ، مؤلف مشارك .
ج ـ العنوان .
تمت الفهرسة بمعرفة دائرة المكتبات والوثائق الوطنية

الطابعـون
جمعية عمال المطابع التعاونية
هاتف ٦٣٧٧٧١-٢ ـ ص.ب ٨٥٧
عمان ـ الأردن

مدخل إلى
تاريخ الحضارة العربية والإسلامية

تاليف

د . شحادة الناطور　　　د . أحمد عودات

د . جميل بيضون

دار الأمل للنشر والتوزيع　　　اربـــد – ص . ب ٤٦٩
تلفون ٢٧٦١٧٤

الطبعة الأولى ١٩٨٩

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الامة العربية الاسلامية أول أمة جمعت بين قوة الايمان وحب العلم فنشرت العقيدة وأقامت حضارة أضاءت الدنيا ، قال تعالى " كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله .. "

لقد آمنت أمتنا بالعلم ، فأصبح الافراد طلاب علم ، من المهد الى اللحد وسافروا في طلبه عبر الصحارى والبحار ، ولأن العلم عندهم أعظم قدرا وأرفع شأنا من كل حسب ومال ،

وانطلق العلماء في البحث مما أدى الى نهضة علمية فتقدمت العلوم وارتفعت واتسعت فشملت شعوبا كثيرة وأجناسا متباينة مما جعل الحضارة العربية الاسلامية حضارة عالمية انسانية .

وبعد ،

نضع بين أيدى اخواننا الاساتذة وأبنائنا الطلاب كتاب " مدخل الى تاريخ الحضارة العربية الاسلامية " ، وهي دراسة تهدف الى القاء الضوء على حضارتنا وآثرها وخصائصها ومميزاتها ثم أثرها في الغرب وعلى النهضة الاوروبية بصورة خاصة .

والكتاب يبين جزءا من كفاح الاجداد في سبيل تعلم العلوم والفنون والآداب من الامم الاخرى ، ثم يظهر حركة الابداع والتقدم الفكري في شتى المظاهر الحضارية السياسية والفكرية والاقتصادية والاجتماعية ، وما وصلت اليه الحضارة العربية الاسلامية من مكانة بين الحضارات العالمية .

ومهما بذلنا ، فسيبقى الكتاب ناقصا ، لان الكمال لله وحده، وأملنا ان لا يبخل الاخوة الزملاء بملحوظاتهم علينا حتى نأخذ بها في المستقبل .

والله نسأل ان يأخذ بأيدينا الى ما فيه الخير والصواب

المؤلفون

١٤٠٩/١٩٨٩ .

الاهداف العامة لدراسة الحضارة العربية الاسلامية :ـ

١ ـ أن يتعرف الطالب على مفاهيم الحضارة العربية الاسلامية : الحضارة، العروبة ، الاسلام ، التراث ، الاصالة .

٢ ـ أن يدرس الطلاب دراسة واعية المظاهر الحضارية للعرب قبل الاسلام: السياسية ، الاجتماعية ، والاقتصادية والفكرية .

٣ ـ أن يدرك الطلاب مدى التفاعلات الحضارية العربية والاسلامية مع الحضارات الهندية والفارسية واليونانية .

٤ ـ ان يتعرف الطلاب على مظاهر الحضارة العربية الاسلامية المتمثلة في المظاهر السياسية والفكرية والعمرانية والاقتصادية .

٥ ـ أن يدرس الطلاب مميزات وخصائص الحضارة العربية الاسلامية ومكانتها بين الحضارات العالمية .

٦ ـ أن يعرف الطلاب أثر الحضارة العربية الاسلامية على الحضارات الاخرى وسبل انتقالها .

٧ ـ أن يدرك الطلاب أثر الحضارة العربية الاسلامية في الحركة العلمية ، والنهضة الاوروبية .

الباب الأول

توضيح المفاهيم والمصطلحات التالية :

أ ـ الحضارة

ب ـ العروبة

جـ ـ الاسلام

د ـ التراث

هـ ـ الأصالة

مفهوم الحضارة :ـ

كلمة الحضارة تلفظ بفتح الحاء أوكسرها وهي مشتقة من كلمة حضر ، واشتقت منها كلمة الحضر ، والحاضرة والحضرة والحضارة ، وكلها تنصب في المعنى اللغوى وهو : الاقامة في المدن عكس البادية والمشتقة من كلمة بدا يبدو " أي ظهر ومن ثم أطلق اللفظ على المكان فسميت البادية ، وهي الاقامة خارج الحضر " المدن أو القرى " (١)

ولفظ حضارة صار يستعمل كمصطلح له معان أخرى اختلف في تفسير معناها من وقت لآخر ومن مجتمع الى مجتمع ٠ فقد وضع ابن خلدون المؤرخ العربي معنى لها في مقدمته ، حيث عد الحضارة غاية العمران ومنتهاه ، خلافا للبادية التي تمثل أول العمران ومبتداه ٠ وفي المرحلة التي يبلغ الناس بها حالة زائدة على الضرورى من أحوال معاشهم تمكنهم من التفنن والترف واحكام الصنائع المستعملة في وجوه الترف ومذاهبه ٠والمباني والملابس والفرش وسائر عوائد المنزل وأحواله وماتستدعية أصناف الصنائع المستعملة من مهارة في العمل (٢) .

أما في العصر الحديث فقد اختلف الباحثون على مدلول كلمة الحضارة فانقسموا الى فريقين :ـ

فريق يرى ان معنى كلمة حضارة ينصب في اتجاه النظم الاجتماعية والثقافية فقد رأى الباحثون الامريكيون والا لمان هذا الرأى وعلى رأسهم ولديورانت كاتب قصة الحضارة حيث يقول : " ان الحضارة نظام اجتماعي يعين الانسان على الزيادة من انتاجه الثقافي (٣) .

(١) ابن منظور : لسان العرب ، مادة حضر
(٢) مقدمة ابن خلدون : ص٢٧٧ ـ ٢٧٩
(٣) ولديورانت : قصة الحضارة ، جا ، ص ٣

كما يرى الالمان نفس الرأى تقريبا حيث ان الحضارة برأيهم : هي الروح العميقة للمجتمع وتقوم على تأكيد الاصالة الروحية والحقيقة الفلسفية والعاطفية للانسان والفريق الثاني من الباحثين وعلى رأسهم الفرنسيين يرون ان الحضارة تضم عناصر أنشطة المجتمع المختلفة من فكرية وتكنولوجية ، ويدمجونها تحت معنى واحد " المدنية " وهي لفظة رديفة لكلمة الحضارة عندهم ٠

نستخلص من ذلك انّ الاختلاف في مدلول كلمة " الحضارة " حيث يرى الفريق الاول أنها تعني المظاهر الفكرية في المجتمع فقط ٠

ويرى الفريق الثاني انها تعني مجموعة المظاهر الفكرية والمادية في المجتمع ٠ ولكن الدراسات الحضارية لاية أمة تثبت ان الفصل بين المظاهر الفكرية والمظاهر المادية والتكنولوجية قد أصبح أمرا مستحيلا لذلك فان هذه الدراسات لحضارة الامم تنصب في الجوانب التالية :-

١ - التقدم العلمي والتكنولوجي ، ومايمثل من نشاط نظرى أوتطبيقي يهدف الى تيسير وتسهيل حياة الانسان على الارض ٠

٢ - التقدم الفني :- والفن عنصر هام ومظهر رائع من مظاهر الحضارة ، وله دور أساسي في تقدير الامم ، وبه يقاس تقدمها ٠

٣ - نظام الحكم ، وطريقة تطبيقه ، وماارتبط به من معاني الحكم الصالح وتطبيق الحريات العامة والعدالة والامن الفردى والجماعي ، ومايتعلق بحفظ الحقوق وما تقدمه من نظم وتشريعات وقوانين تدل تطبيقاتها على مدى صلاحيتها لحفظ حقوق المجتمع ويحقق أمنه ٠

٤ - القيم الروحية والاخلاقية والاجتماعية ، والعادات والتقاليد والتراث وأصالته وكل هذه الامور تحويها ثقافة المجتمع ، التي تحوى كل الامور الروحية

والتي تشكل قاعدة التمييز للمجتمعات المختلفة . رغم ان هذا الامر قد يكون مشتركا بين كثير من الشعوب وذلك بسبب الاختلاط أو التقارب أو التقدم الاعلامي الحالي .

من هذا المنطلق نستطيع أن نعرف الحضارة بأنها : التقدم الروحي والمادي للافراد والجماهير على السواء [(١)] وهي ذات مقومات تقلل من الاعباء المفروضة على الجماهير الناشئة عن الكفاح في الوجود وايجاد الظروف المواتية للجميع في الحياة للوصول الى الكمال الروحي والاخلاقي وهو الغاية القصوى من الحضارة ويمكننا أن نعرف الحضارة بأنها : مجموعة المظاهر السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية لامة من الامم يتناقلها أبناؤها جيلا بعد جيل[(٢)]

وهناك شروط قد تساعد على نمو وازدهار الحضارة أو قد تعيقها وتؤدي الى انحطاطها .

ومن هذه الشروط ماهي ١ - طبيعة جغرافية ، فحضارة البشر الحالية بدأت بعد انتهاء الدور الجليدي الرابع ونحن الآن مابعد الجليدي [(٤)] .

٢ - من شروط الحضارة مناسبة الاحوال الاقليمية لظهور الحضارة ومايؤثر في ذلك من برد قارس أو حر شديد مما يؤدي الى بعث النشاط الفكري والفني والعلمي أو تسبب الخمول وتضعف الانتاج ، والمطر والجفاف يسببان انتعاش منطقة ونمو الحضارة فيها من جهه أو موتها من جهة أخرى وهكذا .

٣ - الموقع الجغرافي على طرق برية أو بحرية مما يؤدي الى نشوء حضارة كما حصل لتدمر والبتراء والمدن الايطالية .

٤ - الشرط الاقتصادي الذي يساعد على نشوء الحضارة أو سقوطها سواء ما كان يتعلق بالزراعة والتجارة والصناعة .

---

(١) البرت شفيستر : فلسفة الحضارة ، ص ٣٤ ترجمة عبدالرحمن بدوي .
(٢) جورج حداد : المدخل الى تاريخ الحضارة ، ص ١٨ .
(٣) جورج حداد المدخل الى تاريخ الحضارة/ مطبعة الجامعة السورة ص ١٧ ومابعدها

٥ ـ النظام السياسي السليم الذى يحمي المجتمع ويساعد على الاستقرار والانتاج

٦ ـ وجود اللغة الوسيلة المثلى للتبادل الفكرى ·

٧ ـ مجموعة النظم الاخلاقية التي تأتي عن طريق الدين أوالمدرسة أوالعائلة توحد الناس بقواعد النظام والتوجيه في السلوك ·

ولاتوجد شروط عرفية للحضارة اذ يمكن أن تظهر في أية قارة وفي أى عرق ، اذ ظهرت الحضارات عند كل جنس ، وفي أية بقعة في العالم لان الحضارة هي التي تكون الجماعة بصفات خاصة تختلف بها عن بقية الجماعات الانسانية

هذه الشروط التي ذكرناها اذا فقدت جميعها أوبعضها فان الحضارة تنهار ، فالحضارة ليست شيئا دائما ، انما يجب أن يحصل عليها كل جيل فاذا انقطع مورده أوتوقف انتقالها بصورة جدية تنتهي ، والانسان يختلف عن الحيوان بالتربية والتعليم أى بعملية نقل الحضارة ·

العروبة :ـ

عاش العرب أكثر من أربعة عشر قرنا حياة مستمرة في مجتمع واحد واستقروا في نطاق هذا المجتمع .

وان الامة أية أمة هي ثمرة عمل طويل في الماضي ، وان هذا العمل الطويل يتمثل أويترجم في وعي أفراد هذه الامة باجماع معنوى يتكون من أمرين أحدهما في الماضي والآخر في الحاضر ، فالامر الاول أوالعنصر الاول هو اشتراك أفراد هذه الامة في ملكية تركة ثرية من التراث ، أما العنصر الثاني فهو اتفاق هؤلاء الأفراد في الحاضر على الحياة معا ، ورغبتهم في هذه الحياة المشتركة وحرصهم على الانتفاع من التراث ، على ان يظل هذا التراث شائعا دون قسمة . وبهذا المعنى فان الامة روح ، أوهي مبدأ روحي ، واذا كانت الامة تفترض ماضيا سابقا على نشوء هذه الامة ، فانها مع ذلك تبدو في الحاضر متمثلة في واقع ملموس : هو الرضا أوالاتفاق أوالرغبة في استمرار الحياة المشتركة التي يعبر عنها أفراد هذه الامة بوضوح .

وهكذا فان تعلق العرب بتراثهم الخاص بمجدهم الماضي واعتزازهم بأصالة الثقافة العربية وتصميمهم على الاستفادة من هذا التراث واضح جدا .

وان اجماع الدساتير العربية على وجود الامة العربية يعد من وجهة النظر الاجتماعية السياسية من قبيل الواقع الملموس الذى يبرز اتفاق الشعب العربي على الحياة المشتركة معا .

ويمكن تعريف الامة بأنها جماعة مندمجة معنويا وماديا لها سلطة مركزية مستقرة ودائمة ، وحدود معينة ووحدة معنوية وذهنية وثقافة بين أفرادها الذين ينتمون برضاهم الى الدولة وقوانينها .

وهناك مقومات تقوم عليها العلاقات بين أبناء الامة العربية نستطيع أن نوجزها بما يلي :-

١ - انتشرت عدة لغات في البقعة العربية ، حيث اختفى بعضها ومات البعض الآخر ولم تبق الا اللغة العربية ، وهي وحدها التي تعكس الروح العربية السامية بأفكارها وأحلامها وانفعالاتها ، وهذه اللغة ليست ملكا لجماعة بل هي ذمة مشتركة يستطيع كل عربي أن يكون له فيها نصيب متساوى مع العرب الآخرين . وكذلك هي لغة الوحي التي لايستغنى عنها أى مسلم .

٢ - الوطن العربي من أسبانيا الى حدود ايران قد نشر خيرات وعظمة حضارة متميزة لعدة قرون ، وطبعت هذه المنطقة بطابعها الخاص .

٣ - حققت الامة العربية وحدتها في العصر الاسلامي ، وتحت نفوذ الاتراك وقامت عدة محاولات لتوحيدها في العصر الحديث ، منها محاولة محمد على باشا وابنه ابراهيم ، ومحاولة النهضة العربية على يد الشريف حسين في بداية هذا القرن الا ان قوة النفوذ الاجنبي حالت دون ذلك .

٤ - من أعظم الطموحات العربية في العصر الحديث هو قيام وحدة للوطن العربي تشمل جميع أقطاره ، وقد ثبت هذا الهدف في دساتير الدول العربية [١] ومن خلال جامعة الدول العربية في اتفاقية الجنسية التي أقرها مجلس الجامعة العربية ١٩٥٢ .

٥ - ان الاسلام قد صبغ العربي المسلم وغير المسلم بصبغة حضارية عربية اسلامية واحدة ، فوحد بين أهدافهم ، وأوجد تفاعلا عقليا ونفسيا فانتظمتهم فكرة واحدة وهدف واحد وذلك التشابه بينهم في الاوضاع الاجتماعية والتشريعية والاقتصادية والثقافية ، وأبرز تلك الملامح المتقاربة

(١) المادة الاولى من الدستور الاردني والسوري والمصرى .

والسمات المتشابهة ٠

٦ ـ العروبة هي حقيقة شعبية حية ، وهذه ولدت في فكر كل عربي وفي كل كيان عربي ان وحدة المصير العربي المشترك هي أمر واقعي أثبتته الاحداث المحلية والعالمية ٠ وهذه الوحدة لابد ان تذيب بعض التناقضات الواقعة حاليا في الاقطار العربية نتيجة أمور عابرة يمكن أن يتجاوزها الوطن العربي بسهولة لما بين أبنائه من صلات وثيقة من دين وعادات وتقاليد ووحدة مستقبل ٠

معنى الاسلام :

انزل الله الاسلام على انبيائه جميعا حيث اكد هذا المعنى على لسان الانبياء في القرآن الكريم فقد جاء على لسان نوح قوله "وأمرت ان اكون من المسلمين " [1] وعلى لسان ابراهيم واسماعيل " ربنا واجعلنا مسلمين لك " [2] وفي قول يعقوب لابنائه " ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون " [3] وعلى لسان موسى قوله " فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين " [4] وفي معرض قوله تعالى عن التوراة " يحكم بها النبيون الذين اسلموا " [5] وعن يوسف قوله " توفني مسلما والحقني بالصالحين " [6] وعن حواريين عيسى " أمنا بالله واشهد بانا مسلمون " [7] وقال الله للمسلين " شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى اوحينا اليك وما اوحينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه " [8] وهناك عدد كبير من الأيات القرآنية التي توضح بان الاسلام دين البشرية .

والاسلام في الاصل معناه الاستسلام لله في امره ونهيه على لسان الوحي. وان القرآن الكريم قد عرض رسالة الاسلام عرضا مجملا شاملا لقوله تعالى :

---

(١) سورة يونس ٧٢ .
(٢) سورة البقرة ١٢٨ .
(٣) البقرة ١٣٢ .
(٤) يونس ٨٤ .
(د) المائدة ٤٤ .
(٦) يوسف ١٠ .
(٧) أل عمران ٥٢ .
(٨) الشورى ١٣ .

" يا ايها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون " وقوله تعالى " ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون " . وقوله تعالى " لقد ارسلنا رسلنا وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط ... " (١)

وان فهم الناس للاسلام ومعناه الشامل قد دخله بعض الشوائب وصور من التشويه المقصود من الاعداء لذلك فان الحاجة ملحة لاعطاء صورة عنه مبرأة من الشوائب والتشويه شاملة لجميع جوانبه واجزائه مع ترابطها وحفظ نسبها ومواقعها (٢) . فهم للاسلام كما فهمه المسلمون الاوائل من الصحابة وان كثيرا من الامثلة تبين لنا صحة هذا القول فلنستمع الى ربعي بن عامر يقول لرستم قائد الفرس في معركة القادسية قبل بدء المعركة بعد ان حاول الفارسي اغرائهم بالمال فكان الجواب " **ماالهذا جئنا ، انما جئنا لنخرج الناس من عبادة العباد الى عبادة الله ، ومن جور الاديان الى عدل الاسلام ، ومن ضيق الدنيا الى سعتها** " (٣).

يدخل ضمن هذه العبارات التحرر السياسي و الاجتماعي وان العبودية لله وحده ، كما تتضمن القضاء على الانظمة الاجتماعية الجائرة واقامة نظام اجتماعي عادل ، كما تجعل للانسان اهدافا ذات اهداف سامية بعيدة عن الاطر الضيقة التي كانت تعيشها البشرية .

---

(١) الحديد ٢٥ .

(٢) محمد المبارك نظام الاسلام العقيدة والعبادة ص ٢٠ .

واننا لو استقرأنا ما كتبه الخلفاء الاوائل الى الولاة لوجدنا الفهم العميق لمعاني الاسلام وتطبيق احكامه العملية في كل المجالات في العبادة والمعاملات والمسؤولية امام الله في تنفيذ الاحكام . لذلك فان الهدف الاسلامي الاصيل هو تجميع عناصره العقلية والعملية والنفسية وجوانبه الايمانية والعبادية والاخلاقية والتشريعية في وحدة مركبة كاملة لتكون المسلم لتقدمه بصورته الواضحة من حيث عقيدته التي يرتكز عليها وتتضمن النظرة العامة الى الوجود التي يدعو اليها ، وعبادته التي هي رياضة العقيدة والمحرك المستمر لاستشعارها.ومن قواعد السلوك في الحياة او نظامه الاخلاقي ، ومن قواعد تنظيم المجتمع و التشريع المنظم للاسرة و للحياة الاقتصادية و للحياة السياسية او الدولة .

بهذه الصور الشاملة نعرف بالاسلام تعريفا صحيحا بعيدا عن التجزئة ، مميزا عن غيره من المذاهب المختلفة وان التقت معه في جزئيات قليلة فالجزئ لا يعني الكل .

ويمكن ان نعرض الاسلام بنظامه الشامل من مصادره الاساسية القرآن والسنة من خلال اربعة اقسام رئيسة :-

١ - **العقيدة الاسلامية** [(١)] : وهي نظره الاسلام العامة الى الوجود ، وهي ما دعا الاسلام الى الايمان بها من خلال الايات القرآنية المتكررة وكذلك بما

---

(١) محمد مبارك نظام الاسلام ص٢٧ وما بعدها .

جهد الرسول (ص) نفسه من اجل تثبيتها في انفس المؤمنين منذ بداية الدعوة ٠

والعقيدة هي الاساس الذى يبني المسلم فكره ، والاساس النفسي لسلوكه ، ومنها تنبثق نظرته الى الحياة الاقتصادية والحياة السياسية ، وان نظم الحياة مشتقة من فلسفته ٠

وبذلك تكون العقيدة الاسلامية هي اللبنة الاساسية في بنائه ، كما انها تتضمن الحقائق الكبرى التي دعا القرآن الى الايمان بها ، وهي تصور الوجود ، وجود الخالق ووجود الكون والانسان والصلة بين الله والكون والانسان ، وكذلك الحياة وما وراءها من حياة اخرى او المصير والجزاء والنبوة ٠

٢ ـ العبادة : وهي الترجمة العملية للايمان ، واذكاء للعقيدة ونقلها الى حيز الاعمال الحسية والمشاعر القلبية ٠

٣ ـ الاخلاق : وهي ركائز السلوك في الحياة فيما بين الفرد ونفسه ، وبينه وبين الناس ، مهما اختلفت علاقتهم به ٠ وان الاخلاق التي يهدف اليها الاسلام بنظامه هي المثالية في التهذيب النفسي التي يلتزم بها المسلم ٠

٤ ـ التشريع او النظام الاجتماعي :ـ

بنى الاسلام للمسلمين بناءا اجتماعيا متكاملا محددا فوضع تشريعا للاسرة ، ونظاما اقتصاديا ماليا محددا من حيث الكسب والانفاق والتكامل والتضامن وحدد مفهوم الملكية ، كما يشتمل الاسلام على نظام سياسي اي نظام الدولة ، ووضع مبادئ عامة للحكم ، محددا العلاقة بين الحاكم والشعب وحقوق المواطن وواجباته ، والعلاقة بين الدولة الاسلامية وغيرها من الدول وقواعد السلم والحرب ٠ كما يشتمل الاسلام على نظام للعقوبات وبذلك يضمن التشريع الاسلامي نظاما متكاملا يتميز به عن غيره من الانظمة الاخرى قديمها وحديثها لذلك سنبحث كلا منها بالتفصيل كي تكتمل الصورة ٠

التـــراث :ـ

كلمة التراث مشتقة من ورث : أي كل ما أخذه الانسان عن الآبـاء والأجداد والاصول . وهذا من حيث المعنى اللغوى أما المعنى الاصطلاحي فله امتداد معنوى أوسع حيث يضم كل عمل أو انجاز انساني خالص أي الامور التي أبدعها الانسان من النواحي العلمية والصناعية والعاطفية . وان للتـراث ثلاثة وجوه : العلوم المختلفة عقلية أو نقلية ، المصنوعات بأنواعها المختلفة والقيم الخلقية أو الجمالية .

لذلك اذا أردنا ان نفصل في معرفة التراث العربي الاسلامي فاننا يجب أن نكون على معرفة جيدة بالامور التالية :ـ

١ ـ العلوم التي تركها الاجداد من حيث نشأتها ومضامينها وتطورها ، سواء كانت علوم عقلية أو علوم نقلية ، سواء مبتدعة أو منقولة .

٢ ـ الصناعات التي انتجها العرب والمسلمون خلال فترة وجود الدولـة الاسلامية ، وتطورها ، واسهام الشعوب المختلفة بها ، ومدى تقدمها .

٣ ـ القيم العليا ، ونظم المعيشة ، والتقاليد والعادات التي سار بها الشعب خلال الفترات المتعاقبة من وجود المسلمين في فترة الازدهار ، أو التقهقر .

ان العلوم والصناعات والقيم التي عاشها العرب المسلمون ماهـي الا منجزات تاريخية لفترة معينة أنجزها شعب لذلك فان التراث هو انجـاز انساني بحت ، وبذلك يكون التراث تاريخي انساني " أما الوحي نفسه فهو الالهي وهو المجاوز للتاريخ ".[١]

---

(١) د . فهمي جدعان : نظرية التراث ، ص ١٩ .

وأما العلوم الدينية واللغة العربية هما اللذان يترتب دمجهما بالتراث لانهما من المبتدعات الانسانية لها قوانينها وتطورها ٠

وبما ان التراث بهذا المعنى ، كل ماأنتجه الاجداد من علوم مختلفة وصناعات قيمة ، وقيم عليا ، فما هي وظيفة التراث وماهو واجبنا نحوه :

ان الواجب الاول يقتضي منا حفظه من الضياع والتشتت لانه عنواننا ونقله الى حالة التثقف العام ، واختيار منه مايضيف الى عملنا الحاضر علما جديدا مفيدا ذا جدوى ليتحول الى تثقيف تراثي عام ٠

وان واجبنا نحو التراث هو القيام بعملية الجمع بينه وبين الواقع الحالي للمجتمع وبين مانصطفيه من مواقف ومفاهيم تراثية تصلح لان تسهم في تدبير حياتنا وأمورنا ونجعلها نمطا سلوكيا أوذهنيا لنا في تفكيرنا وفي فعلنا فنحن يمكن ان نستلهم لحياتنا من التراث موقف العقلانية الذى ساد مع المعتزلة والمتفسلفة المسلمين ، أو مفهوم العدالة التي جسدها بعض الخلفاء ، أوجملة الفضائل الخلقية التي صاغها فلاسفة الاخلاق وبعض المتصوفة ، أوقيمة الحرية التي تعلقت بها بعض الحركات الثائرة على استبداد بعض العصور والانظمة ، أوقيمة الديمقراطية التي تمثلت في الشورى الاسلامية ، أوالمساواة التي أقرها الدين وانعكست في سياسة هذا الحاكم أوذاك[1]

هذه المبادىء هي من المبادىء المركزية في تراثنا العربي الاسلامي والتي يجب أن نأخذ بها الآن وفي كل زمان ، وأن الاخذ بها يعبر عن تعلقنا بتراثنا الذى نشركه في تشكيل حياتنا الراهنة وتصوغ حياتنا الحالية والمستقبلية ٠ لان القيم التي تركها تراثنا وهي مناسبة لروح العصر الذى يعتمد على العقل والثورة والديمقراطية والعدالة وهي ذات المبادىء التي

(١) د ٠ فهمي جدعان : نظرية التراث ، ص ٢٦ ٠

ذكرناها سابقا ، واذا استلهمنا هذه المبادىء نكون قد بعثنا قيما تراثية خالدة ، مناسبة لحلول مشكلات الواقع الذى نعيشه ،

لذلك نستطيع أن نجمل وظائف التراث بما يلي :ـ

١ ـ التسلح بالارث الحضارى الضخم الذى بناه العرب المسلمون تسلحا معنويا بهذا التراث أمام التعاظم الغربي بحضارتهم الحالية لانها ذات مرتكزات عربية اسلامية لما كان من تأثير للحضارة العربية خلال عصر النهضة على أوروبا مما يضعف عقدة النقص ، ويؤدى بالتالي الى التحرر من الهزيمة النفسية التي تعيشها المجتمعات الاسلامية •

٢ ـ الفائدة العلمية الموجودة في التراث مثل : علوم العقيدة والفقه واللغة والعلوم النظرية • وكل هذه العلوم وهي علوم مازال استعمالها واردا لما فيها من حلول لقضايا عصرية نعيشها •

٣ ـ القيمة الجمالية للتراث التي مازالت محتفظة بعلو درجتها وروعتها وعلى سبيل المثال مازلنا نتذوق شعر المعلقات وشعر ابن أبي ربيعة والبحترى والمتنبي ، وأدب الجاحظ ، ولربما نتذوقها ونستمتع بها ونستلهم معانيها بما يزيد عن القصائد المعاصرة ، هذا بالاضافة الى مأبدعه الفنانون المسلمون في الموسيقى والرسم والمصنوعات الجمالية والزخرفة وفن البناء •

وأخيرا ماهو واجبنا نحو التراث ؟

بما أن للتراث فعالية قوية عند دمجه بحياتنا الراهنة من النواحي المختلفة فان واجبنا الاول هو انجار تراث جديد نضيفه الى ماتبقى من عناصر تراث الاجداد لنورث تراثا جديدا الى الآتين من الاجيال القادمة •

الأصالة :

مشتقة من أصل ، والاصل مايقوم على أساسه الشيء الثابت . كما تعني الحسب [1] .

ويقصد بالاصالة هي الاساس الذى تقوم عليه الحضارة العربية الاسلامية

فمفهوم الاصالة للحضارة العربية يعني ذلك التراث العربي الاسلامي الضخم الذى خلقته الامة العربية في القرون الوسطى ، والذى أصبح عنوان مجدها ورمز مدنيتها ، ودليلا صادقا على مبادئها ، وحجة قوية أن أمتنا العربية لم توجد من العدم [2] .

ومعالم الاصالة العربية الاسلامية :

١ ـ العقيدة الاسلامية وماتفرع منها من العلوم الشرعية : كالتفسير والروايه والتشريع ، والفقه ، والمناظرة والجدل ، وعلوم القرآن ، وعلوم الحديث والتاريخ والجغرافية والعلوم اللسانية : أدب ، نحو ، صرف ، بلاغة ، خطباء شعراء ، وكتاب ، .... الخ .

٢ ـ المبتكرات العلمية التي انتجها مفكرو الاسلام : كالهندسة والجبر والمثلثات ، والفلك ، والطب ، والصيدلة ، والجراحة ، والبيطرة ، وعلم النبات ، وعلم الفلك والعمارة ، وبناء المستشفيات وكليات الطب ... الخ .

٣ ـ البدائع الفنية التي أنتجتها العقول والايدى العربية ، كبناء المدن والقصور والمساجد ، والمدارس ، والجامعات ، والميكانيك ، والحرف ، الخ .

٤ ـ النظم الاسلامية المختلفة التي وضعها العرب لدولتهم أثناء حكمهم

---

(١) انظر : ابن منظور : لسان العرب ، مادة أصل . الرازى : مختار الصحاح ، مادة أصل .

(٢) ناجي معروف : أصالة الحضارة العربية ، ص ١٦٣ .

الطويل وهي تشمل :

أ ـ النظم الدينية وتهدف الى دعم فكرة التوحيد ورفع مستوى الفرد الخلقي بالعبادة والجهاد والثقافة الشرعية .

ب ـ النظم المالية والاقتصادية : وتهدف الى تنظيم المواد الثابتة للدولة للانفاق على المشروعات الاجتماعية والعلمية والمصالح العامة وفي سبيل الله .

ج ـ النظم الثقافية : وترمي الى نشر العلم وبث الفضيلة ، وانشاء دور العلم والعناية بالعلماء .

د ـ النظم العسكرية : وتهدف الى اقرار السلام وتحاشي الحروب وايجاد قواعد السلم والحرب واحترام المعاهدات والمواثيق .

هـ ـ النظم الادارية : وترمي الى ادارة الدولة بواسطة العمال والولاة والدواوين والمؤسسات الادارية المختلفة ، كالبريد ، والحسبة ، والشرطة ...الخ .

و ـ النظم القضائية : ويراد بها البحث في أصول القضاء ، وتعيين القضاه والفتاوى ....

ز ـ النظم السياسية : وتشمل قواعد الحكم في البلاد الاسلامية ، كالخلافة وطريقة الانتخاب ، والوزارة ، والحجابة ، والعلاقات الدبلوماسية ..الخ .

ح ـ النظم الاجتماعية : تظهر قواعد الاسلام لرفع مستوى الفرد في المسكن والمأكل والمشرب ، والضمان الاجتماعي .

٥ ـ مبادىء الاسلام الانسانية التي قامت على تكريم الانسان وانقاذه من الرق والعبودية ، ورفعة الى المكانة التي تليق بانسانيته ، وغرس الفضيلة والكرامة والعزة وبث الحرية والعدالة الاجتماعية ، والاخاء والمساواة ، والسجايا الحميدة والاخلاق الفاضلة وكريم الخصال ، واشاعة المحبة والدعوة الى الايثار والتضحية ونبذ البغض والغل والحقد والتحاسد ، والنهى عن الترف والظلم والاعتداء على

الآخرين ٠

٦ ـ النظرة الشاملة الى الدين والدنيا كأمرين متلازمين لايفترقان فالاصالة العربية تجد في الاسلام جامعا بين مطالب الدنيا والآخرة ، فلايدع الى الترهب والحرمان ولا الى التزمت ، بل دعا الانسان الى العمل للافاه من طيبات الدنيا وخيراتها ، والتزود للآخرة بالتقوى والعمل الصالح ٠

فهذه هي معالم الاصالة في الحضارة العربية التي تجعل منها أصلا وأساسا لحضارتنا وتميزها عن غيرها من الحضارات القديمة والحديثة ٠

الباب الثاني

دراسة المظاهر الحضارية في الجزيرة العربية والمناطق المحيطة بها قبل الاسلام ٠

- المظهر السياسي (،اليمن ، كنده ، الغساسنة ، المناذرة ، مجتمع القبيلة)
- المظهر الاجتماعي (الانساب ، الزواج ٠
- المظهر الاقتصادي
- المظهر الفكري

العـــرب قبـل الاســـلام :

العـــرب

أقـدم النصـوص الكتابيـة التي أشارت الـى العـرب ، هـي النصـوص الآشوريه التي يعـود تاريخهـا الـى سنة ٤ ٨ ق٠م ٠ حيث ذكرت هذه النصـوص ان القبائـل العربيـة كانـت تهاجـم ارض مابين النهريـن والشام وكانـت تنتقل فـي الباديـة الواسعـة لاتعترف بفواصـل ولابحـدود فتقيـم حيث الكـلأ والمـاء والمحل المناسب الـذى يلائـم طبعهـا (١) ٠

وكلمـة عـرب مم اشتقت ؟ فاذا عدنـا الـى المعاجـم العربيـة نجـد ان أصحابهـا مقتنعيـن بان كـل اسـم من أسمـاء القبائـل العربيـة يعـود أساسـا الـى جدهـا الاعلـى ، فالقبائـل الاراميـة يرجع فـي اعتقادهـم الى " ارم بن سام بن نـوح" والاشوريـون يرجع الى اسم جدهـم " آشـور بن سـام " وسام هذا فـي اعتقاد هـؤلاء هـو ابن نـوح واليـه ينتسـب العـرب ، فالعـرب حسب هـذا التقسيـم من الشعـوب الساميـة ٠

ولكـن هـؤلاء لـم يجـدوا في المصادر ابنـا لسـام اسمه عـرب بل وجـدوا ان الشعـوب العربيـة القديمـة عرف فـي التاريـخ العربـي بالعـرب العاربـة ٠ عـاد وثمود ، وطسـم ، وجديس ٠ سمـوا عربـا لانهم كانـوا يتكلـمون باللسـان العربـي بطـلاقـة واستشهـدوا علـى ذلـك بأن الاعـراب في اللغـة حسن التعبيـر ٠

---

(١) الدكتور جـواد علـي : تاريخ العـرب قبل الاسلام : ص ١٢٤ : ج ١ القسـم السياسـي ٠

وقد ذكروا ايضا ان اول من انطلق لسانه بلغة العرب هو عمليق او عربب او هو " يعرب بن قحطان " .

ومن هنا أطلق هذا الاسم - العرب العاربة - على الذين تكلموا بهذه اللغة من سكان الجزيرة العربية القدامى [1]

ويقول هشام بن محمد السائب أحد النسابين :
جزيرة العرب تدعى " عربه " ومن هنا سمي العربي عربيا ، كما قيل للهندي : هندي ، وللفارسي : فارسي [2] .

كما ان المستشرقين أرجعوا لفظة عرب الى أصلها السامي والذي معناه " البادية " وقد استشهد على ذلك بان كلمة " الاعراب " في القرآن تعني البدو [3] . ولكن كلمة الاعراب تعني البدو من العرب أو من غيرهم على ان البلاد العربية لم تكن جميعها بادية حيث كانت أجزاء منها حافله بأنواع الزراعة والقصور قبل عهد الجفاف ، ولنذكر في هذا المجال مدينة ارم ذات العماد - التي وصفت بأفضل الصفات من حيث البناء والمزارع ولاننسى انها كانت في موقع جاف حاليا ، مما يدل على ان تلك المنطقة لم تكن جافه .

---

(١) الطبرى : جـ ١ : ص ٢٠٧ تاريخ الطبرى
(٢) مادة عرب - اللسان ومعجم البلدان لياقوت جـ ٦ ، ص ١٣٨ .
(٣) فيليب حتى : تاريخ العرب : جـ ١ ، ص ١٦٩ - ١٨٤ .

أما متى أطلق العرب على أنفسهم هذا الاسم فان أقدم نص شمالي وردت فيه كلمة عرب هو نص " امرىء القيس بن عمرو سنة ٣٢٨م وهو الكتابة التي وجدت على قبر امرىء القيس في النمارة ٠

وأما عرب الجنوب فان كلمة عرب لم ترد في نصوصهم بمعنى القومية الخاصة وانما وردت كلمة أعرب أو عراب مثل اعراب - ملك حضرموت - واعراب ملك سبأ ٠

ويظهر ان أول من خصص الكلمة علما لقومية سكان الجزيرة هو الرسول صلى الله عليه وسلم ٠ (١)

وأما علاقة العرب بالساميين فاننا نتيجة البحث في المصادر العربية القديمة انه لم ترد في كتاباتهم ذكر السامية والساميين " كما ان النصوص الكلدانية أو اليونانية لم تذكر اسم السامبن ٠

ولكن السامية اصطلاح حديث يرجع الى القرن الثامن عشر الميلادى· ولذلك فان كلمة عربي وعرب هي أقدم من كلمة سامي ٠ ونستنتج من النصوص التاريخية ان كلمة عربي نعت لامه فتقدم تاريخها وان اسم سامي أعم من اسم عربي ، وقد جاء في لسان العرب " ان كل من سكن بلاد العرب وجزيرتها ، ونطق بلسان أهلها فهم عرب (٢) وبذلك بكون كل من سكن

---

(١) د ٠ جواد علي : تاريخ العرب قبل الاسلام : جـ١ ص ١٦٩ - ١٨٤ ٠

(٢) ابن منظور ، لسان العرب : مادة عرب ٠

الجزيرة العربية فهو عربي وان لم يكونوا أصلا من العرب حيث سكن الجزيرة أجناس مختلفة تكلموا بلسان أهلها فأصبحوا عربا بطول الاقامة والتوالد • أما المكان الذى سكن به العرب قبل الاسلام فانه كان يضم شبه الجزيرة العربية والهلال الخصيب وقد ضم اليها الجغرافيون العرب شرقي النيل [(1)] ، حيث ان المؤرخين العرب مقتنعون بوجود العرب في شمال مصر من أقدم العصور [(2)] ، حيث ان العرب قد سادوا في القسم الشمالي الشرقي من وادى النيل قبل الاسلام ، وقد استطاع هؤلاء أنفسهم ان يسودوا مصر بعد الاسلام ويعربوا الحضارة المصرية • وأما العرب اليوم فانهم يقطنون بقعة جغرافية تضم جميع دول الجامعة العربية ، وذلك بعد ان عرب المسلمون مناطق شمال افريقية من مصر الى المغرب العربي وموريتانيا حيث ارتبطت هذه البقعة مع الجزيرة العربية الام بروابط اللغة والثقافة والتاريخ المشترك والمصير الواحد فتشكل الوطن العربي الحالي وذلك نتيجة التعريب خلال فترات التاريخ الاسلامي وسيادة الحضارة العربية الاسلامية ومع اختلاط الانساب ، وحركات السكان الدائمة بين مناطق الدولة الاسلامية الواحدة ، والتي كانت امتدادا للهجرات العربية قبل الاسلام ، ويعتبر المؤرخون ان أهم الهجرات العربية وأبعدها أثرا في التاريخ هي تلك التي تمت في القرن السابع الميلادى بسبب قيام الاسلام والهدف نشر الدعوة في أقطار العالم •

---

(١) ياقوت : معجم البلدان : مادة مصر •

(٢) ابن خلدون : التاريخ : جـ١ ، ص ٢٨ ، ٤٢

أحوال العرب السياسية قبل الاسلام :

لقد سيطر الجفاف على الجزيرة العربية منذ فترة طويلة عدا بعض أجزائها ، حيث كانت تتساقط فيها الامطار ، مما أدى الى الاستقرار ونشوء المدن والدول ذات الحضارات التي اتسمت حياتها الاقتصادية امابالزراعة أو التجارة أوالصناعة ، وأشهر المناطق التي عرفت هذا النموذج من الحياة هي اليمن في الطرف الجنوبي من الجزيرة ، كما نشأت بعض المدن في أطراف أخرى • لذلك درج المؤرخون على تقسيم سكان الجزيرة الى قسمين ، عرب الشمال وعرب الجنوب ، حيث كان معظم أهل الشمال يشتغلون بالرعي أو التجارة بسبب الطبيعة الصحراوية التي سادت منطقتهم • بينما عرب الجنوب كانوا يعملون بالتجارة والزراعة والصناعة أحيانا •

عرب الجنوب (اليمن) :ـ

سبق ان قلنا ان عرب الجنوب ، وبسبب موقع منطقتهم في مهب الرياح الموسمية وتساقط الامطار الكافية للزراعة وموقع المنطقة التجاري مما أدى الى تقدم الصناعة ، لذلك وجدت منذ عهود مبكرة قبل الميلاد مجتمعات متحضرة ، أقامت مدنا ، كما أقامت السدود وأنابيب الري المعتمد على جر المياه باقنية خاصة ، وكان من أشهر تلك السدود سد مأرب وهو من أشهر السدود في التاريخ القديم •

وقد نشأت عدة دول في اليمن كانت تسمى بأسماء القبائل السائدة

عليها وكان من أقدمها :-

دولة معين :-

كانت منطقة نفوذها في شمال اليمن ، وعاصمتها قرنا ، والتي دعيت معين فيما بعد . وبداية شهرة المدينة كانت لموقعها التجاري في طريق القوافل نحو الشمال حيث امتد نفوذ نشاط معين التجاري حتى شمالي الحجاز ، وقد امتد نفوذ دولة معين حوالي ستة قرون من القرن الثالث عشر وحتى السابع قبل الميلاد [1] ، وقد نشأ على انقاضها بعد أن دب الضعف فيها دولة عربية أخرى وهي :

دولة سبأ :-

كانت عاصمتها مأرب ، وقد تميزت هذه الدولة بنفوذها وتقدمها الحضاري ، وقد تحدث عنها القرآن الكريم في سورة سبأ ومن خلال الاحداث التاريخية يرى المؤرخون ان سبأ اليمن هي ذاتها التي ورد ذكرها في الآيات السابق ذكرها ، ويرى المؤرخون أيضا ان مملكة سبأ ليست هي ذاتها التي وصل اليها النبي سليمان حيث ان مملكة سليمان لم تمتد قط الى الجزيرة العربية .

وقد حاولت الدولة الرومانية ان تهاجم سبأ الا انها فشلت في السيطرة عليها بسبب المقاومة التي أبداها السبأيون حيث كانت الدولة

(1) د . جواد علي : تاريخ العرب قبل الاسلام جـ1 ، ص 380 .

في ذروة قوتها . وبسبب أحوال الارض حيث كان العرب يقاتلون على أرضهم وقد بلغت دولة سبأ ذروة التقدم والتحضر في التاريخ العربي القديم بتجارتها التي سيطرت بها على الطريق البرى والبحرى وكانت مناوئة لروما بعظمتها في ذلك الحين ، كما انها اهتمت بالزراعة وبطرق الرى ، وكانت تحوى عاصمتهم أعظم سد في حينه وهو سد مأرب الذى نسجت حوله الروايات الخرافية لعظمته ودقة صنعه ، الاانها أخذت تضعف ويأفل نجمها لتحل محلها وترثها أحد قبائلها القوية وهي قبيلة حمير والتي كانت من القبائل السبأية .

دولة حمير :

لم تبلغ دولة حمير قوة سبأ ولاامتدادها أونفوذها التجارى ورغم ذلك فقد ازداد عليها الضغط البيزنطي ، من الناحية الاقتصادية وبالتهديد السياسي وبجيش من المبشرين ورجال الكنيسة وبدولة الاحباش المجاورة لليمن ، والتي كانت ذات صلات دينية وسياسية مع البيزنطيين ، حيث حقق المبشرون نجاحا في أطراف اليمن مثل نجران ، وقد استطاع أحد المبشرين ان يجعل أحد ملوك اليمن نصرانيا حوالي سنة ٣٠٤ م . وقد تنصر بعد ذلك أحد ملوك اليمن المدعو عبد كاليل في النصف الثاني من القرن الرابع الميلادى حيث دان الملوك بعده بالنصرانية وحتى أوائل القرن السادس الميلادى ويظهر من الروايات التاريخية ان أحد نبلاء اليمن وهو ذو نواس وهو من الحميريين قد اعتنق اليهودية ونكل بالمسيحيين وبلغ ذروة التنكيل والقتل ، بمذابح الاخدود التي وردت بالقرآن الكريم ، الا ان بيزنطة أوعزت الى ملك الحبشة المسيحي ان يرسل جيشا لاحتلال اليمن حيث احتلوا اليمن وقضوا

على ذي نواس وأسرته اليهودية ، وحاول الاحباش مد نفوذهم على بقية اليمن والقضاء على الحميريين نهائيا واستطاعوا ذلك ، الاانهم لم يستطيعوا السيطرة على مكة المكرمة بحملة الفيل سنة ٥٧٠ م ٠ وهي السنة التي ولد فيها محمد صلى الله عليه وسلم ٠ واستطاع اليمنيون فيما بعد ان يتحرروا من الاحباش بمساعدة الفرس ، حيث كان نفوذ هؤلاء ضعيف وكانت اليمن ممزقة الولاء وفي فوضى سياسية مما سهل دخولها في الاسلام كما سنرى ٠

أحوال شمال الجزيرة العربية :-

طابع الجفاف هو الطابع المميز لشمال الجزيرة العربية ، وهي تحويل تحوى رقعة واسعة من الارض المحاطة بالمياه من جهات ثلاث وبالرمال صعبة المسالك من الجهة الرابعة مما ساعد على صعوبة غزوها من الدول الكبرى في حينه مثل الفرس والروم ، وهذا طبعها بطابع الاستقلال المستمر ، هذا اذا استثنينا منطقة ضيقة في الجنوب والتي تميزت بالخصب كما أسلفنا ، وهذا جعل سكان الجزيرة يعيشون في نمطين من المعيشة واحد مستقر وآخر بدوي ، على أساس هذا التمايز

روى العرب أنهم ينحدرون من أبوين :
أحدهما قحطان وكان يعيش في الجنوب والآخر عدنان وقد عاش في الشمال

كان نمط الحياة عند عرب الشمال على الاكثر نمطا بدويا ، وقد

بلغ من تأصل القبلية وعمقه انه لم يقتصر وجودها على البادية فحسب بل تعداها الى الحواضر على قلتها وتناثرها في الصحراء المترامية ، فنجد ان كل مدينة كانت تقسم في داخلها الى أحياء سكنية ، ويسكن كل حي قبيلة ونتيجة ظروف الجزيرة قامت بين القبائل المختلفة حروب طويلة وصار الغزو عادة . كما قامت أحلاف بين القبائل كان لها أثر كبير في الحياة السياسية في الجزيرة العربية . الى جانب النظام القبلي ـ والقبيلة كانت تمثل كل منها دولة أيضا مثل مكة ، يثرب ، الطائف .

وفي هذا المقام لابد من ذكر الاوضاع في كل من مكة ، يثرب لما لهما من تأثير في نشر الاسلام باسم الجاهلية ويظهر ان هذه التسمية قد اشتقت من جهل العرب بالتوحيد وضلالتهم في عدم اتباع شرائع دينية ومن التكبر وسرعة الغضب ، وتاريخ الجاهلية لنا شبه مجهول تكتنفه كثير من الاخبار الاسطورية ، وحتى مكة معلوماتنا عنها فيها كثيرا من الغموض وأول ماظهرت هذه المدينة لموقعها الجغرافي الهام في طريق القوافل بين اليمن والشام والمصادر العربية تذكر بأن النبي ابراهيم قد سكن مكة وترك فيها ابنه اسماعيل بين قبيلة جرهم التي سبقت ابراهيم ومن ثم تزوج اسماعيل من تلك القبيلة حيث تحدرت قبائل العرب من اسماعيل وهناك بشر ابراهيم وابنه اسماعيل بديانة التوحيد ، وابتنى ابراهيم أول بيت للعبادة عرف باسم الكعبة التي أخذ الناس يحجون اليها ولعل ابراهيم كان قد تزوج من قبيلة جرهم العربية وانجبت له ابنه اسماعيل ، حيث بقي عند اخواله ، ليبشر بديانة التوحيد ، وكان ابراهيم يزور ابنه ، وكانت اقامة الكعبة هو الذى منح مكة اسمها الاصيل الذى

تطور عنه اسمها الحالي ٠

ازدهرت مكة مع الايام ، حيث ثار النزاع حولها ، وقد سيطرت عليها خزاعة من جرهم ، وبعد زمن استطاعت قريش طرد خزاعة لتسيطر عليها بقيادة قصي بن كلاب ، ولعل ذلك حصل في النصف الثاني من القرن الخامس الميلادى ٠ ونظم قصي شؤون مكة ، ومنذ أيام قصي أخذ القرشيون يمارسون التجارة بشكل نشط للغاية ، حيث كان يوجد في مكة سوق داخلي ، وتجارة خارجية ، قد تكون عالمية بمقياس ذلك الزمان وكان أهم أسواقها : عكاظ ، وذو المجنة ، وذو المجاز ، وكانت تعقد هذه الاسواق مدة لاتقل عن شهرين من شوال وحتى بداية الحج ، والواقع ان هذه الاسواق قد شهرت مكة ورغبت الناس في زيارتها حيث كان السوق موسم البيع والشراء ، وانشاء القصائد والتفنتع بالجوارى ، وشرب الخمر ، والدعاية والتبشير وحل الخصومات واقامة المحالفات ، وقد ساعدت الاسواق قريش من السيطرة على شمال الجزيرة العربية وتوحيد لغتها ، وكانت قريش قد مدت تجارتها نحو القبائل والدول الاخرى وعقدت تحالفات معها سميت بالايلاف ، فكانت رحلة الشتاء والصيف ، وكانت القوافل المكية ضخمة تمثل مكة كلها وكان يقود هذه القوافل أكثرهم مالا وبضاعة وشجاعة ومكانة (١)

وقد ورث قصي ابيه عبدالدار شؤون مكة الا ان عبدمناف نازعه السيادة فانشقت قريش الى قسمين آل عبدالدار وألف حلف الاحلاف ، وآل عبدمناف

---

(١) الازرقي : أخبار مكة ، جا ، ص ١١٢ ـ ٠٠٣

بزعامة عبد شمس باسم حلف المطيبين حيث تقاسم كل من الحلفين السيادة في مكة • وقد زادت شرور آل عبد شمس وطغيانهم على الناس وأهل القبائل حيث ظهر حلف جديد حضره الرسول محمد (ص) وكان لهذا الحلف أثر كبير في نفسه وكان من الثورات الاصلاحية ضد طغيان أهل مكه ، حتى قال الرسول (ص) بعد نزول الرسالة عليه ذاكرا حلف الفضول " لقد شهدت في دار عبدالله بن جدعان حلفا ماأحب الي به حمر النعم ، ولو أدعى به في الاسلام لأجبت " (١)

أما يثرب فقد كانت محطة لقوافل التجار ، وقد كان لها ماضيا زراعيا له شأنه حيث الماء الوفير والمزارع الواسعة والارض الرحبة ، وقد بدأ تاريخها السياسي منذ القدم حيث سكنها شعوب من العرب البائدة مثل الثموديين والعماليق واللحيانيين حوالي ٢٠٠٠ ق•م ، وقد سكنها الاوس والخزرج على أثر تصدع سد مأرب في اليمن حيث شكلوا دولة لهم منها وكان ذلك حوالي ٥٢٠ م • وقد سكن الى جانبهم اليهود الذين كان لهم تسلط على اقتصادها عن طريق الربا • والسيطرة على بعض مزارع المدينة ، وأما عن العلاقات بين الاوس والخزرج من جهه وبين اليهود من جهه أخرى ، فقد كانت على الاكثر علاقات عداوة ، وقد استعان عرب يثرب على اليهود بعرب الشمال ، وان ملك غسان جاء من الشام ليقضي على رؤساء اليهود (٢) كما ان اليهود استطاعوا ان يؤججوا الخلاف بين الاوس والخزرج (٣) وبعد يوم بعاث شعرت القبائل العربية في يثرب

(١) ابن هشام : جـ١ ، ص ١٣٠ ـ ١٣٨
(٢) أبوالفرج الاصفهاني : الاغاني ، جـ١٩، ص ١٠١
(٣) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، جـ١ ، ص ٦٧١ •

انها بأمس الحاجة الى الاتحاد ٠

نظام القبيلة فى العصر الجاهي : نشأ عن طبيعة جزيرة العرب وحتمية انتقال العرب وراء الماء وطلبا للكلأ ، نشأ النظام القبلي كضرورة اجتماعية وحيوية ، فتنقلوا في جماعات وعشائر لتوفر لافرادها الحماية والامن ٠ وقد بلغ من تأصل هذه القبلية وعمقها اذ لم يقتصر وجودها على البادية فحسب بل تعداها الى الحواضر على قلتها وتناثرها في الصحراء المترامية ، فنجد ان كل مدينة كانت تنقسم في داخلها الى احياء سكنية ، يسكن كل حي قبيلة ، وحتى ان ذلك استمر بعد ظهور الاسلام ونتيجة لظروف الجزيرة العربية القاسية ، وقلة الماء والكلأ ، كانت تضطر هذه القبائل الى الترحال اذا اجدبت منطقتها لتبحث عن موضوع آخر يتوفر فيه مايريدون ، فتصطدم مع القبائل الاخرى مما ولد بينهم الغزو وهذا بدوره ولد عداوات وحروب طويلة بين مختلف القبائل العربية ، لذلك كان الفتى ينشأ على الفروسية ٠

فكان مما انطبع به الفتى العربي اهتمامه ببطولته واظهار لفروسيته [1]، وكانت القبيلة وحده قائمة بذاتها ينتسب أفرادها الى جد واحد على الاكثر يحكمها شيخ ينتخب غالبا انتخابا من بين الجماعة المسنين الذين يتصفون بصفات واجبة في قيادة القبيلة في ذلك الزمن وكان أهمها السن ، الرأى ، الشجاعة ، والكرم ، المال ، التجربة ٠

وكان لشيخ القبيلة مجلس استشاري ، وعلى الاكثر كان يشاورهم في أمور القبيلة ، وقد سمي هذا المجلس أحيانا بالملأ مثل الملأ المكي

(١) عبد العزيز الدوبري : مقدمة في تاريخ صدر الاسلام ص ٤٩ ٠

وهو مجلس الوجهاء من أهل مكة الذي كان رئيسه أميز من فيه وهو مع ذلة مقيد برأي المجلس ، وهذا يدلنا على ان شيخ القبيلة أورئيسها لم يكن ليخرج عن رأي الاكثرية -وقد اشتهر العرب بعلم الانساب لما كان للقبيلة من أهمية في حياتهم ، وكان النظام القبلي نظام اقتصادى سياسي اجتماعي . أي انه يجمع صفات الدولة القائمة بذاتها ولكن دون حدود ثابته بسبب الظروف البيئية كما أسلفت سابقا .

مملكة كنده

تنسب قبيلة كنده الى ثور بن عفير ..... حيث يصل نسبهم الى كهلان بن سبأ وثور هو (كنده)[1] .

تأسست مملكة كنده في النصف الثاني من القرن الاول قبل الميلاد حيث امتد نفوذها من شمال الجزيرة العربية الى جنوبها مع أحلافها الان مملكة سبأ وذى ريدان قد تغلبت عليها فأصبحت خاضعة لتلك المملكة

كانت مواطن كنده الاصلية بجبال اليمن من جهه حضرموت [2] ومن أشهر ملوك كنده حجر آكل المرار الذي اعتبر أول ملوكها لما قام به من اصلاح بقومه وساسهم أحسن سياسة وانتزع من اللخميين ماكان بايديهم من أرض بكر بن وائل .

---

(١) ابن حزم : حميرة : أنساب العرب ، ص ٦ ٣

ابن خلدون : التاريخ : جـ٢ ، ص ٢٧٦

(٢) ابن خلدون : التاريخ : جـ٢ ، ص ٢٧ .

وهو اول ملك من ملوك كندة ، واول زعيم من زعمائها استطاع توحيد صفوفها ومن تغليبها على قبائل اخرى ، ومن توسيع رقعة اراضيها حتى بلغت حدود مملكة لخم . وقد توفي حجر في بداية القرن السادس الميلادي . وقد تولى الملك بعد حجر ابنه عمرو الملقب بالمقصور وذلك لان ملكه قصر عن ملك ابيه ، ولم يكن له نفس همته ، حيث ثارت عليه ربيعة لانها ارادت التخلص من حكم كندة لها . وكان ملك عمرو بن حجر قصيرا . ثم انتقل الحكم الى ابنه الحارث وقد استطاع هذا ان يجمع الى ملكه ملك الحيرة وآل لخم في الفترة ما بين ٥٢٤هـ - ٥٤٨م . وكان سبب نجاح الحارث في التغلب على الحيرة ، هو اهمال ملك الفرس لشؤون الحيرة ، وانتشار آراء مزدك الهدامة في المملكة ، الا ان كسرى انوشروان استطاع اعادة المنذر بن ماء السماء الى الحيرة حيث خرج منها الحارث بن عمرو هاربا الى بني كلب ، الا ان بني تغلب استغلوا الموقف وانتهبوا ماله واسروا من قومه جماعة بينهم ابناؤه عمرو ومالك فقتلوا مع الآخرين . وقد قسم الحارث ملكه بين ابنائه . اما الحارث نفسه فقد قتل على يد ملوك الحيرة (١) وقد بقي ابناؤه من بعده يقاتلون ملوك الحيرة انتقاما لابيهم . كان الحارث بن عمرو من الرجالات العظام الذين لعبوا دورا بارزا في السياسة المحلية ، وتعدى دوره الى العالم المجاور ، حيث عقد الامبراطور البيزنطي معه صلحا لتأمين المدن السورية من هجمات كندة .

ذكرنا ان ملك الحارث قد قسم بين ابنائه حيث كان نصيب حجر بن الحارث قبائل اسد وكنانة ، وكان هذا مكروها من بني اسد بسبب كثرة

---

(١) اليعقوبي : التاريخ ج١ ص٢١٧ .

الضراشب ، ولما رفضوا هاجمهم بجيش ضخم ، ورغم تغلبه عليهم ، فقد هاجم بعضهم معسكره وقتلوه ونهبوا معسكرة .

وقد أعطى شر جبيل بن الحارث المنطقة الشرقية من مملكة أبيه كما أعطى سلمه بن الحارث ملكا على تغلب وماجاورها وقد استطاع ملك الحيرة ان يوقع بين الاخوين بالدسائس حتى تحارب الاخوان وقتل شر حبيل كما أخرج سلمه عن حكمه وقتل .

امريء القيس بن حجر :-

يذكر الرواه ان حجر بن عمرو حين طعن أوصى لابنائه بأن يأخذوا بثأره ، فاحجموا جميعا عن ذلك عدا أصغر أولاده امريء القيس ، فوجده رسول حجر مع نديم له يشرب الخمر ويلعب بالنرد . فاخبره بمقتل أبيه وكان امريء القيس الشاعر المشهور قد طرده أبوه لقوله الشعر فطاف بأحياء العرب مع أصدقائه يشرب الخمر وتغني له القيان ، وعند قتل أبيه كان في أرض اليمن ، فقال عندما سمع عن ذلك ، قوله المشهور ضيعني صغيرا وحملني دمه كبيرا ، لاصحو اليوم ولاسكر غدا ، اليوم خمر وغدا أمر ...... والى الا يأكل لحما ولايشرب خمرا ولايدهن بدهن حتى يدرك ثأر أبيه [1] .

سار امريء القيس مع جماعة من تغلب وبكر الى ديار بني أسد

---

(1) الاغاني للاصفهاني : دار الكتب : جـ٩ ، ص٨٧ ـ ٨٨ .

لينتقم منهم ، وقد استطاع ان يثأر منهم ، الاان بني أسد ارتحلوا فرفض جماعة امرىء القيس ملاحقتهم ، ولما يئس منهم ارتحل الى قبائل اليمن يطلب المساعدة دونما فائدة ، فاستعان بالسموأل الذى أكرمه وحماه وتوسط لدى ملك الغساسنة ليكون وسيلته الى الامبراطور البيزنطي جستنيان لعله يساعده بثأره [1]، وصل امرىء القيس الى بيزنطة ، الاان هذا لم يساعده بل يقال انه دس له السم بلباس أهداه اياه حيث سقط جلده وتقرح وتوفى في أنقره وهو عائد الى بلاده ودفن هناك [2] .

هكذا انتهت دوله كنده ولم يبق من الكنديين سوى أحفاد آكل المرار من أبناء معاوية أخي عمرو المنصور حيث بقوا يحتفظون بالرئاسة في البخرين وحضرموت.الذين انضووا تحت لواء الاسلام بعد حروب الردة .

حضارة دولة كنده :-

كان الكنديون بدو رحل ظهر منهم شعراء عظام أمثال امرىء القيس بن حجر ومعدى كرب بن الحارث .

ديانتهم كانت الوثنية ، واعتنق بعضهم اليهودية ، كما اعتنق بنو تغلب وبعض بني أسد المسيحية التي انتقت اليهم عن طريق الغساسنة وأحباش اليمن .

---

(١) ابن الاثير : التاريخ : جـ١ ، ص ١٦

(٢) المصدر نفسه : جـ١ ، ص ١٩

كانت كنده زعيمة لاتحاد قبلي يضم قبائل مختلفة تعترف بزعامتها وتدين بالولاء لها .

وقد أدى ذلك الى استقرار شؤون القبائل في الجزيرة العربية ونشر للامن والنظام فيها ، وقد حلت دولة المناذرة محلهم لفترة قصيرة الا انها تفككت وحدتهم بعد ذلك بسبب سقوط المناذرة ، فاستقلت كل قبيلة بشؤونها الداخلية ، حتى جاء الاسلام الذى وحدّ الجزيرة العربية ودفع قبائلها نحو الفتح لتشترك بنشر الاسلام ليقيم الدولة الا سلامية الكبرى .

الغساسنة :-

جاء الغساسنة الى بلاد الشام من اليمن على أثر حادثة السيل العرم ، وقد سمي الغساسنة بهذا الاسم بسبب نزولهم على ماء اسمه غسان في أرض اليمن [1] .

وكان أول ملوكهم هو جفنه بن عمرو ، ويذكر الاخباريون ان هذا تنبأ بخراب سد مأرب فرحل بقومه الى الشام قبل القرن السادس الميلادى وقد اعتنق هؤلاء النصرانية متأثرين بالبيزنطيين .

وكان من أشهر ملوكهم الحارث بن جبله الذى كان له شأن كبير في

---

(١) المسعودى : مروج الذهب : جـ٢ ، ص ١٠٦ .

تاريخ المنطقة وذو صلات مع البيزنطيين من جهة والمناذرة والفرس من جهه أخرى • وقد منحه جستنيان امبراطور الروم لقب ملك ليقف بوجه المناذرة بدفع من الفرس والغساسنة بدفع من الروم • ومن هذه الحروب ان الحارث اشترك بقومه مع الروم في حربهم مع الفرس عام ٥٣١ م الا ان الحرب توقفت بسبب الصلح بينهما حتى سنة ٥٤٤م حيث عاد النزاع لينهزم الحارث أمام المنذر ملك الحيرة ، ثم انتقم الحارث بمعركة أخرى لتبقى الحرب سجالا حتى قتل المنذر سنة ٥٥٤ م •

وكان الحارث من أتباع الطبيعة الواحدة في السد المسيح وقد استطاع نشرها في بلاد سوريا ، وحكم مدة طويلة حيث توفى حوالي ٥٧٠ م ، واشتهر ملكه في فترة الملوك العظام عند الروم جستنيان وعند الفرس كسرى انوشروان وفي الحيرة المنذر بن ماء السماء •

خلف المنذر بن الحارث أباه على ملك الغساسنة ، حيث عاودت الحرب بين المناذرة والغساسنة ، واستطاع اجبار الروم على الاعتراف بملكه لحاجتهم له بالدفاع عن أملاكهم ضد المناذرة ، كما ان المنذر هذا قام بعده اعمال عمرانية في بلاد الشام منها بناء صهاريج لايصال الماء الى الرصافة وبناء كنيسة فيها • وأخيرا حقد البيزنطيون على المنذر بن الحارث لتهم ملفقه ضده فقبض عليه ونفي الى صقلية ، وقطعت الاعانة عن الغساسنة ، فثار هؤلاء وتوغلوا في الصحراء معلنين العصيان الا ان الروم قاموا بخديعة زعيمهم والقبض عليه لينفي ، فكان نتيجة ذلك ان تصدع أمر الغساسنة ، فحدثت اضطرابات في الامن ومشاحنات بين القبائل العربية

في سوريا · لتنتقل الزعامة الى آل جفنه ·

وكان آخر ملوك الغساسنة جبله بن الايهم · ولما جاء الاسلام وقف هؤلاء ضد المسلمين مع الروم فاعلن جبله اسلامه بعد هزيمته على يد خالد بن الوليد ، ومالبث ان زاد المدينة ليتركها بعد حادثته المشهورة مع عمر بن الخطاب ·

حضارة الغساسنة :-

سيطر الغساسنة على منطقة جنوب سوريا والاردن وفلسطين ومابين الجولان واليرموك (١) ، واتخذوا مدينة الجابية (٢) عاصمة لهم ·

تأثر الغساسنة بحضارتي بيزنطة والفرس واهتموا بالزراعة بسبب صلاح أرضهم ، واستغلوا المياه الى أبعد الحدود المعروفة في ذلك الزمان كما اهتم الغساسنة بالعمران حيث عمروا المدن والضياع وأقاموا القصور والقناطر والابراج وبنوا الاديرة ، وقد وصلنا الكثير عن حضارتهم عن طريق الشعر العربي للاسلام مثل النابغة الذبياني وحسان بن ثابت وغيرهما ·

---

(١) المسعودي : مروج الذهب : ج٢ ، ص ١٠٩

(٢) الجابية : تقع بالقرب من مرج الصفر شمال حوران وهي المدينة التي عقد عمر بن الخطاب فيها المؤتمر مع القادة المسلمين لوضع سياسة حكم الشام ومسيرة الفتوحات التالية ·

المنــــاذرة :ـ

المنــاذره مــن عــرب الجنــوب وهــم قبائـل تنـوخ التـي هاجـرت من اليمـــــن اثـر تصـدع سـد مأرب ، واستقـرت فـي أول الامـر فـي البحـرين ، ومـن ثم أخـــذت تهاجـم منطقـة الحيـرة والانبـار فـي جنـوب العـراق في فتـرة ضعف الدولـة الفارسية وتظهـر الروايـات ان التنـوخيين مجموعـة مـن القبائـل استفادت مـن ضعـف الدولـــة البارثيـة الفارسيـة ليستقروا في منطقـة مرور القوافـل التجاريـة المـاره في منطقـــة سكناهـم .

اتخـذ التنوخيـون الحيـرة عاصمـة لهـم ، ويظهـر انهـا مدينـة قديمـــة معناهـا المخيـم أوالمعسكـر (1) وقـد اشتهـرت بطيب هوائهـا حتى قيـــل " يوم وليلـة بالحيـره خير مـن دواء سنـه "

قسـم الاخباريـون أهـل الحيـرة العـرب الى ثلاث أقسـام :ـ

تنوخ ، والعباد ، والاحـلاف (2) ، أمـا التنـوخيـون فهـم العـاملـون في الزراعـة والبدو وأما العبـاد فهـل أهـل الحضـر والمـدن وانهـم كانوا نصـارى ، حيث كانـوا يعبـدون اللـه فسمـوا بالعبـاد (3)

وأمـا الاحـلاف منهـم بقيـة العـرب الذيـن نزلـوا الحيـرة .

وأمـا مدينـة الانبـار فقد كـانت تقع علـى نهـر عيسـى الذى يصل الفـــرات بدجلـة لذلـك كانـت مركزا تجاريـا عظيمـا ، فأصبحـت أشبـه بالمخـزن ويذكـــر الطبـرى عن الانبـار " انما سميت أنبـار لانهـا كانت تكون فيهـا أنابيـر الطعـــام

(1) د . جواد علـي : تاريخ العـرب قبل الاسلام : جـ٤ ، ص ٥

(2) الطبـرى : التاريخ : جـ١ ، ص ٥٥٨

(3) جواد علـي : جـ٤ ، ص ١٥

وكانت تسمى للاهراء ، لان كسرى يرزق أصحابه رزقهم منها [1] .

وكان من أشهر ملوك الحيرة جذيمة الابرش الذى سيطر على أكثر أرض العراق وامتد الى خارجها وكان من أفضل ملوك العرب رأيا وأبعدهم مضارا ، وأشدهم نكاية وأمل من استجمع له الملك بأرض العراق ، وضم اليه العرب ، وغزا بالجيوش [2] "

وتذكر بعض الروايات على ان مقتل جذيمة على يد الزباء ملكة تدمر انتقاما لمقتل أبيها ، وفي رواية أخرى ان احدى بنات الزباء هي التي قتلته غيلة [3] .

انتقل الملك على الحيرة الى ابن أخت جذيمة وهو عمرو بن عدى تحالف مع الفرس ومد نفوذه على القبائل المجاورة ، وقد حكم الحيرة مدة خمسا وخمسين سنة [4] وتولى الحكم بعده عدد من أبنائه وأحفاده منهم امرىء القيس الاول وهو أول من تنصر من ملوك الحيرة وفي عهده كانت الحرب بين الفرس والروم التي اشترك بها المناذرة ، وان ملكه قد توسع ليضم جزءا واسعا من شمال شرق الجزيرة العربية وبادية الشام [5] . ثم تتالى ملوك

(١) الطبرى : التاريخ : جـ١ ص ٦١١

(٢) الطبرى جـ ٢ : ص ٦١٣

(٣) أبوحنيفة الدينورى : الاخبار الطوال ، ص ٥٥

(٤) اليعقوبي : ، التاريخ : جـ١ ، ص ٢٠٩

(٥) الطبرى : التاريخ ، جـ٢ ، ص ٥٣

اللخميين ، وكان أشهرهم النعمان الاول الذى يصفه المؤرخون بانه كان محاربا قويا ورجلا حازما ، ينسب اليه بناء قصر الخورنق الذى اشتهر في كتب الادب والتاريخ ، والذى بناه سنمار [1] وقد قيل به المثل الشهير " جزاء سنمار " وقد اشتهر عن النعمان اسم السائح وذلك لانه ترك ملكه سائحا عابدا لله ملتمسا ماعنده ، وذلك بعد تنصره •

وكان من ملوك الحيرة المنذر الاول الذى فوضه يزدجرد بحكم جميع ارض العرب [2] وقد لعب المنذر دوراً هاما في الحرب بين الفرس والروم عام ٤٢١ م • وقد تولى بعد المنذر الاول عدد من الملوك ليسوا من المشهروين حتى مجيء المنذر بن ماء السماء الذى تجددت الحرب بين الفرس والروم في عهده أيضا والذى حقق عدة انتصارات على الروم وقد عين الروم الحارث بن جبله ملكا على الغساسنه ليحارب المنذر هذا وقد بقي الصراع بينهما حتى سنة ٥٥٤م •

وفي زمن المنذر هذا اتبعت الدولة الفارسية المزدكية على يد كسرى قباذ الذى حاول اجبار المنذر باتباع المزدكية الا انه رفض فعزله قباذ والتجأ الى القبائل العربية ليعود ملكا على الحيره بعد القضاء على قباذ ، والمنذر بن ماء السماء المشهور بيوميه يوم بؤس ويوم نعيم يذبح في يوم بؤسه كل من يلقاه ويحسن يوم نعيمه الى كل من يلقى من الناس ويخلع عليهم [3] .

---

(١) ياقوت : معجم البلدان : مادة خورنق •

(٢) جواد علي : مصدر سابق : جـ٤ ، ص ٤٤

(٣) أبي فرج الاصفهاني : الاغاني : جـ ٥ ، ص ٢١٣ •

وجاء بعده ابنه عمرو بن هند . الذي كان له شهره عند الشعراء الجاهليين ، حيث كانت مجالسه حافله بأخبار المنافسات الشعرية . وكانت نهايته على يد الشاعر عمروبن كلثوم للسبب الذي ذكره بمعلقته [١] .

وكان آخر ملوك الحيره هو النعمان بن المنذر الملقب بأبي قابوس الذي عزله كسرى ابرويز القى القبض عليه وسجنه . حيث توفي هناك ليعين مكانه اعرابيا . ويظهر ان قتل النعمان كان سببه تطلعات النعمان في التحرر عن سيطرة الفرس بجميع العراق . وكان الذي عين هواياس بن قبيصة .

وفي زمن اياس هذا كانت معركة ذى قار المشهورة بين العرب والفرس. وملخص سبب الحرب ان النعمان بن المنذر قبل ان يقبض عليه كان قد أودع عياله وأمواله عند هانيء بن مسعود أحد زعماء بكر بن وائل ، ولما طالب ابن قبيصة بأموال النعمان رفض هانيء ان يسلم الامانه ، فتدخل كسرى وهدد بني بكر ، فاختار هؤلاء الحرب وعدم الاستسلام فكانت معركة ذى قار المشهورة التي وضع العرب فيها كل ثقلهم وأبدوا بساله منقطعة النظير وكان النصر فيها للعرب رغم قلة امكانياتهم ، وكانت أول يوم انتصفت فيه العرب من العجم [٢] . وقد اعطت هذه المعركة العرب ثقة كبيرة بأنفسهم ، وكانت بمثابة حركة استطلاعية ومقدمة للفتوح الاسلامية .

---

(١) المصدر السابق : جـ١١ ، ص ٤٢

(٢) حديث للرسول في المسعودى : مروج الذهب : جـ١ ، ص ٢٧٨

حضارة الحيرة :-

كان لموقع الحيرة في عصر المناذرة بين العراق والشام والجزيرة العربية أثر كبير في تطورها الحضارى وذلك لتأثرها بالثقافات العالمية كالفارسية واليونانية والسريانية . وكان أهل الحيرة يتقنون الفارسية مما ساعدهم على نقل الحضارة الفارسية الى العربية . كما كان ملوك الحيرة يشجعون الشعراء ، وكان بلاطهم موئل الشعراء الجاهليين ومن أشهرهم المرقشي الاصغر والمتلمس ، وطرفة بن العبد وعبيد بن الابرص والمرقشي الاكبر والنابغة الذبياني وحسان بن ثابت وعمرو بن كلثوم وغيرهم . كما اشتهرت الحيرة بمدارسها ومعاهد العلم . ويعتبر البعض ان أساس الخط العربي هو الخط الحيرى .

كما تقدم الطب في زمن اللخميين ، وظلت الحيرة مركزا طبيا هاما في العهد الاسلامي ، وقد اشتهر أهل الحيرة بالزراعة والرعي وقد أنشئت فيها مزارع النخيل كما اشتغل الحيريون بالتجارة التي أدت الى تدفق الثروات عليهم

وكانت الصناعة الحيرية متقدمة مثل صناعة النسيج الحريرى والكتاني والصوفي . كما اشتهرت الحيرة بصناعة السيوف والرماح والسهام .

أما العمارة فقد تجلت بها عبقرية الحيريين ، ورغم انهم تأثروا بالعمارة الفارسية فقد طوروها حتى أصبح فنهم العمراني خاصا بهم قائما بذاته ، وكان مثلا يحتذى به في العمارة الاسلامية فيما بعد .

أما ديانة المناذرة فقد كانت متعددة من الوثنية الى الصائبة والمجوسية والنصرانية واليهودية ٠

مجتمع القبيلة :-

حافظ العرب قبل الاسلام على وحدة القبيلة التي كانت تشكل مجتمعا له صفات موحده ، وذلك رغم ان العرب كانوا بدوا وحضرا ، فانهم كانوا على السواء مجتمع قبلي ، فالروابط القبلية هي أقوى الروابط ، يدين الفرد بانتسابه للقبيلة ، بعاداتها وتقاليدها ومثلها ، فهي ان رشدت رشد وان غوت غوى ٠ لذلك فان رابطة القبيلة هي أقوى الروابط ، لانها عصبة واحدة وكان هذا بسبب ماكان يحتاج اليه الفرد من حماية ، فهو المدافع عن قبيلته ، والقبيلة هي الملاذ الاول والاخير له ٠ كانت صفة التنقل هي الصفه الرئيسية للبدو ، وكان سبب ذلك الحاجة للماء والعشب ، فان جدبت منطقته كان يضطر للرحيل الى مكان أفضل ، فان وجدت القبيلة قبيلة أخرى كانت الحرب على الماء ، ويظهر لي ان ذلك كان من الاسباب الرئيسية للغزو مما ولد عداوات مستمرة بين بعض القبائل المتجاورة ٠ أما من حيث تكوين الاسرة فكانت بسيطة من الاب الاكبر وأبنائه وربما زوجاتهم ، حيث كان رأي الاكبر محترما بين أفراد الاسرة ، وأما وضع المرأة فيظهر لي من خلال الاشعار العربية انه كان وضعا محترما حيث كانت تتمتع بقسط كبير من الحرية ، تستشار في أمور هامة كثيرة ، تشارك الرجل باعماله ، حتى ان بعض العرب كانوا يفتخرون بانتسابهم لامهم ، وان بعض القبائل سميت بأسماء امهاتهم ، وعند الزواج كانت العادة ان تستشار البنت بأمرها ، ولاتتزوج الا

برضا أهلها ، وكان يعرف عن العربي غيرته على زوجته وبناته ، وقد كان العرب يكثرون من عدد الزوجات طمعا بكثرة الانجاب . وكان العربي ينظر الى أبنائه نظرة محبه واحترام ، وكان ذلك ينسحب على بقية أفراد القبيلة الا ان القبيلة . اذا انشقت عنها بطون أخرى كان يحصل بينهما التنافس اما على المادة من ماء وكلأ وطعام أو على الرئاسة .

أما بعض العادات السلبية مثل الثأر فقد نشأت من أجل الدفاع عن القبيلة ، وربما كانت أحيانا ايجابية بحيث كان يمتنع الفرد عن مقتل فرد آخر من القبائل خوفا من الثأر ، لذلك كان الثأر عامل ردع ومنع للقتل في أرض صحراوية لاوجود ولاأثر للدولة والنظام فيها . وقد نشأت لدى العربي صفات أصبحت موروثة وأصيلة منها ، الشجاعة ، والكرم والنجدة ومساعدة المحتاج ، وقد كان سبب ظهور هذه الصفات البيئة الصحراويه القاسية التي يحتاج فيها الانسان الى مساعدة الآخرين .

ومن العادات السلبية عادة وأد البنات أوقتل الابناء .

أما وأد البنات فقد كانت خوفا من العار ، حيث أشار القرآن الكريم الى ذلك بقوله تعالى :

﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ۚ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾

---

(١) سورة النحل : آيه ٥٨، ٥٩ .

المجتمع العربي قبل الاسلام

العرب كانوا ينقسمون الى قسمين بدو وحضر او اهل وبر واهل مدن ، اما اهل المدن فقد كانوا يعيشون في الحواضر والقرى ويعيشون على الزرع والنخل وتربية الماشية والتجارة ٠ اما اهل الوبر فقد كانوا يعيشون في الصحارى او على اطرافها على تربية الابل ليشربوا البانها ويأكلوا لحومها وفي بعض الاحيان يربون الاغنام يتنقلون بقطعانهم من مكان الى آخر لمنابت الكلأ فيخيمون هنا وهنالك ما ساعدهم الخصب وامكنهم الرعي فان قلّ رحلوا طلبا للعشب والماء ، فلا يزالون في حل وترحال [1].

وحياة العرب بشكل عام تكاد تكون حياة واحدة لا تغير فيها ولا تبدل، فهي على وتيرة واحدة ، على تعدد القبائل ، وابتعاد مواضع بعضها عن بعض ، ذلك لان الظروف الخيمة عليهم ظروف واحدة لا اختلاف فيها ولا تبدل ، الا ما كان منها بالنسبة الى اعراب الضواحي والحواضر فان ظروفهم تختلف عن هؤلاء ، ومجال تفكيرهم اوسع من مجال تفكير الاعراب (سكان الصحراء) بسبب نوع المعيشة المتغير ، لمتصل بالارض ، وقربهم من الحضر ولو درسنا حياة القبائل في الجاهلية، وجمعنا دراستنا من المروى عنها في الكتب ، وجدنا ان بين الماضي البعيد وبين الحاضر شبها في نمط الحياة [2].

---

(١) ابن العبرى : مختصر تاريخ الدول ص ١٥٨ ٠

(٢) د ٠ جواد علي المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ج٤ ص ٣٠٢ ٠

كانت الوحدة الرئيسية المتجانسة في الحياة العربية قبل الاسلام هي القبيلة ، حيث كانت عماد الحياة في البادية بها يحتمي الاعرابي في الدفاع عن نفسه وعن ماله ، حيث لا دولة تحميه ، لكن العصبية التي تأخذ بالحق والاعراف التي يجب ان تطاع ٠

والرابط الذى يربط افراد القبيلة كان يدعى بالنسب ٠

انساب العرب :-

والنسب هو ارتباط ابناء القبيلة كلها بنسب واحد وبصلب جد واحد اعلى من صلبه انحدر افراد القبيلة بلاعتقادهم ، ولهذا تجد اهل الانساب يرجعون نسب كل قبيلة الى جد اعلى ، ثم يرجعون انساب الجدود ، اى اجداد القبائل الى اجداد اقدم وهكذا ، حتى يصلوا الى الجدين للعرب : قحطان ، عدنان (١).

وقد كان النسب " وهي رابطة الدم بين افراد القبيلة " هو القومية ورمز المجتمع السياسي في البادية ، والقبيلة هي الحكومة الوحيدة التي يفقهها الاعرابي ، حيث لا يشاهد حكومة اخرى فوقها ٠ وما تقرره حكومته هذه من قرارات يطاع وينفذ ، وبها يستطيع ان يأخذ حقه من المعتدى عليه ٠

هذا التعريف للقبيلة انطبق على الاعراب واهل الحضر فهناك قريش ،

---

(١) جواد علي : مصدر سابق ج٤ ص ٣١٣ ٠

والاوس ، والخزرج ، وثقيف فهي اجزاء من القبائل الا ان المجموعة من القبائل تجمع ما يسمى بالشعب وهو فوق القبائل مثال ذلك بنو قحطان ، وبنو عدنان ، كل منها شعب · وكانت اقسام القبيلة تدعى العمارة والاقل منها البطن ثم الفخذ ثم الفصيلة .

وكأمثلة على تلك الانساب فالشعب وهو النسب الابعد مثل عدنان قحطان ، والقبيلة مثل ربيعة ومضر ، والعمارة مثل قريش وكنانة والبطن مثل عبد مناف وبني مخزوم ، ومثل بني هاشم وبني امية · والفصيلة مثل بني ابي طالب وبني العباس (١) وقد قسمت هذه الى اقسام اصغر وكان اصغرها الاسرة اى البيت الواحد ، حيث كانت نواة القبيلة وبذرتها ، ومن نموها ظهرت شجرة القبيلة ، وان البيت او الاسرة هو نواة المجتمع في المجتمعات الانسانية قديمها وحديثها ·

القحطانية العدنانية :-

القحطانيون والعدنانيون قضية اعتبارية حيث ان هذا التقسيم للعرب، ليس تقسيما معتمدا على علم الاجناس، لان العربي العحطاني الجنوبي فيه من التباين والاختلاف عن القحطاني الشمالي ، نفس الاختلاف عن العدناني ، حيث ان الشمالي اقرب الى العدناني بسبب النسب ، وهذا يضطرنا الى القول بفساد نظرية النسابين في اصل القبائل العربية ، ولا بد من اعتبار النسب القحطاني او العدناني رمز

---

(١) محمد محي الدين عبدالحميد : تاج العروس ج٩ ص ١٤١ بطن ·

اخـذ من صراع قديـم ، او أحـلاف قديـمـة ، تحـول الـى جدين بجماعتين [1] لـذلـك نستطيـع القول ان غسان ولخـم وكلـب وكندة مـن القحطانيين الشماليين هم اقـرب الى القبائـل العدنانية من حيث الشكل واللهجـة نستنتـج من ذلـك ان قحطان ليـس بجـد لكـل القبائـل المعروفـة وعدنـان لم يكـن جدا لجميـع القبائـل العدنانيـة ، وانـمـا همـا كنايـة عن مجموعـة قبائـل ، تدعى عنـد العرب بالحلـف ٠

نسب القحطانيـون الى قحطان وهم عرب الجنوب او من نـزح عن الجنـوب ليسكـن الشمال كمـا ذكرنـا سابقـا ٠ ونسـب العدنانيـون الى عدنان وهم عـرب الشمال ٠

وهنـاك لفـظ آخـر لعرب الشمـال والجنوب ٠ فقـد دعي عرب الجنـوب باليمانيـة وعرب الشمـال بالنزاريـة وكـان ذلـك في العصـر الامـوى ، وقـد كـان بيـن الفئتين نـزاع شديـد استمـر طيلـة فـترة الحكم الامـوى ٠

ومـن المعروف ان تسجيل العـرب لـم يبـدأ الا في زمـن تدويـن الديـوان في عهـد الخليفـة الثانـي عمـر بن الخطـاب للاسبـاب المعـروفـة ٠

---

(١) د٠ جواد علي ج١ ص ٤٨٢ ٠

اركـان القبائـل :ـ

قسمت العرب بعد عدنـان وقحطان اربعـة اركـان :ـ
ربيعـة ومضـر ويمـن وقضاعـة [1] ولا يمكـن ان يخـرج نسب عربي اصيـل عن اصـل من هـذه الاصـول ٠ وان هنـاك تقسيمـات اخـرى وردت علـى لسـان بعض النسابيـن ، وقـد ارجـع المأمـون الخليفـة العبـاسي اصـول العرب الى قيس ويمن وربيعـة ومضـر، فيمن كنايـة عن العرب الجنوبيين من همدان وحمير وكنـدة واما قيس وربيعـة ومضـر فكنايـة عن تكتـلات وتجمعـات العرب من غيـر اليمـن ٠ وهنـاك أراء اخرى في تقسيم العرب الى اركان وكتـل ، وهي آراء عربية محضـة اخذت من واقـع الحـال . ولم تستمـد من التقسيم المألـوف للعـرب الى قحطانيين وعدنانيين ، ذلـك لان الحياة في بلاد العرب هي حياة تكتـل ، فكـان لا بـد للقبائـل من عقـد احـلاف فيمـا بينهـا للمحافظة على نفسهـا من افتراس القبائـل الكبيرة لهـا ، ومـن استذلالهـا واخـذ مـا تملكـه ٠ وبهـذه الاحـلاف حافظت القبائـل الضعيفـة على حياتهـا ، وجـدت من طمـع القبائـل الضخمـة في القبائـل الهزيلـة ، وصـار في الامكـان السيطـرة على الامن والتقليـل من حمى عـزو القبائـل بغضها بعضا [2] .

وكانت حاجـة الاحلاف لاهل البادية اهم من اهل الحضر ، ذلـك لان الصحـراء منبسطـة حيث لا يوجـد حواجـز طبيعيـة تدافـع بها عن نفسهـا من جهـة ، وان الغزو كـان ضـرورة من ضرورات الحياة بسبب فقـر الصحراء وشحها ، فكانت الاحلاف

---

(١) بلـوغ الارب ج٣ ص ٢٠٣ ٠
(٢) د ٠ جواد علي مصدر سابق ج٤ ص ٣٢٧ ٠

حماية طبيعية اصطفتها القبائل لنفسها ٠ وكانت الاحلاف اما دفاعية لحماية المال والانفس ، ولايقاف المعتدين ، واحلاف هجومية من اجل غزو حلف آخر ٠ وكانت هذه الاحلاف قصيرة العمر اما لزوال اسباب وجودها او لاختلاف المتحالفين بالمصالح الخاصة لكل منهم ٠

ومن المعروف عند عرب البادية ان لكل قبيلة ارضا تعيش عليها وتنزل بها وتعتبرها ملكا لها تنتشر بها بطونها وعشائرها ولا تسمح لغريب النزول بها او المرور بها الا بموافقتها ورضاها وقد اختصت كل بطن منها بناحيته فانفرد بها واعتبرها ارضا خاصة به ٠ وقد كانت هذه الارض تسمى بمنزل القبيلة تستوطنها وتقيم فيها فتسمى دار اقامة ، وقد كانت احيانا بعض القبائل تتخذ جبلا او واديا حدودا لها او اية معالم بارزة ، وبما ان هذا ليس ثابتا فقد كانت الحدود سببا دائما من اسباب النزاع المستمر ٠ ولا بد ان تشمل ارض القبيلة مواضع للماء ابارا او عيون ماء تتفق القبيلة فيما بينها على حقوق السقي ٠ وقد كانت القاعدة ان المياه مشاع للقبيلة عدا المياه التي تحمى للسادة والرؤساء او الأبار الخاصة التي يحفرها اصحابها ٠ وان ارض القبيلة هي حمى لها لا يجوز لاحد اجتيازها الا باذن من تلك القبيلة والا تعرض للقتال ٠ لذلك كان التجار يدفعون ترضية لزعماء القبائل مقابل السماح لهم بالمرور وذلك بدل حماية تجارتهم ٠

اما زعامة القبيلة ورئاستها فقد كانت توضع بشخص يقال له رئيس القوم او سيد القبيلة ٠

كان سيد القبيلة يتحلى بصفات حميدة حتى يعترف الناس بسيادته وكان اهمها ان يكون شريفا في افعاله حليما كريما ، يغض النظر عن اعمال الحمقى والجهلة ، وان يتجاهل السفلة والسفهاء الجاهلين . فلا يغضب ولا يثور ، وان يكظم غيظه . جاء في المثل : احلم تسر [1] وان يحترم الناس مهما كانت منازلهم ، وان يؤلف بينهم ويكتسب محبتهم وان يكون ملاذهم ، وان يجعل بيته بيتا للجميع ومضيفا لكل من يعز اليه من كبير او حقير او صغير ، وان يفتح قلبه للجميع [2] ومن صفاته الاساسية ان يكون شجاعا في مقدمة القوم في الحروب ، قائدا لقومه في الحرب . هو اب لجميع افراد القبيلة هو شعار القبيلة وروحها ، واذا اصيب زعيم القبيلة او قتل في المعركة كانت تنهزم على الاكثر ، الا اذا وجدت من يثير فيها الحماسة، لذلك كانت الاعداء وفرساها توجه اهتمامها نحو مهاجمة الزعماء ، وحاملي الرايات ، فان قتل اي منهم يعين على الفور بديل عنهم ، حيث يختار هؤلاء من الذين اشتهروا بالشجاعة والبلاء في الحروب ليقودوا افراد قبيلتهم نحو النصر .

اما كيفية تعيين رئيس للقبيلة ، فقد تبين انها كانت بالوراثة للأبن الاكبر في كثير من الاحيان ، او بالانتخاب في احيان اخرى اذا توفي رئيس القبيلة وليس له من يخلفه ، او عند وجود تنافس وتباغض بين الرئيس المتوفي. حيث يجتمع من اشتهروا بالكفاءات والتفوق فينتخبون اكفأهم .

---

(1) ابن حزم : بلوغ الارب ٩٩/١ .

(2) لامانس : مجلة المشرق ١٩٣٢ عدد (٢) ص ١١٠ عن جواد علي مصدر سابق .

تسجيل العرب للنسب :ـ

حرص الجاهليون على حفظ انسابهم ، فهناك من كان يحفظ شجرة نسبه ، او يحتفظ بها مكتوبة ، وبذلك ظهر مجموعة من النسابين ٠

كان النسب يبدأ بالأب في الغالب وفي الام في اقل الحالات حيث يقول الفرد انه ابن فلان او من بيت فلان تعبيرا عن الانتساب الى رئيس ذلك البيت ٠ وقد عرّف النسب : انه القرابة ، او هو في الآباء خاصته ، وان النسب ان تذكر الرجل فتقول : هو فلان بن فلان ، وذكر انه يكون من قبل الام والأب [1]

والبيت هو بيت اب ٠ ولما كان المجتمع مجتمع بيوت " اسر " صار النظام فيه نظاما ابويا ، السلطة العليا فيه للأب ، اليه ينتسب وهو المسؤول قانونا عن العائلة ، يتساوى في ذلك مجتمع الحضر ومجتمع البدو ٠ وبذلك يقوم النسب على الدم القريب ، ونسب القبيلة يقوم على العصبية للدم الابعد ، دم جد القبيلة يجري في عروق المنتسبين اليه ٠

وقد جاء في اخبار العرب انهم من حيث النسب :ـ

ـ صرحاء وهم المنحدرون من صلب جد واحد ٠

ـ وحلفاء وجيران وموالي وشركاء يستلحقون بالنسب وقد يلحق هؤلاء بسبب

---

(1) تاج العروس ٤/٢٦٠ وما بعدها عن د٠ جواد علي مصدر سابق ص ٣٥٤ ٠

الصحراء اذا طالت اقامتهم في القبيلة التي الحقوا فيها فينسون نسبهم ليلتحقوا بنسب من اجاروهم [1] . وقد كان لكل من هذه الكلمات معنى خاص بها :-

الاستحقاق :- هو ان يستلحق انسان شخصا فيلحقه بنسبه ويجعله في حمايته ورعايته اى في عصبيته ، سواء كان ابنه من أمه او آسيرا او عبدا او مولى .

والدعي :- وهو المنسوب الى غير ابيه . ومن امثلة ذلك المتبنى وقد نهى الاسلام عن ذلك بقوله تعالى " **ادعوهم لآبائهم هو اقسط عند الله ، فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم في الدين ومواليكم** " [2] .

والجوار :- وهو ان يستجير شخص ما ليدافع عن نفسه بشيخ قبيلة او ان تستجير قبيلة ضعيفة بقبيلة قوية لتدافع عنها ، وقد كان الجوار قانونيا بحيث يصبح المستجير جزءا من القبيلة وجب الدفاع عنه وتعترف القبائل الاخرى بذلك . وقد كان يعلن ذلك عادة في الاجتماعات العامه كالمواسم ، وتجب بعد ذلك حماية المستجير .

وقد اوصى العرب بالجار فلا يسيء له شخص ، وان يغض المجير نظره عن عيوب جاره وان يكون منتدبا للدفاع عنه لا يجوز له ان يتملص من حقوق الجوار اذا استحقت ووجبت .

---

(1) د. جواد علي مصدر سابق ج٤ ص ٣٥٨ .

(2) سورة الاحزاب آية ٥٠ .

المؤاخاة :-

هو ان يعقد عقد بين فرد وآخر او بين جماعة واخرى او بين قبيلتين وهي تدعو الى المؤازرة والمساعدة وتؤدي الى الموارثة .

الموالي :-

والمولى هو العبد المملوك الذي منّ عليه صاحبه بان يفك عُبوديته فيعتقه ، ويصير المملوك بذلك مولى لعاتقه . وبذلك يكون المولى مهما بلغت مرتبته من الشخصية او العلم ، اقل مكانة في مجتمعهم من الاحرار . رغم ان الاسلام قد دعى الى المساواة ، فقد كان العرب يسمون من دخل الاسلام من غيرهم بالموالي على اعتبار انهم منوا عليهم بالعتق من الاسر بعد الفتح . هذا على الرغم من دعوة الرسول (ص) في خطبة الوداع بقوله : (ايها الناس ان الله قد اذهب عنكم نخوة الجاهلية ، وفخرها بالأباء ، كلكم لأدم ، وآدم من تراب ليس لعربي على عجمي فضل الا بالتقوى " [1] .

---

(١) اليعقوبي ، التاريخ ج٢ ص ١٠٠ .

ـ المظهر الاجتماعي عند العرب قبل الاسلام :ـ

ـ الزواج عند العرب قبل الاسلام :ـ

لم يكن يسير العرب على طريقة واحدة في عرف الزواج او الطلاق حيث كانت اعراف الزواج عندهم تختلف باختلاف الاماكن وباختلاف الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية ٠

وكان لانواع الزواج مسميات كان من اشهرها :ـ

ـ **زواج البعولة** [1] :ـ وهو النوع الرئيسي من الزواج وينشأ بالخطبة والمهر والعقد ٠ وقد سمي فيما بعد في العصر الاسلامي ب " الزواج الشرعي"

واما بقية الانكحة في الجاهلية فقد نهى عنها الاسلام واشهر انواعها :ـ

١ ـ **المخادنة** :ـ وهي المصاحبة ، والخدن هو الصديق او الصاحب [2] وكانت المرأة احيانا تعاشر عدة رجال ، فاذا ولدت ذكرا تختار المرأة احدهم وتلحق الولد به ، وكان يقبل اى منهم بذلك وقد نهى الاسلام عن هذا النوع من الزواج لقوله تعالى " **محصنات غير مسافحات ولا متخذات اخدن** " وقد يكون سبب ذلك هو قلة النساء في مجتمع كان يوئد البنات ٠

---

(١) البعولة : مصدر بعل اى تزوج ويقال للزوج بعل وللزوجة بعلة لسان العرب (بعل)

(٢) لسان العرب ـ خدن ٠

٢ ـ الاستبضاع :ـ وهو ان تختار الزوجة برضى زوجها رجلا اشتهر بصفات الفروسية او الذكاء او الجمال ، فتذهب اليه لتستيضع منه ، فاذا باضعها ذلك الرجل اعتزلها زوجها حتى يبان حملها ، ونشير هنا الى ان زواج الاستبضاع قد كان موجودا عند بعض الشعوب القديمة ، مثل شعوب الترك وفي اسبارطة القديمة ، وبعض سكان امريكا الشمالية القدماء [1].

٣ ـ وراثة النكاح او نكاح الفيزن :ـ

وهو ان يرث الولد الاكبر زوجة ابيه اذا كان الاب متزوجا من اخريات ، واذا لم يكن للميت ولد يرث نكاحها انتقل الحق الى اقرب اقربائه ٠ وقد كان هذا النوع من النكاح منتشرا عند الفرس وانتقل الى بعض من العرب وقد سماه العرب نكاح المقت والمولود منه مقيت ٠

٤ ـ نكاح الشغار :ـ وهو ان يزوج الرجل ابنته او اخته على ان يزوجه الاخر ابنته او اخته ليس بينهما مهر ٠ وكان موجودا في بعض الارياف وعند البدو الى زمن قريب رغم تحريم الاسلام له ، وكانت تقضي العادة ان الزوج اذا طلق زوجته ان يطلق الأخر زوجته ٠ وان تعامل كل منهما بنفس المعاملة داذا اهينت احداهما اهينت الاخرى وهكذا ٠

---

(١) د٠ عبدالسلام الترمانيني : الزواج عند العرب في الجاهلية والاسلام ص ١٩ ٠

٥ ـ نكاح المسبيات والمخطوفات :ـ

كان العرب اذا غزوا قبيلة وتغلبوا عليها ، سبوا نساءها من جملة النهب، فيتخذون تلك النساء سراري واماء ، فمن كانت من نصيبه احداهن اخذها وحل له الاستمتاع بها ، لانه ملكها ، وكانت تسمى الاخيذة او السبية ٠ وكان سبي النساء مذلة وعارا على الرجال ، لذلك كان الرجال يستقتلون في سبيل الدفاع عن الامهات والاخوات ٠ ونذكر هنا ان بعض السبايا كنّ يخطبن بالتكريم عند ازواجهن ٠

واما الخطف هو ان يقوم رجل يعتمد على قوته بخطف امرأة ليتزوجها اذا اعجبته للدلالة على قدرته وكان الخطف في القبائل الضعيفة ولا احد يجرؤ على القبائل القوية ٠

وكان الخطف معروفا عند جماعات انسانية كثيرة مثل اليونان والرومان وكان الخطف يجرى على شكل تمثيلية ، حيث تستغيث الفتاة باهلها فيتظاهرون بالدفاع عنها ، وهذه الظاهرة كانت موجودة عند القبائل الجرمانية والسلافية والقوقاز في روسية الصغرى [١] .

٦ ـ زواج المتعة او الزواج المؤقت :ـ

وهو ان يعقد لمدة محددة فيكون موقوتا وتحل عقدته بأنهاء المدة المتفق

---

(١) ويسترمارك : تاريخ الزواج ج٣/ ص د ٢٩ عن الزواج عند العرب ٠

عليها بين الزوج والزوجة ٠ وكان هذا الزواج على الاكثر يعقد بين رجال مسافرين للتجارة او للغزو وبين نساء من تلك البلاد وقد سمي بزواج المتعة لان القصد منه الاستمتاع بالمرأة مدة من الزمن ، وكان الاولاد الحاصلون من هذا الزواج ينسبون في الغالب الى امهاتهم او الى عشيرتها [(١)] وما شابه لهذا الزواج المؤقت زواج التجربة او زواج الاختبار وهو مألوف في بلاد الغرب في الوقت الحاضر نتيجة اتساع نطاق الحرية الشخصية ٠

كما ان هناك انواعاً اخرى من الزواج كانت منتشرة عند بعض القبائل العربية منها زواج المضامدة ، وهي ان تلجأ المرأة من الجماعات الفقيرة زمن القحط لمضامدة رجل غني تحبس المرأة نفسها عليه حتى اذا اغتنت عادت الى زوجها ٠ الا ان العرب كرهوا هذا النوع الذي تمجه النفس ٠

وهناك البغاء الديني او المقدس وهي ان تمارس المرأة هذا الزواج مع رجل غريب ارضاءاً للآلهة ٠ الا ان هذا النوع لم يكن موجودا في الجزيرة العربية ٠ وكان هناك نكاح الزنا المحرم ونكاح تبادل الزوجات او البدل٠ واما موقف الاسلام من انكحة الجاهلية فانه ابطلها جميعا ما عدا نكاح البعولة وهو النكاح الشرعي القائم على الخطبة والمهر والعقد بالشروط التي عينها الاسلام وتحريم الزنا قد جاء واضحا بقوله تعالى " ولا تقربوا الزنى ، انه كان فاحشة وساء سبيلا " [(٢)] كما حرم الاسلام البغاء واتخاذ الاخدان

---

(١) جواد علي : المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام جـ ص ٥٣٦ ٠
(٢) سورة الاسراء أية ٣٢ ٠

والمسافحة بقوله تعالى " ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات المؤمنات، فمن ما ملكت ايمانكم من فتياتكم المؤمنات والله اعلم بايمانكم بعضكم من بعض فانكحوهن بأذن اهلهن وأتوهن اجورهن بالمعروفه محصنات غير مسافحات ولا متخذات اخدان [1]" . كما حرم الاسلام نكاح الضيزن اى وراثة الزواج بقوله تعالى: " يا ايها الذين آمنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما أتيتموهن " [2]. كما حرم الاسلام نكاح البدل ونكاح الشغار ونكاح المخطوفات .

---

(١) سورة النساء ايـة ٢٥ .

(٢) سورة النساء أية ١٩ .

- المظهر الاقتصادي -

نشأت بعض الممالك في اليمن وازدهرت اوضاعها الاقتصادية نتيجة وقوعها على الطرق التجارية واستغلالها الممتاز لذلك الموقع كما ان سقوطها كان نتيجة تغير تلك الطرق عنها ، هذا يدل على اهمية التجارة في حياة تلك الدول ، كما ان بعضا من المدن العربية نشأت وترعرعت لموقعها التجاري مثل مكة والبتراء وتدمر • وكانت التجارة تقسم الى قسمين داخلية واخرى خارجية ، مستوردة او محلية الانتاج وكانت اهم المواد التي يستوردها العرب من بلاد الشام السيوف المشرفية، الارحبية ، الدمشقية [1] •

وكانت تحمل من الهند والشرق الاقصى المواد الكمالية غالية الثمن مثل البهارات ، والعاج ، والاخشاب الصلبة والمنسوجات الحريرية، وكان ينقل قسم من هذه المواد الى مصر او الشام لتنقل بدورها الى اوروبا •

كما كان العرب يستوردون الرماح الخطية من سواحل خليج البصرة [2] وكانوا يستوردون العاج والعبيد من شرق افريقيا لتنقل ايضا نحو الشمال •

---

(١) لسان العرب ج٨ ص ٣٠٥ •

(٢) د • صالح العلي ، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة ص٢٤٧ •

واما اهم المنتوجات العربية التي كانت تحمل الى الاسواق الداخلية او الى خارج الجزيرة فاهمها ، السيوف اليمانية التي كانت تصنع في اليمن ويزودون بها العرب ، وتصنع في اليمن الدروع السلوقية كما كانت اليمن ايضا تنتج المنسوحات مثل الثياب النجرانية [1] والبرود اليمانية ، والعدنية ، كما ان قطر كانت تنتج ثياب حمر حيث ورد ان الرسول (ص) قد لبسها [2] .

كما ان هناك الثياب العمانية والظهرانية ، كما ان العراق انتجت الديباج كما ان البلاد العربية انتجت البخور والعطور الذى كان يباع بكميات كبيرة وباسعار عالية للمصريين كي يحرق في المعابد .

اما الطرق التجارية فكانت على الاكثر برية الى جانب البحرية في وقت الضرورة ، ونشأ نتيجة ذلك نظام القوافل حيث كانت التجارة تسير بشكل جماعي من اجل الحماية والتعاون فيما بين التجار ، حيث كانت هذه القوافل تقطع بلاد العرب ما بين اليمن والشام والعراق . وكانت قوافل اهل مكة بشكل خاص لا تمتد لها يد اللصوص ، او يعترضها معترض ، لانهم حماة الكعبة ورعاة الحجيج ، يقدمون لهم الخدمات الجليلة ، والماء المبرد والطعام خلال ايام الحج ، لذلك استغلت قريش هذا الواقع لتعبر تجارتهم الى اليمن والشام ومصر وشرق الجزيرة ، لا سيما ان مكة تقع

---

(١) ابو يوسف ، الخراج ص ٤١ .

(٢) ابن حنبل ج٤ ص ١٢٧ .

في منتصف الطريق بين اليمن والشام فكان لهم رحلتان ، شتاء نحو اليمن وصيفا نحو الشام فقسم آل قصي بن كلاب بين بعضهم التجارة فكان هاشم له تجارة الشام وعبد شمس الى الحبشة ونوفل الى فارس والمطلب الى اليمن ، وكان بقية اهل مكة يسيرون في كنف هؤلاء فلا يعترضهم احد ٠ لذلك اثرى القرشيون ثراءا هائلا ، وقد اشتغل جميع اهل مكة بالتجارة، ولا ننس ان الرسول والصحابة كانوا يعملون بالتجارة قبل الاسلام كبقية اهل مكة ، وقد ازداد عدد افراد قريش نتيجة تمتعهم بالصحة والغذاء الجيد ٠ كما ان القرشيين كانوا وسطاء في التجارة يحملون انتاج البلد الى بلد اخر وبالتقايض ينقلون من الثانية الى الاولى وهكذا ٠ ولا ننسى ما للتجارة من اثر في الاختلاط والاستفادة من تقدم الاخرين الحضاري والادبي مما ادى الى علو مركز القرشيين الثقافي ، فكانت عندهم الاسواق الادبية وهي تجارية في وقت واحد ٠

كما ان وضع الجزيرة العربية المناخي الصحراوي قد اضعف وضعها الزراعي ، الا ان بعض المدن العربية نشأت نتيجة الماء في الواحات كما ان اليمن وبعض اجزاء الجنوب قد ازدهرت بها الزراعة نتيجة وقوعها في مهب الرياح الموسمية ، وان هذا التقدم قد ساعد على تكوين الحضارة اليمنية بالاضافة الى موقعها التجاري كما اسلفنا ٠ هذا وكانت اهم الواحات في شمال الجزيرة وفي الحجاز يثرب وخيبر ووادي القرى وتبوك ومكة وبعض مناطق نجد ، وكان انتاجها يقتصر على التمور الممتازة والقمح والشعير ، كما ان مدينة الطائف اشتهرت بانتاج الفواكه والحبوب ، يضاف الى ذلك بعض الواحات التي كان يعيش بها الاعراب المتنقلين الذين كانوا يمتهنون حرفة الرعي ٠

المظهر الفكري :ـ

لم يكن العرب في جاهليتهم عديمي معرفة كما يتبادر الى البعض لا بل كانت لهم معارف فكرية وعلمية بفرط عنايتهم وطول تجربتهم لاحتياجهم الى العلوم في سبيل المعيشة ، فقد كان لهم معرفة بأوقات مطالع النجوم ومغاربها ولهم معرفة أيضا بالفلسفة ، ولم يكونوا في عزلة تامة عن الحركات الفكرية المجاورة ، ولانجدهم أدنى حالا من معاصريهم ٠

كان العرب في الجاهلية يعرفون الترجمة ، وقد كان للعرب ملاحظات كثيرة على الفلك النظرى والعملي وكانوا قد اقتبسوه عن جيرانهم في العراق ٠ وذلك بسبب حاجتهم اليه خلال اسفارهم في البحر أوالبر الصحراوى ٠

وعرف عرب الجاهلية الطب معرفة جيدة ، فقد درس أطباؤهم في جنديسابور في فارس وفي بلاد الروم ومن أشهر أطبائهم الحارث بن كلده الثقفي ، وابنه النضر الذى سافر واجتمع مع الافاضل والعلماء بمكه وغيرها وحصل من العلوم القديمة أشياء جليلة القدر واطلع على علوم الفلسفة وأجزاء الحكمة وتعلم من ابيه الطب ، وكان للجاهليين براعة في الجراحة وأمراض العين بالاضافة الى ذلك كان هناك نوع آخر من التطبيب بالرقى والعزائم يقوم بها الكهنه والعرافون ٠ وقد عرف العرب التشريح فهذا طرفة بن العبد الذى وصف ناقته بستة وثلاثين بيتا من الشعر قد كان يعرف شيئا من التشريح ، لان وصفه الدقيق بعلم الطب الصق من الشعر ٠

الفلسفة :-

نجد فيما تركه العرب من الشعر الجاهلي آراء كثيرة تتصل بالفلسفة الخالصة من نظرية المعرفة ومن السياسة في العدل والحرية والحلم والشورى والاخلاق ، أما الحكم العامه التي وردت في الشعر الجاهلي فكثيرة متنوعة فهذا الحارث بن حلزة اليشكرى يفتخر بأنه يحدس في كل الامور يتطلب المعرفة عن طريق الحواس وذلك في قوله [1]

فحسبت فيها الركب أحدس في كل الامور ، وكنت ذا حدس

كما ان لطرفة بن العبد آراء فلسفية في الاخلاق ، فهو يرى الغاية من الحياة هي اللذه المادية العاجلة ثم لايلقي بالا الى موقف الناس منه في ذلك ، مادام هو وحده سيتحمل نتائج سلوكه [2] .

وكان للجاهليين في الحرب رأى سياسي فطرى ولكنه واضح ، وان تتابع الغزو في البيئة الجاهلية حمل العرب على ان يعتقدوا ان الحرب هي السبيل الوحيد الى حل المشكلات وحسم الخلاف ، وكانوا يرون ان القبيلة التي تظلم غيرها من القبائل : تبدأها بالقتال وتقول زهير بن أبي سلمى في معلقته :-

ومن لايذد عن حوضه بسلاحه يهدم ، ومن لايظلم الناس يظلم

بالاضافة الى ذلك كان العرب يتميزون عن غيرهم من الامم في ذلك العصر بأمور عقلية وخلقية [3] أهمها .

(١) المفضليات : ٣ عن تاريخ الفكر العربي عمر فروخ

(٢) انظر معلقة طرفة بن العبد

(٣) انظر : محمد المبارك ، الامة العربية في معركة تحقيق الذات ص ٩٢ ـ ١٠٧

١ ـ تطور التفكير تطورا ايجابيا سليما وارتفاع مستواه بالجمع بين التفكير الواقعي الملامس للحياه والطبيعة ، البعيد عن الاساطير والخرافات ، والتجريد الضروري لارتقاء الفكر من الجزئيات الحسية الى الكليات المعنوية والنفسية ، يدل على ذلك ارتقاء مفردات اللغة العربية وتعابيرها التي تدل على المفاهيم المجردة ومن الجزئيات الحسية الى الكليات المعنوية والنفسية .

٢ ـ يتميز العرب بخلق يعتبرون القيم المعنوية أعلى مايجاهد للوصول الى تحقيقها مثل المروءة ومكارم الاخلاق والكرم على قلة ذات اليد فهو يبيع شرفه مهما شحت الطبيعة فالعربي ليس ماديا متهالكا على اللذه .

كان العربي حيويا فعالا ، واقعيا عمليا ، لكنه ليس ماديا . وكان العربي يتجه نحو المثل الاعلى ويندفع بدوافع معنوية مثالية ، فهو مثالي النزعة والاتجاه ، فقد كانت هذه المثالية تظهر في الوفاء والنجدة والاباء والشمم والكرم وحسن الجوار وغيرها من المكارم ، وان كان العربي أحيانا يتطرف في هذه الامور لتصل الى الحالة السلبية مثل اتلاف المال أو ذبح الفرس لاكرام الضيف ، وان العرب كانوا يعتبرون مكارم الاخلاق مقياسا للناس ، ولم يجعلوا من أفراد البشر أبطالا مقدسين يقيسون بهم الاعمال وانصاف آلهة كما كان يفعل اليونان والرومان والفرس .

ان هؤلاء العرب ذوي الاستعداد الفكري والنزعة المثالية والقدرة على الابانه والتعبير والحيوية المناضلة ، استطاعوا حمل رسالة الاسلام بعد توحيد مجموعاتهم القبلية الى دولة واحده ذات وحدة مشتركة في العقيدة وفلسفة الحياه والسلوك ، فكانت خير أمه أخرجت للناس .

الباب الثالث

دراسة تفاعل الحضارة العربية الاسلامية مع

- الحضارة الهندية مع التركيز على الناحية العلمية ·
- الحضارة الفارسية مع التركيز على الناحية الادارية والادبية والاجتماعية ·
- الحضارة اليونانية مع التركيز على حركة الترجمة والناحية العلمية ـ ·

....

....

....

...

..

..

.

تفاعل الحضرة العربية الاسلامية مع الحضارة الهندية :-

كان اول اتصال بين المسلمين العرب والهند في عهد خلافة عثمان بن عفان عندما اصدر امرا الى والي العراق ، ان يوجه الى ثغر الهند من يتعرف عليه ويعلم علمه ، فاتى له بخبرها ، ثم تجدد الامر في عهد علي بن ابي طالب حين ارسل قائدا الى الهند فظفر في اول الامر واصاب مغنما الا انه قتل في سنة ٤٢هـ بعد ذلك (١).

ثم تتابعت بعد ذلك الغزوات في بداية عهد الدولة الاموية ، وبقيت الغزوات صغيرة ، حتى مجيء الخليفة الاموي الوليد بن عبدالملك الذي كان عهده عهد الفتوحات الواسعة للهند . ونستطيع ان نقسم فتوحات المسلمين للهند على يد فريقين وسلكت طريقين مختلفين الفريق الاول كان عربيا وابرز من يمثله محمد بن القاسم الثقفي ، وقد سلك في فتح الهند طريق السند وبلوخستان ما بين (٩٢ - ٩٦هـ) .

واما الفريق الثاني فقد كان تركيا ، وجاءت جيوشه الى الهند عن طريق المقاطعات الشمالية الغربية ، ويمثل هذا الفريق اولا السلطان محمد الغزنوي (٣٨٨ - ٤٢١هـ) اعظم سلاطين الدولة الغزنوية ثم جاء بعد ذلك المغول واقاموا هناك دولة اسلامية كبرى كان لها شأنها العظيم في تاريخ بلاد الهند .

كان من نتائج فتوح محمد بن القاسم ان نشطت التجارة بين الهنود والعرب ونبهت اذهانهم الى اهمية تلك البلاد من الناحية الدينية والاقتصادية .

---

(١) فتوح البلدان ص٦٠٧ نشر الطباع ١٩٥٧ .

وأما غزوات محمود الغزنوى فقد كان لها نتائج بعيدة المدى في بلاد الهند من حيث نشر الدين الاسلامي والحضارة الاسلامية كما كانت هذه الغزوات مصدرا للاموال ، والثروات التي تدفقت على المسلمين ٠

كان للاسلام تأثير عظيم على الهند منذ القرن السابع الميلادى وكان المجتمع الهندى في تلك الفترة يمر بفترة انحطاط دينية حيث كان يدين بالوثنية ذات الالهة المتعددة ، متفككك من الناحية الخلقية والاجتماعية ٠ حيث كان المجتمع الهندى مجتمعا طبقيا ، فالطبقات الممتازة كان لها كل المغانم ، والطبقات الكادحة وقعت عليها كل المغارم ، فالطبقات العليا يتمتعون بامتيازات ترفعهم الى مصاف الالهة ، ذنوبهم مغفورة ، وضرائبهم مدفوعة اما الكادحون فهم منبوذون وهم في مرتبة الحيوانات عليهم الخدمة والعمل الوضيع ، ولا يجوز ان يقتنوا مالا (١) .

في هذه الفترة دخل الاسلام السمح المجتمع الهندى لتتعلق به الطبقات المسحوقة لما فيه من مساواة تامة وعدالة اجتماعية ، لذلك انتشر الاسلام بين هؤلاء بسهولة ٠ كما كان للاسلام تأثير كبير بين اصحاب الديانات المختلفة ، فهذه فكرة التوحيد الموجودة عند السيخ ان يقرب بين الهندوسية والاسلام ، فادخل فكرة التوحيد عند المسلمين ، وان كتاب السيخ المقدس فيه احترام كبير لنبي الاسلام ، وعلماء الدين الاسلامي ٠

---

(١) ابو الحسن الندوى ، ماذا خسر العالم بانحطام المسلمين ص ٤٥ ٠

وهناك ديانة اخرى في الهند وهي الديانة البختية التي حاول احد كبار دعاتها الى التوفيق بين الهندوسية والاسلام في شريعة واحدة ، وان تعاليم البراهمة فيها كثير من الايمان بفكرة التوحيد (١) .

كما ان للمسلمين اثارا عظيمة في تشجيع التعليم بين الهنود حيث كان الاباطرة المغول " المسلمون " يقومون بتقديم المنح والاموال والاراضي للهيئات المعنية بالتعليم ، كان يلحق بكل مسجد يتلقى فيه الاطفال تعليمهم الاول وكان تعليما دينيا ٠ وكان من بين مهام الاشغال العامة بناء المدارس ودور العلم ٠

ومن مظاهر تمازج الحضارة الهندية مع الحضارة العربية الاسلامية ترجمة الكتب الهندية الى الفارسية ومن ثم الى العربية ، وترجمة بعض الاعمال العربية الى الهندية ٠

وتعتبر كذلك اللغة الاردية مظهرا من مظاهر الاتصال بين الثقافة الهندية والاسلامية ، وهذه اللغة مزيج من الفاظ وافكار فارسية تركية سنسكريتية ، وتمثل ما كان من تعاون ثقافي بين المسلمين والهنود (٢).

---

(١) MoreLand , Ashort History of India P.195.

(٢) د٠ طه ندا ، فصول من تاريخ الحضارة الاسلامية ، ص ٢٠٩ ٠

وكذلك كان ملوك المغول (المسلمين) شديدى العناية بالفنون المختلفة واهمها فن البناء والعمارة ، وكان الغالب على مبانيهم الطراز الاسلامي المتأثر بالفن الايراني ، ولم تخل هذه المباني من التأثر بطابع البيئة الهندى ، وكان فن العمارة واحدا من مجالات هذا الصهر والمزج بين العنصرين الهندى والاسلامي [1] .

كان من نتائج تفاعل الحضارة الهندية مع الحضارة العربية الاسلامية هو نقل العلوم الهندية الى العربية وكان اهم هذه العلوم :-

اولا :- الحساب الهندى : حيث كان بدء احتكاك العرب بالفكر الهندى هو نقل كتاب الفصول في الحساب الهندى سنة ١٥٤ هـ الى اللغة العربية في عصر الخليفة العباسي المنصور ، وقد ظهر بعد ذلك الخوارزمي الذى اشتهر كعالم من علماء الحساب ، والذى اكتشف ان لدى الهنود نظاما فى الاعداد لم يعرفه العرب، فكتب فى ذلك كتابا لم يصل الينا ، ولكن العرب اطلعوا على حساب الهنود عن عدة طرق ، فالهنود كانوا تجارا ومع تنقلهم نقلوا البضائع والافكار ، وبالنسبة للحساب كان العرب يستخدمون حساب الاحرف ، الا انهم فيما بعد اتخذوا نظام الترقيم الهندى اذ رأوا انه افضل من النظام الابجدى الذى كان شائعا بينهم . ووفقوا بين طرقه المختلفة ، وقد سماه العرب الحساب الهندى او حساب التخت او الغبار وسبب هذه التسمية ان الحاسب كان يحمل معه تختا يرش عليه الرمل ، ثم يخط الاعداد على الرمل بميل خاص او باصابع يده .

---

(١) غوستاف لوبون ، حضارات الهند ، ص ٥٣٦ .

وكانت تكتب الاعداد باستعمال ارقام تسعة تختلف اشكالها فيما بينها

١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، د ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، او 9 , 8 , 7 , 6 , 5 , 4 , 3 , 2 , 1

وميزة طريقة الاعداد الهندية انها ليست لها قيمة عددية مطلقة ، وانما تتغير هذه القيمةوتتبدل حسب المنزلة التي تكون فيها ٠ الاحاد ، العشرات ٠٠ الخ وهذا الاكتشاف كان ثورة فى نظام الاعداد ، وقد استعمل العرب من عندهم الصفر اى الفراغ ، ونذكر هنا ان العرب هم الذين عدلوا عملية الحساب الغبارى بالتخلص من التخت او الرمل الى كتابة الحساب الثابت ٠ ونذكر هنا ان الخوارزمي العالم العربى هو اقدم من كتب الحساب بالارقام الهندية [(١)].

ثانيا :ـ علم الفلك :ـ اتخذ العرب كتابة " السند هند " دستورا لهم في مستهل نهضتهم العلمية والذى احتوى على معظم معارفهم الفلكية والرياضية ٠ وقد نشأ علم الفلك عند الهنود اصلا عن عبادة الاجرام السماوية ورصد حركاتها لتحديد ايام الاعياد والقرابين ٠ وفى رسالة السند هند فسر الهنود الخسوف والكسوف والاعتداليين ، وقالوا بكروية الارض ودورتها اليومية على محورها ٠ كما قسم الهنود السنة الى اثني عشر شهرا والشهر ثلاثين يوما ، واليوم ثلاثين ساعة ٠ وكانوا يضيفون شهرا كاملا كل خمس سنوات ، وقد حسبوا بدقة قطر القمر والخسوف والكسوف وموضع القطبين ومواضع النجوم الرئسية ودورانها ٠

---

(١) دائرة المعارف الاسلامية ج٤ ، مجلد ٤٦ ٠

ثالثا :ـ الطب الهندي :

كان الاطباء الهنود يعرفون خواص الاربطة العضلية ورتق العظام والجهاز اللمفاوي والضفائر العصبية واللفائف والانسجة الدهنية والاوعية الدموية والاغشية المخاطية والمفصلية [1] . وقد فهموا عملية الهضم جيدا ، وكان لهم تشريعات طبية تضاهي احدث التشريعات كتحذير عقد الزواج الا بعد الفحص الطبي او بين شخصين مصابين باحد الامراض الوراثية مثل البرص، وكان الاطباء الهنود يحذرون من الاسراف في استخدام العقاقير ، وكان جل علاجهم يعتمد على تدبير الطعام الصحي والاستحمام والاستنشاق والحجامة ، وقد عرف الاطباء الهنود التطعيم قبل ٥٥٠ م ، واشاروا الى اثر البعوض في نقل الملاريا ، وقد عرف الهنود بدايات التنويم المغناطيسي وسيلة للمعالجة .

وقد اشار بعض الباحثين الى ان الاطباء الهنود كان لهم شهرة عظيمة في ايام الاسكندر ، وان ارسطو نفسه مدين لهم في علم الطب . وقد اعترف الخليفة العباسي هارون الرشيد بالتفوق العلمي والطبي للهنود واستدعى الاطباء الهنود تنظيم المستشفيات ومدارس الطب ببغداد .

رابعا :ـ الرياضيات : للهنود حساب رياضي يفوق ما كان لليونان الا الهندسة وقد ذكرنا ان العرب ورثوا عن الهند الاعداد الهندية والنظام العشري وقد عرف الهنود ايضا الحبر حيث ابتكروا العلامة الجذرية وكثيرا غيرها من الرموز الجبرية ، وقد ابتكروا فكرة الكمية السلبية . وقد استطاع الهنود

---

(١) د. محمد عبدالرحمن مرحبا ، المرجع في تاريخ العلوم عند العرب ص ٨٩ .

ايضا ان يتوصلوا الى النظرية الفيثاغورية المشهورة فى الهندسة واستطاعوا التوصل الى حساب مساحة المثلث والمعين والدائرة والى حساب مجموعة منسقة في حساب المثلثات كانت اتم نضجا مما عرفه اليونان ٠

وهكذا قام العرب بالاستفادة من الحضارات المختلفة ، ومنها الحضاره الهندية التي ترجموا عنها علوما مختلفة فانقذوها من التلف والضياع ونقوها من الشوائب واصلحوا فاسدها ، ولم يقتصر دورهم على الترجمة والاستفادة فقط ، بل رقوا تلك العلوم التي اقتبسوها وطوروها ، واوجدوا طرقا جديدة لفهم الطبيعة والعلم والانسان ، فاسدوا بذلك خدمة جليلة للعقل البشرى والتراث العلمي والحضارة الانسانية الدائبة في تقدمها ٠

✗ أثر الحضارة الفارسية في الحضارة العربية من النواحي الادارية والأدبية والاجتماعية :

لا شك ان اجتماع البشر ضمن بيئة مستقرة أدى الى نشوء الحضارة ، كما أن اجتماع الأمم ، احتكاكها • واتصالها ببعضها يؤدى الى نقل الأفكار الاجتماعية والاقتصادية والثقافية ، زيادة التبادل الثقافي يؤدى الى انتقال هذه الافكار ، ونموها مما قد يؤدى الى التفاعل الحضارى بين الشعوب والامم ، فتنمو وتزدهر الحضارة في عصور متعددة وازمنة متعاقبة •

وقد أقام الفرس امبراطورية واسعة الارجاء ، واقاموا حضارة راسخة البنيان ونتيجة للتفاعل الحضارى الذى تم بعد الفتح الاسلامي بين العرب والفرس ، نتجت حضارة عربية اسلامية ، اخذت من الحضارة الفارسية ـ كما اخذت عن غير من الامم كاليونان والهند ـ وهذبتها واضافت اليها •

ويظهر اثر الحضارة الفارسية واضحا في كثير من المظاهر الحضارية ولعل أبرزها : ـ

المظاهر الادارية والسياسية :ـ

امتزج العرب مع الفرس منذ الفتح الاسلامي الى اخر العهد الاموى ، وشعر عدد كبير من الفرس بأنهم لم ينالوا حقوقهم في العهد الاموى ، مما جعلهم يشاركون في معظم الثورات ضدها ، فلا عجب اذا رأيناهم يسهمون في قيام الدولة العباسية •

وكافأ خلفاء بني العباس هؤلاء الفرس (الموالي) في منحهم الوظائف العالية ، فمنحوهم الوزارة ، والحجابة ، وقيادة الجيش وجباية الاموال ، وولاية الاقاليم ، ومنادمة الخلفاء ٠

الوزراء :ـ

وكانت الوزارة في العهد العباسي تطلق على من يقوم مقام الخليفة في تصريف شؤون الدولة [1] ٠ وأولى من تولى الوزارة كان أبو سلمة الخلال ، وشهر بالوزارة ، ووقع عليه باسم الوزير [2] ، وكان وزيرا لابي العباس السفاح ، وهو اول من استوزر من الفرس ، ولما تولى ابو جعفر المنصور ولاة اقليم الموصل ٠ وعين ابو جعفر وزيرا فارسيا اخر ابو ايوب المورياني ، ثم جاء المهدى فاستوزر يعقوب بن ابي داوود ٠ واستوزر الرشيد : يحي بن خالد البرمكي [3] ثم استوزر المأمون الفضل ابن سهل وثابت بن يحي الرازى ٠٠ وحشد كل منهما في الدواوين من يستطيع حشده من بني جنسه ٠

وكانت الوزارة في عهد بني العباس نوعين :ـ

النوع الاول :ـ وزارة التنفيذ : وهي التي يعتقد فيها الوزير على تنفيذ أوامر الخليفة ، وهو بذلك وسيط بين الخليفة وبين الموظفين والشعب ٠

---

(١) احمد الحوفي : تيارات ثقافية ، ص ١٠٠ ٠
(٢) ابن خلكان : وفيات الاعيان ، جـ١ ، ١٢٩ ٠
(٣) الجهشيارى : الوزراء والكتاب ٠

النوع الثاني : وزراء التفويض : وهي التي يعهد فيها الى الوزير في شؤون الدولة والتصرف فيها بغير رجوع اليه ، ولس للخليفة الان تولية العهد ، وعزل من يوليهم الوزير . وكان يحى البرمكي من هذا النوع ، ثم خلفه ابنه جعفر .

ومنصب الوزارة منقول عن الفرس ، فقد اتسم بعدة مظاهر فارسية ، فكان الذى يختار للوزارة يرتدى زيا خاصا ، ثم يمثل بين يدى الخليفة في حفل رسمي .

وحاكى الوزراء الفرس سلفهم في بعض المظاهر التي لم يعهدها العرب، فقد كان الفضل بن سهل يجلس على كرسي مجنح ويحمل فيه عند دخوله على المأمون ، فاذا اقترب من المأمون ووقعت عينه عليه وضع الكرسي وترجل [1]، وهو الذى اقنع المأمون باستبدال الخضرة بدل السواد ، (السواد شعار العباسية ، والخضرة شعار العلويين) ، وكتب الى عماله ان يجعلوا اعلامهم وقلانسهم خضرا [2].

بيوت خاصة للاستئذان على الخلفاء : (الحجابة)

لم يعرف في صدر الاسلام والدولة الاموية نظام البيوت الخاصة بالاستئذان على الخلفاء ، وفي عهد بني أمية كان الناس يقفون على ابوابهم : حتى

---

(١) الجهشيارى : الوزراء والكتاب ، ص ٤٠١ .

(٢) المصدر نفسه ص ٣٩٦ .

يـؤذن لهم او ينصرفـوا .

وفي عهد بني العباس ، وبعد ان بني المنصور قصره ، بني بيتا خاصا للاذن يقوم بالاستئذان للدخول على الخلفاء ، ثم جرى بقية الخلفاء من بعده على سنته .

المنجمون :-

برز المنجمون وبشكل واضح في العهد العباسي حتى اصبح لهم شأن فيها ، بحيث يوجهون السياسة وبخاصة في الحروب ، وقد أشار هؤلاء على المعتصم بتأجيل فتح عموريا الى فصل الصيف حيث ينضج التين والعنب ، مما جعل الشاعر ابو تمام يسخر منهم في باشيياته التي مطلعها :-

السيف اصدق انباءا من الكتب   في حدّه الحد بين الجدّ واللعب

نظام البريد :-

وكان للفرس نظام معين للبريد يقوم على تقسيم المسافات الى مراكز ، وفي كل مركز أشخاص وبغال ، فيحمل الشخص رسالة ويركب بغلا من بغال البريد ، ويسرع به ، فاذا ما وصل الى الموضع الخاص بالبريد في طريقه سلّم له الرسالة وعاد ، وينقلها الى ثالث وهكذا ، وقد نقل العرب عن الفرس هذا النظام ، وأول من استفاد من هذا النظام في الاسلام معاوية بن ابي سفيان ، فقد أمر باحضار رجال من دهاقين الفرس وعرّفهم على ما يريد ، فوضعوا له البريد .

وفي عهد الدولة العباسية كان للبريد ديوان في بغداد وله محطات

كثيرة على طول الطرق لتلك الرسائل بين الخليفة وعماله في الاقاليم . ثم صار لصاحب البريد مهمة هي مراقبة السولاة ، والتجسس على الاعداء ، وينقل الأخبار الى الخليفة ، فهو عينه التي يبصر بها عن بعد [1] .

السياف :-

لم يعرف العرب هذه الوظيفة ايام النبي والخلفاء الراشدين او بني أمية ، ولكن في العهد الفارسي ، أصبح قاطع الرؤوس ، " السياف " وظيفة رسمية حيث انها كانت وظيفة قديمة عند الفرس ، فتم نقلها .

---

(١) الطبرى : تاريخ ، ج٩ ، ٢٩٧ ، ٣٤١ .

الاثار الاجتماعية :-

تأثر العرب بعادات الفرس ، فنقلوا عنهم كثيرا من عاداتهم ووسائل ترفهم ولهوهم ومجونهم .

الاحتفال بالاعياد الفارسية : النيروز والمهرجان :

والنيروز كلمة فارسية معناها اليوم الجديد ، وموعده الايام الستة من آول شهر في سنتهم الشمسية وهي ترافق ٢٤ أذار ، وهو أعظم أعياد الفرس ، ويتميز بأنه استقبال السنة وافتتاح جباية الخراج وزمن تولية العمال واستبدالهم وضرب الدراهم والدنانير (١) .

اما المهرجان فهو الايام الستة الاولى من شهرهم مهرجان ، وهو يوافق اول الخريف ويسمى اليوم السادس فيه المهرجان الكبير .

فالنيروز استقبال الربيع ، والمهرجان استقبال الخريف . وكان الملوك في فارس في هذين العيدين يوزعون ما في خزانتهم من ملابس فتوزع على سائر الناس على مراتبهم ، وكان الملوك يتقبلون الهدايا في العيدين من طبقات شتى (٢) .

وقد بدأت الهدايا تصل معاوية بن ابي سفيان ، كما كانت تقدم الى

---

(١) الجاحظ: التاج في اخلاق الملوك ، ص ١٤٦ ، ١٤٩

(٢) البيروني : الاثار الباقية، ص، ٢٢٣ : المسعودي: مروج الذهب،ج١، ص ١٤٣٣ ، الثعالبي يتيمة الدهر، ج٢ ، ص ٢٨٠ .

الأكاسرة ، وقد انكرها علي بن ابي طالب ثم ابطلها الخليفة عمر بن عبد العزيز .

وفي العصر العباسي شاع الاحتفال بالعيدين ، حتى أن الخلفاء والولاة كانوا يجلسون لتقبل التهاني ، والاستماع الى مدائح الشعراء [1] .

الشطرنج والنرد :-

وصف لعبة الشطرنج بأنها لعبة قديمة ، وهي تشحذ اللب وتدرب الانسان على التفكير ، وقد مارس كبار رجال الدولة العباسية هذه الهواية التي كانت شائعة بين البغداديين ويمارسها العامة ويتكسبون بها [2] .

ومن الألعاب الشائعة كان النرد ، فكان من ملاهي العامة والخاصة يقضون بها فراغهم ويعيشون بها ويلهون ، حتى ان السجناء كانوا يلعبونها داخل سجونهم [3] على الرغم من اعتبار اللعبة ذات نتيجة سلبية في شحذ الذهن لانها تجعل المكاسب لا تنال بالكياسة والحيل .

---

(١) انظر ديوان البحتري في مدح الهيثم الغنوي ، وديوان ابن الرومي في تهنئة عبيد الله بن عبدالله .

(٢) الاصفهاني : الاغاني ، جـ ١٩ ، ص ٢٣٠ . القزويني : عجائب المخلوقات ، ص ١٢١ ، الشابشتي : الديارات . ص ٤٠ ، ٥٧ .

(٣) الجاحظ : الحيوان ، ج٤ ، ص١٤٧ . المسعودي : مروج الذهب ، ج٢ ، ص٤٦٥ .

الترف : [1]

حاكى الخلفاء العباسيون أكاسرة الفرس في الترف والسرف ، ووردت أخبار شتى تصور هذا الترف وان كان لا يخلو من المبالغة :

فقد رووا أن عرش المهدى كان مكللا بانواع اللؤلؤ والياقوت ، وعلى رأسه قبة من الديباج يوم بيعته ، وحوله فلاحان ملتحفان بالذهب ، يتدلى منهما مثلثين من الريش مرفوعتين على رمحين مكسوين بعروق من الذهب ، يتدلى منهما الياقوت والزبرجد والفيروز ، وعلى يمين العرش منبر مزخرف بالجواهر والديباج .

وقيل ان الرشيد يقدم على مائدته ثلاثين صنفا من الطعام ، ولمّا تزوج زبيدة كانت هباته أواني من الذهب مملوءة بالفضة ، وأواني من الفضة مملوءة بالذهب والمسك .

وقيل ان المأمون أعطى بوران بنت الحسن ليلة زفافها ألف حصاة من الياقوت ، وبسط لها فرشا كانت الحصيرة منها منسوجة بالذهب مكللا بالدر والياقوت [2] .

---

(1) انظر شحادة الناطور : التفاعلات الحضارية في عصر بني أمية .

(2) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٤٨٩ .

وذكروا ان الوزير المهلبي كان لا يأكل الا بملاعق الذهب ، ولا يأكل بالملعقة الا لقمة واحدة ، فكان يوضع على مائدته زهاء ثلاثين ملعقة ، هذه بعض الصور التي لم تسلم من المبالغة ، ولكنها تعطي صورة للحياة المترفة التي كان يحياها المترفون ، ولا شك ان معرفة العرب لها كان من نتائج الحضارة والتأثر بالفرس ، لان العرب بالبادية عاشوا وهم يجهلون تماما هذه المظاهر [1] .

كثرة الجواري :-

وامتلأت القصور بالجواري ، وان كان العنصر الفارسي هو الغالب ، ونسلت الجواري للعرب ، وكثر نسلهن حتى ان معظم خلفاء بني العباس من امهات غير عربيات ، وتناسى العباسيون ما حصل لاخوانهم الامويين ٠

ولا شك ان كثرة الجواري في المجتمع العربي له اثر عظيم في الحياة الاجتماعية وعلى الاسرة وعلى المجتمع ، فقد ادى الى التفسخ والانحلال والتدهور الخلقي في معظم الأحيان لظهور المنحرفات والمنحرفين [2].

---

(١) احمد الحوفي : تيارات ثقافية ص ١١٨ ٠

(٢) الاصفهاني الاغاني ، ج٢٠ ، ص ٣٢٣ ٠

الغناء والغنيان [1]

ازدهر الغناء وتطورت الموسيقى وتنوّعت الالات . وبرز في بداية الدولة العباسية مغنيان فارسيان هما :- ابراهيم الموصلي وابنه اسحق . وكانا يجمعان الى غنائهما المطرب الشعر والظرف وتعليم الجواري الغناء واقتدى بهما من بعدهما من المغنين .

وشغف الامراء والخلفاء بالمغنين وهم بذلك قلدوا اكاسرة الفرس، فجعلهم الرشيد طبقات ، كما فعل أردشير بن بابك وأنو شروان ، فكان ابراهيم الموصلي واسماعيل بن جامع وزلزل في الطبقة الاولى ، وسليم بن سلام الكوفي وعمرو الغزال في الطبقة الثانية بينما العازفون في الطبقة الثالثة [2].

وازدهار الغناء ادى الى كثرة المغنيات والغيان ، فكثرت بالكوفة وبغداد وغيرهما ، واعدّ كثيرات منهن بيوتهن لرواد العبث والمجون والخلاعة ، فتوافد عليهن راغبو اللذات والمتحللون من سلطان الدين ، وأخذوا يستمتعون باللذات المحرمة ، وبالغ بعض الاثرياء في تقدير اثمان الغيان حتى ان جعفر بن سليمان اشترى جارية بمئة ألف درهم ، وصالح بن علي اشترى اخرى بتسعين ألف درهم [3] .

---

(١) انظر : شحادة الناطور : التفاعلات الحضارية في عصر بني أمية .

(٢) الجاحظ : التاج في اخلاق الملوك ، ص ٢٥ ، ٣٤ .

(٣) الاصفهاني : الاغاني جـ١٣ ، ص ١٢٨ ، انظر الجاحظ : رسالة في الغيان ، رسائل جـ٢ ، ص ١٧٠ .

تنوع الأزياء :ـ (١)

تنوعت الازياء والملابس في العصر العباسي ، بحيث كان يلبس كل طبقة زيا خاصة بهم ، فاذا وصل الرجل الى اى مجلس عرف من زيه صناعته وطبقته ، فكان الكتاب يلبسون زيهم المقصور عليهم (٢) .

ولبس الخلفاء الحمائم والقلانس ، ولبس القضاة القلانس الكبار ، وكوّع الكبراء العمامة ، وجعلوا لها احجاما تطابق مكانتهم الاجتماعية كما كان يفعل الفرس • فللخلفاء عمّة ، وللفقهاء عمّة ، وللبقالين عمة ، وللاعراب كذلك • وللقضاة والشرطة والكتاب زى ، فلكل طبقة من اصحاب السلطان زي (٣) .

ان تعدد الازياء تبعا للوظائف والطبقات مأخوذة عن الفرس ، فقد كان الفرس يفعلون كذلك (٤) .

الخمر والغلمان :

ولعل من أهم المظاهر السلبية التي تنافي الاخلاق العربية والدين الاسلامي التي انتشرت في المجتمع المدني بين العرب :ـ

---

(١) لمزيد من المعرفة ارجع الى د • صلاح حسين العبيدى : الملابس العربية الاسلامية في العصر العباسي •

(٢) الجهشيارى • الوزراء والكتاب ، ص ٣ ، ٤ •

(٣) الجاحظ : البيان والتبيين ، ج٣ ، ص ١١٤ •

التعلق بالخمر :

فقد انتشرت نتيجة مخالطة العرب للفرس وغيرهم ، وكثرت الحانات، وكلف بها بعض الشعراء كأبي نواس الذى افتتح كثيرا من قصائده بالخمريات بدلا من الغزل وبكاء الاطلال ٠

اما المظهر الثاني فهو الاستكثار من الغلمان [1] في القصور والدور وهي عادة فارسية ، كان يستخدمونهم في اغراض شتى ، ويزينوهم بما تتزين به الاثاث ، فحاكاهم العرب في ذلك جريا على تقليد فارسي قديم ٠

وكان الغلمان المخنثين بالكوفة مظهران ينافيان الاخلاق العربية ، لتشبه بالنساء في الملبس والخضاب وتزجيج الحواجب والعيون واطالة الشعر والتحلي بالذهب والتغني بالشعر الفاجر الماجن دون استحياء من الناس [2].

---

(١) احمد الحوفي : تيارات ثقافية ، ص ١٢٦ ٠

(٢) الجاحظ : مفاخرة الجواري والغلمان ، رسائل ، ج٢ ، ص ٩١ ، ١٣٧ ٠ الشابستي : الديارات ، ص ٥٦ ، ٦١ ، ٦٩ ٠

(٣) الاصفهاني : الاغاني : ج٤ ، ص ١٦٩ ٠

الادب[1]

كانت لغة القرآن هي اللغة الرسمية للدولة ، وطلبا لتحقيق الاهداف الدينية والمنافع الدنيوية ، سارع الموالي لتعليمها ، وتيسرت لهم نتيجة الاختلاط والاتزاج حتى حذقوها كأهلها ، فبرز منهم عدد من الأدباء والشعراء الذين ساهموا في مد الحياة الفكرية باتساع جديد ٠

ويلعب الشعر دورا مهما في المجتمع العربى فيه يتفاضلون ، وبه يمدحون او يذمون [1] ، ولما كان الموالي جزءا من المجتمع الاموى ، لذلك قلدوا العرب فى نظمه ، فاخذوا قوالبه وأساليبه عنهم واستهترت طائفة من شعرائهم كاسماعيل بن يسار ، وموسى شهوات ، والحزين الكنانى ، وزياد الاعجم ٠ طرقت ابواب الشعر كافة تلمسا لطريق الحياة ولتسر مما يجيش في نفوسهم من افكار متعددة ومتناقضة احيانا ٠

والمدح من أبرز الاغراض التي طرقها شعراؤهم ، وشغل النصيب الاكبر لديهم، متخذين سياستهم الاتصال باولي الامر للتقرب من الحكام ، ولنيل عطاياهم

(أ) انظر شحادة الناطور : التفاعلات الحضارية فى عهد بني أمية ٠

(١) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبى ، ص ١٠٢ ٠

(٢) طه حسين : من حديث الشعر والنثر ، ص١٨ ٠ محمد كفافي: في ادب الفرس وحضارتهم ، ص ١٠ ٠

وكسب رضاهم مما جعله بعيدا عن الصدق [(1)].

وينال ذكر محاسن الاموات (الرثاء ة) اهمية عند بعض شعرائهم ، مما جعلهم يحسنون اختيار الصور الملائمة للغرض ، فقدموا لنا مراثي على جانب من الابداع [(2)] .

ومن اهم الاغراض التي استغلها شعراؤهم الهجاء ، فقد كان سلاحا موهوبا بايديهم يخشاهم الناس ، ويتقونهم باكرامهم ومداراتهم ، فحقق بعض الهجائيين جزءا من رغباتهم ومطامحهم ٠ وقد استغله بعضهم لقذف اغراض الناس حتى

---

(1) اشهر من طرق المدح من شعراء الموالي
أ ـ اسماعيل ابن يسار : مدح عبدالله بن الزبير ، انظر الاغاني ج٤ ص ١٠٨ مدح الغمر ، انظر الاغاني ج٤ ، ص ٤١٠ ، ومدح عبدالملك ص ٤١١ ، والوليد بن يزيد ، ص ٤٢٤ ٠
ب ـ يزيد ابن ضبة : انقطع لمدح الوليد بن يزيد ، انظر الاغاني ج٧ ، ص٧ ٠
ج ـ موسى شهوات ، مدح سعيد بن خالد ، انظر الاغاني ، ج٣ ، ص ٣٥٤ ٠
انظر ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، ص ٣٦٦ ، ومدح حمزة ابن عبدالله بن الزبير ، انظر الاغاني ، ج٣ ، ص٣٥٧ ٠
والمبرد : الكامل ، ص ٤٠٠ ٠
د ـ نصيب : مدح عبدالعزيز بن مروان ، انظر الاغاني ج١ ، ص ٣٣٣ وابن كتيبة : الشعر والشعراء ، ص ٣٣٢ ، ومدح هشام ابن عبدالملك انظر الاغاني ، ج١ ص ٣٣٩٠
هـ ـ الحزين الكناني : مدح محمد بن مروان ، الاغاني ، ج١٥ ، ص ٣٢٥ ٠
و ـ ابو العطاء السندي : مدح يزيد بن هبيرة : الاغاني ، ج١٧ ، ص ٣٣٠ ٠
ل ـ زياد الاعجم ، مدح عبد الجراح ، الاغاني ، ج٥ ، ص ٣٨٦ ٠
م ـ ابو العباس الاعفى ، الاغاني ، ج١٦ ، ص ٢٩٩ ٠
(2) ومن اشهر شعرائهم : أ ـ الحسين بن مطير الذي رثى معن بن رائدة بقوله : =

اصبح وسيلة للتكسب لديهم (1) .

وهذا الشعر يدل على مقدار الحقد والكراهية في نفوس قائليه من الموالي ضد العرب ، ترجمت من احساس عميق الى تجريح وتحقير واهانة ٠

= الما على معن وقولا لقبره   سقتك الغوادي مربعا ثم مربعا
الاغاني ، ج١٦ ، ص ١٨ ٠ البغدادي : خزانة الادب ، ج١ ، ص ٤٨٥ (مولى ابن اسد) ٠
ب - زياد الاعجم رثى المغيرة بن المهلب (خمسون بيتا) ٠
قل للقوافل والغزي اذا غزه   والباكرين وللحد الرائح
الاغاني ، ج١٥ ، ص ٣٨١ ، ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ص ٣٥ ٠ البغدادي خزانة ، ج٤ ، ص ١٩٢ ٠

(1) لزياد الاغجم : هجا يزيد الضبي لانه نصحه ، الاغاني ، ج١٥ ، ص ٣٩٠ ، ابن قتيبة : الشعر ٢١٣ ٠ وهجا بني يشكر ٠ ابن سلام :طبقات الشعراء ، ص ٢١٣
ب - ابو العباس الاعمى : هجا عبدالله بن الزبير ٠ الاغاني ، ج١٦ ، ص ٣٠٢ ٠
يزيد بن مفرغ : هجا آل زياد ٠ الاغاني ، ج١٨ ، ص٢٥٧ ، ٢٦٢ ، ٢٨٠
د - ابن الخياط : كان يقذف اعراض الناس ، حتى والده لم يسلم من هجائه ، هجا هشام بن عبدالملك ، الاغاني ، ج٢٠ ، ص ١٠ ٠
هـ - ابن ميادة : كان يهاجي الشعراء ، ومسابة الناس ، هجى بني مازن وخزارة بن ديبان ، الاغاني ، ج٢ ، ص ٢٦٣ ٠ تبادل الهجاء مع الحكم بن معمر الحضري ٠ المصدر السابق ٢٨٣ ٠
و - الحزين الكناني : يتكسب بالشر هجا سهل بن عبدالرحمن بن عوف ٠
الاغاني ، ج١٥ ، ص ٣٣١ ، وبنو كلب ، ص ٢٣٢ ٠ وابا يعرة (رجل من بني عامر بن لؤي) ، ص ٣٣٤ ٠ وعمرو بن عمر بن الزبير ، ص ٣٣٦ ، ضرب على كل رجل من قريش درهمين في كل شهر مقابل سكوته - ص ٣٣٢ ٠
ل - هجا ابو العطاء الندي بني هاشم : خزانة الادب ، ج٤ ، ص ١٧٠ ٠
بني هاشم عودوا الى نخلاتكم   فقد قام سعر التمر صاع بدرهم

وتنال المـــرأة حظهـا لدى شعرائهـم ، فقد ذكـر الشعراء محاسنهـــــــا وتفننـــوا في ذكـر صفاتهـا ومميزاتهـا باجمل الصور الرقيقة [(١)] واخرون ركـــزوا على مساوئهـا وتخيـروا مخشن الكلام لنعتهـا ووصفها بـه [(٢)].

وترجم بعض الشعراء تجاربهم الى شعـر ، هـو خلاصة مشاهداتهم وممارستهم. في عبر خالـدة تصلـح لكل زمـان ، صـادرة عن نفوسهم فكانـت لا لسن منظومـــة في شعر ينطـق بالعبرة والحكمـة . ستظل مصدر امتاع وتأثير في ضمير البشرية [(٣)].

---

(١) اشهر من حكى في الغزل :

أ ـ داوود بن سلـم : الاغاني ، ج٦ ، ص ١٨ ، ١٩ ،

ب ـ وضاح اليمن ، المصدر السابق ، ج٦ ، ص ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٤ .

جـ ـ يزيد بن ضبة ، المصدر السابق ج٦ ، ص ٢٣١ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ .

د ـ اسماعيل بن يسار ، المصدر نفسه ج٤ ، ص ٤١٤ .

هـ ـ موسى شهوات ، المصدر نفسه ج٤ ، ص ٤١٤ .

و ـ ابن مفرغ ، المصدر السابق ، ج١٨ ، ص ٢٨٩ ، ٢٩١ .

(٢) واشهرهم ،

أ ـ وضاح اليمن ، شبب بزدجه ، الوليد بن عبد الملك ، ص ٢١٨ ، ٢١٩ .

وبالمغنية صبابة ، الاغاني ج٦ ، ص ٤١٤ .

ب ـ ابن مفرغ ، الاغاني ، ج١٨ ، ٢١٨ ، ٢٨٣ ،

جـ ـ الحزين الكنائي ، ج١٥ ، ص ٣٣٠ .

(٣) واشهرهم أ ـ ابن ميادة ، الاغاني ، ج٢ ، ص ٢٩٠ ، ٢٩٨ .

فللموت خير من حياة دميمة   وللنجل خير من عناء طويل

ب ـ ابن مفرغ ، الاغاني ، ج١٨ ، ص ٢٦١ ، ٢٨٠ .

جـ ـ العبد يقرع بالعصا   والحر تكفيه الاشارة

جـ ـ ابو العطاء السندي ، الاغاني ، ج١٧ ، ص ٣٢٩ ، ٣٣٦ .

د ـ زياد الاعجم ، الاغاني ، ج١٥ ، ص ٣٨٧ ، ٣٩٠ .

وكل امرئٌ لا بد للموت صائر   وان عاش دهرا في البلاد يسبح

واظهر الموالي العداء ضد الدولة ، فانخرطوا في الاحزاب السياسية المعارضة ونطق شعراؤهم بذلك مدافعين عن مبادئها ، معبرين عما في نفوسهم عن سخط نحو السلطة القائمة ، غير متناسين مصالحهم الاتية والمستقبلية، طلبا للاغتناء والانتفاع [1].

واندفع بعض الشعراء بالحض على الثورة والخروج على النظام القائم بصورة مباشرة منطلقين من مبدأ الالتزام بما يؤمنون [2].

= هـ ـ ثابت بن قطنة ، الاغاني ، ج١٤ ، ص ٢٨١ .

(١) كان اسماعيل بن يسار بادئ الامر مع الزبيريين . الاغاني ، ج٤ ، ص٤٠٨ .

كان ابو العباس الاعمى مع الامويين. الاغاني ، ج٧ ، ص ٩٥ .

وكذلك يزيد بن ضبة . الاغاني ، ج٧ ، ص ٩٥ .

عمرو بن الحصين مع الخوارج ، الاعلام ، ج٢ ، ص ٩٨ .

وامتدح كلامه ،

نصيب آل البيت . الاغاني ، ج١ ، ص٣٤٣ .

وابن الموظة، آل البيت . الاغاني ج٣ ، ص ٢٩٥ .

وداود بن سلمة ، آل البيت . الاغاني ، ج٦ ، ص١٥ .

(٢) حرض ثابت بن قطنية ، يزيد بن المهلب الخروج على الدولة ، الاصبهاني . الاغاني ج١٤ ، ص٢٧٧ . ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، ص ٤٠١ ، حرض ابو العباس الاعمى بني امية للقضاء على ابن الزبير .

ابني أمية لا ارى لكم   اذا ما التفت الشيع

الاغاني ، ج١٦ ، ص٣٠١ .

هاجم يزيد بن ضبة الخليفة هشام بن عبدالملك بعد وفاته امام الخليفة الوليد ، ج٧ ، ص٩٩ .

الاغاني. ج١٤، ص ٢٧٠ ، البغدادي . خزانة الادب ، ج٤ ، ص ١٨٥ ،

اخر بيت في القصيدة :ـ

الله يعلم ماذا يحضران به   وكل عبدسيلقى الله منفردا

وتستهوي افكار المرجئة وما تضمنته من احكام، الشاعر المولى ثابت بن قطنة ، فينظم شعرا يتضمن تلك الافكار ٠ وهناك شعراء لم يستقر الايمان في قلوبهم، وغلبت عليهم مفاسد الدنيا ، فأدمنوا الشراب، وعبروا عن احساسهم بشعر لا يخلو من تهجم على الدين ومجافاة لمبادئه [١].

ومن التأثيرات البارزة للموالي ، والتي فرضتها الحاجة الماسة، تطور جديد في اللغة العربية ، ادى الى ظهور لغة عربية ميسرة للتفاهم يسهل استيعابها بين الناطقين بها ٠ وتسربت ألفاظ جديدة للغة اقتبسها العرب لادوات الحرف والفنون الجميلة لما شاهدوه ، ولم يكونوا يعرفونه من قبل [٢].

---

(١) الحزين الكنائي٠ كان مدمنا للشراب، واقيم عليه الحد لسكره٠ الاغاني ، جـ١ ، ص ٣٣٠ ، ٣٣١ ٠ وكذلك ابن ميادة ٠ الاغاني ج٢٢ ، ص ٢٩٤ ، ٣٣٣ ٠ زياد الاعجم الـذي مكي ٠ الاغاني ، جـ١ ، ص ٣٩١ ، ٣٨٤ ، ٣٨٥ ٠

تركت التقي والدين دين محمد ... لأهل التقي والمسلمين يلوح

وتابعت مراق العراقين سادسا ... وانت غليظ القصرين صحيح

يستفيضه من الصلاة ، كما اقيم عليه الحد٠ الاغاني ، ج٢٠ ، ص٧ ، ١١ ٠

(٢) انظر الجاحظ ٠ البيان والتبيين ، ج١ ، ص١٧ ، ١٨٠ ٠

السوق بالفارسية وازار٠ والبطيخ بالفارسية الخربز ، والغناء بالفارسية الخيار ٠٠٠ الخ ٠ انظر محمد موسى هنداوى ٠ المعجم في اللغة الفارسية، ص١٦١، ١٦٢، دولاب٠ ألة لرفع اعاء ٠ الدهقاء المزارع٠ الديوان، مكان اجتماع القوم وما يسجل فيه من الشعر ٠ تراز بداية = التطريز ٠ طربوش اصلها شربوش٠ قبان اصلها كبان٠ كاكي اللون القرابي ، كار = الحرفة٠ بغتة = قماش منسوج٠ بخشيش = عطاء ٠ بشكير اصلها بشجير ٠ ترزى = خياط ٠ خام = مكان ٠ زبون = مشترى ٠ سجاف = غطاء او ستارة او حجاب ٠ سادة = صاف ٠

كما شاع اضافة مقطع أن الفارسي لعدد من الاسماء العربية٠ عرفت قطيعة سويد بن منجوف باسم سويدان، ولبنلان للبني بن عمرة ، وجبران لآل كلثوم بن جبر ، وكثيران لكثير بن يسار، ولبليلان لبلال بن بردة٠ انظر البلاذرى٠ فتوح البلدان ، ص ٥٠٩ ٠

واخذت هذه الالفاظ الفارسية تدخل لغة كبار الشعراء العرب كالفرزدق(١) وجرير(٢).

ولما كانت اللغة العربية احدى اللغات السامية ، ففيها من الخصائص ما يختلف عن اللغة الفارسية الارية الاصل ، لذا رأينا طواشف من الموالي يلفظون احرفا عربية لسورة أرية الاصل ، يستبدلون حرفا بحرف(٣).

وقد انتشرت هذه اللكنة بين الموالي ، وتسربت الى كبار ادبائهم وشعرائهم(٤)، هذا الى جانب اللحن الذى عرف طريقة الى شعراء العرب وفصحائهم .

---

(١) النقائض، ج٢ ، ص٧٨٧ ، قال الفرزدق

منعتك ميراث الملوك وتاجهم وانت لدرعي ببيذق في البيادق

والبيذق كلمة في الشطرنج وهي فارسية الاصل.

(٢) النقائض ج٢ ، ص٨٤٥ ، قال جرير

لا خير في غضب الفرزذق بعدها سلخوا عجانك سلخ جلد الروذق

الروذق بمعنى الحمل المنتوف.

(٣) الجاحظ، البيان والتبيين، ج١ ، ص٥١ . الموالي يلفظون الزين سيناء والعين همزة ج٢ ، ص٢١٦ . الدال ذالا ، والحاء همزة والضاء ضاء، ابن كتيبة عيون الاخبار ج٥ ، ص١٥٩ ، الحاء همزة ، والعين همزة . الجاحظ ، البيان والتبيين، ج١، ص ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، (انظر اللكنة عند الجوارى). الجاحظ البيان ، ج١ ، ص ١٠٢ ، الدال ذالا ، والقاف كافا والطاء تاء والعين همزة والشين سينا .

(٤) الاغاني ، ج١٥ ، ص ٣٨٠، كان زياد الاعجم لا يحسن النطق بالعربية فيلفظ العين همزة والكاف همزة والحاء هاء . ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، ص ٣٥٩ ، كان ابو العطاء السندى عنده لثغة بحيث لا يفهم كلامه . الاغاني ، ج١٧ ، ص ٣٢٨ . ابن قتيبة الشعر والشعراء ، ص٤٨٢ ، كان ابن ميادة كثير السقط في شعره.

(٥) لحن الفرزدق فاستعمل كلمة مخارير بدلا من محاسير ، وموالي مواليا ، بدلا من موال، انظر ابن سلام ، طبقات الشعراء ، ص١٣ . ابن قتيبة ، الشعر والشعراء. ، ص٢٥ . وذكر ان زياد ابن ابيه كان يلحن احيانا . انظر الجاحظ، البيان ، ج٦ ، ص٥٠ ، ولحن الحجاج . انظر ابن سلام ، طبقات الشعراء ، ص ١٠ وكذلك لحن الوليد بن عبدالملك ، انظر العيون والحدائق ، ج٣ ، ص ٨ .

ان نتاج الشعراء الموالي " الفرس " يظهر فيه بوضوح غزارة الالفاظ وحسن تنسيقها ، وغنى التعبير ، وكثرة المعاني ، مما يعكس لنا ثقافتهم السابقة التي منحتهم العمق ومكنتهم من الخلق والابتكار ، والغوص وراء المعاني بأسلوب متين جذاب [1].

اما الصور ، فقد ابتكروا صورا حديدة ، تضمنت معاني الصطوة والرهبة [2] ، بجانب الدعوة الى الرفق بالحيوان [3] ، نتيجة مسحة مانوية ، واليهم يعود ادخال الشعر القصصي للغة العربية [4].

وقد تأثر شعراء العرب بمعانيهم حينا ، والاقتباس والانتحال حينا اخر [5] ، مما ادى الى زيادة المعاني بالتوليدات والابداعات [6] ، فاتسعت المعاني تبعا لذلك ، ولتألق العرب في المأكل والملبس ، مما دفع بالشعر الى الابداع [7].

---

(١) انظر الاغاني ، ج٤ ، ص٤١٦ ، ج١ ، ص٣٢٧ ، ج٢ ص ٣٢٣، ج١٤ ، ص٢٧ ، ج٣ ، ص ٣٥٧ ، ج١٦ ، ص١٨ ، ج١٥ ، ص ٣٨٠ .

(٢) انظر ابن ميادة، الاغاني ، ج٢ ، ص٣٢٣ .

(٣) انظر قصيدة زياد الاعجم في مناجاة الحمامة ويمثل هذا الاتجاه :
الاغاني ج١٥ ، ص ٢٨٣، . البغدادي: خزانة الادب ، ج٤ ، ص١٩٤ .

(٤) انظر قصيدة اسماعين بن يسار : الاغاني ، ج٤ ، ص ٤١٦ .
انظر قصيدة زياد الاعجم الاغاني ، ج١٥ ، ص٢٨٣ .
قصيدة محمد كفافي : الفرس وحضارتهم ، ص١١ .

(٥) انتحل جرير من سلمة بن عباس قوله :
بيت زرارة محتبين بغنائه ومجاشع وابو الفوارى نهشل
انظر الاغاني ، ج٢٠ ، ص ٢٩٦ .

(٦) وانتحل الفرزدق قول ابن ميادة
لو ان جميع الناس كانوا ابتلعة وجئت بجدى ظالم وابن ظالم
انظر الاغاني ج٢ ، ص٢٦٧ .

(٧) وانتحل ابن ميادة شعر لامرؤ القيس انظر الاغاني ج٢ ، ص ٢٧٤ ج٢ ، ص ٣١١ .

وهناك عدد من التأثيرات غير المباشرة للموالي الفرس في الادب العربي ، وفي مقدمتها ظهور القصائد الطوال في الغزل لاول مرة ، انطلاقا من مبدأ الفن لذاته [١] ، نتيجة توافر المال وكثرة السراري ٠

كما ان مجالسة الشعراء العرب للزهاد من الموالي الفرس ، اثرت فيهم ، فمجالس الحسن البصري انطقت الفرزدق شعرا دينيا [٢] ، وملازمة جرير الحلقة ابن سيرين ولدت الصور الاسلامية في شعره [٣] ، واثرت بعض الافكار الفارسية الدينية في بعض شعراء العرب ، فراينا قصائد تتضمن تناسخ الارواح والرجعة [٤] .

اما النثر ، فيظهر الفرس واضحا فيما تركه الفقهاء والمحدثون والقصاصون من خطب ووصايا ، وما كتبه الكتاب من كتابات متنوعة اثروها بمعارفهم وثقافتهم القديمة ، فاقبلوا على الدراسات الدينية والعقلية ، يسهمون فيها بالحظ الاوفر ، وارتقوا بالعقل العربي من خطابة وغيرها وخرج منهم اسراب

---

(١) طه حسين : حديث الاربعاء ، ج٢ ، ص١٥ ، ١٦ ، ١٩ ٠

(٢) الاصفهاني : الاغاني ، ج٢١ ، ص٣٩١ ، المبرد : الكامل ج١ ، ص٧٠ ٠
هناك قصيدة يهجو فيها ابليس، انظر الاغاني ، ج٢١ ، ص٣٠٤ ، ٣٥٧ ، المبرد : الكامل ج١ ، ص٧٠ ، البغدادى : خزانة الادب، ج٢، ص٢٧٠ ٠

(٣) ابن عبدربه العقد الفريد، ج٣ ، ص١٦٩ ، ٠ ديوان جرير ، ص١٣٤ ، ٢٧٤ ، ٤١٥ ، ٥٠٩ ، ٠

(٤) ومن تأثر بذلك السيد الحميدى ، وكثير :
انظر الاغاني ، ج٢٦ ، ص٢٣١ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ،
الاشعرى: مقلات الاسلاميين ، ج١، ص٩٠ ، ٩١ -
ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، ص٩٦ ٠

كثيرة في الكتابة كانوا اقدر على البيان والتصرف في الالفاظ من غيرهم [(١)] .

ويلاحظ في هذا التراث النثري ، بانه مرتب الافكار ، وبارع التعبير ، ومتزن الجمل ، ومحلى بالسجع ، وقصير الجمل ، وكأنما يصاغ صوغ الامثال ، ولعل تأثير عبدالله بن المقفع واضح لتأثره باللغة الفارسية . هذا الى جانب الامثال الجديدة التي استحدثها المولدون بكثرة [(٢)] .

ويشهد النثر تقدما ملموسا في العهد الاموى ، وبخاصة فترة ما بعد التعريب [(٣)] ، حيث ارتبط التعريب بديوان الانشاء وكتابة الرسائل مما ادى الى نثر سياسي ، موضوعه الرسائل ، التي تتناول المسائل السياسية المختلفة [(٤)] ، وتكوين طبقة من الكتاب المحترفين ، تتابعت اجيالهم على مر السنين ، وكان كل جيل يضيف براعة جديدة الى براعة سلفه [(٥)] ، وكان من اشهر كتاب هذا العهد

---

(١) من اشهر من كان له تأثير الحسن البصرى . انظر المبرد، الكامل، ج١،ص٥٩ ، ومالك ابن دينار . الجاحظ البيان، ج١ ،ص٨٥ . انظر وعظ مالك ابن دينار لعمر بن عبدالعزيز في الكامل، ج١، ص١٢٣ . انظر خطب الحسن البصرى، انس ابن مالك ، يزيد ابن ابان الرقاشي، في البيان والتبيين، ج١، ص٢٠٧ .

(٢) المولدون: من ولد في ارض العرب ، ونشأ مع اولادهم، وتأدب بآدابهم امثال المولدين ما استحدث ولم يكن من كلام العرب فيما مضى .
انظر ابن منظور ، لسان العرب، ج٣ ، ص٩٨١ .
انظر الامثال ، للميداني ، ج١ ، ص٨٨ ، ١٢٠ ، ١٥٠ ، ١٩٠ . ٢٣٠ ، ٢٦٣ ، ٢٧٤ ، ٤١٧ ، ٣١٧ ، ٣٢٧ ، ٣٥٦ ، ٣٩١ ، ٤١٧ ، ٤٢٨ ، ٤٤٢ ، ٤٤٧ ، وفي الجزء الثاني ص٥٥ ، ٦٧ ، ٩٠ ، ١٢٩ ، ١٧١ ، ٢٥٧ ، ٣٢٧ ، ٣٥٨ ، ٣٨٢ ، ٤٠٩ ، ٤٢٧ .

(٣) المسعودى مروج الذهب ، ج٣ ، ص ١٩٤ .

(٤) طه حسين ، من حديث الشعر والنثر ، ص٢٧ .

(٥) الدينورى ، الاخبار الطوال ، ص٣١٨ ، ٣١٩ . (رسالة ابن القرية الى الحجاج) .

سالم " مولى هشام " [1]، وعبدالحميد الكاتب [2]، اللذين رسخا الكتابة الفنية ٠

اما سالم [3] فكان ممن تركوا تأثيرا واضحا فيمن بعده ، لبلاغته الكتابية وبراعته الفنية ، سار على نهجه من تلاه ٠

ويكمل عبدالحميد [4] الكاتب الابداع النثرى ، فيرسخ اسلوبه الذى يبسط افكاره بوضوح ، وتوليد المعاني المبتكرة ، بعد تأكيدها بشتى السبل ٠ اما جمله فقد امتازت بالتساوى والترادف والسجع ، والتأنق في البدء والختام ، فهو الذى مهد للكتاب من بعده ، فلزموا طريقته لبراعته البيانية ، والفاظه المنتخبة ، وغزارة معانيه التي اضفت على اسلوبه الروعة البيانية الخلابة ٠

ان سالم وعبدالحميد وصلاته ، بالكتابة الادبية النثرية في العصر الاموى الى كل ما كان ينتظرها من رقي وابداع [5].

---

(١) ابن النديم ، الفهرست ، ص١٧١ (روى انه نقل رسائل ارسطو طاليس ، ونقل مجموعة مئة ورقة) ٠

(٢) انظر رسالة عبدالحميد الى الكتاب ، ص ١٣٢ ، رسالته الى ولي العهد ، ص ١٣٩ ، (من ضمن رسائل البلغاء التي جمعها محمد كرد) ٠

(٣) ابن النديم ٠ الفهرست ، ص ١٧١ ، (ترك رسائل نحو ١٠٠ ورقة) ٠

(٤) ابن النديم ٠ الفهرست ، ص ١٧٠ (ترك نحو الف ورقة) ٠

المسعودى ٠ مروج الذهب ، ج٣ ، ص ٢٦٣ ٠

انظر رسائل البلغاء ، ص ١٣٢ ، رسالة عبدالحميد الى الكتاب ٠

ص ١٣٩ ، رسالة عبدالحميد ص ١٣٩ ٠

(٥) شوقي ضيف ، العصر الاسلامي ، ص ٤٧٩ ٠

بداية علم النحو [1] ، وبذلك يكون ابو الاسود هو رائد علم النحو عند العرب [2] .
ثم اكمل عمله بعد ذلك بوضع علامات الاعراب (الضمة ، الفتحة ، الكسرة ،)
في القرآن الكريم [3] .

وهكذا نشأ علم النحو استجابة لرد فعل اخطاء الموالي الذين كانوا
في امس الحاجة اليه ، فظهرت نواة هذه المدرسة ، التي اهتم بها الموالي [4] .
واشتغلوا بها ، وهم الذين مهدوا الخطوات لعلماء النحو فيما بعد فالخليل ابن

---

(١) ابن النديم . الفهرست ، ص٦٠ (اول باب وضع الفاعل والمفعول) .
ابن خلكان . وفيات الاعيان ، ج٢ ، ص٥٣٧ (اول باب وضع التعجب) .
الاصبهاني . الاغاني ، ج١٢ ، ص٢٩٩ ، (اول باب وضع التعجب) .
(٢) ابن النديم الفهرست ، ص٦٠ ، الاغاني ، ج١٢ ، ص٢٩٧ . مات ابو الاسود سنة٦٩هـ
بالطاعون . النجوم الزاهرة، ج١، ص١٦٩ . البغدادي . خزانة الادب، ج١، ص ١٣٦.
ابن قتيبة . عيون الاخبار ، جـ٥ ، ص١٩٧ . ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، ص ٤٥٨.
ابن خلكان . وفيات الاعيان ، ج٢ ، ص٥٣٥ . ابن سلام ، طبقات الشعراء، ص ٩ .
البيهقي . المحاسن والمساوئ ، ص ٤٢٢ . السيوطي. بغية الوعاة ، ص ٢٧٤ .
(٣) كانت الحركات بادئ الامر نقطا على الحرف عند الفتح بين يدي الحرف عند
الضم وتحته عند الكسر . ابن النديم . الفهرست ص ٦٠ . الاغاني ، ج١٢ ، ص
٢٩٨ . السيوطي ، بغية الوعاه ، ص ٢٧٤ .
(٤) ابن عبدربه . العقد الفريد ، ج٢ ، ص٢٧٥ ، المبرد . الكامل ، ج١ ، ص ٢٧٤ .
" مر الشعبي بقوم من الموالي يتذاكرون النحو ، فقال لهم ، لئن اصلحتموه،
انكم لأول من افسده " . ومن اشهر من اهتم بالنحو هذا العهد :
أ - حماد الراوية. الاغاني ج٦ ، ص ٧٠ ، ٧٣ .
ب - حماد بن سلمة بن دينار ، الذهبي تذكرة الحفاظ ، ح١ ، ص ٢٠٢ ، ٢٠٣ ،
السيولي . بغية الوعاه، ص ٢٤٠ (مولى ربيعة بن مالك توفي سنة ١٦٧ هـ) .
جـ - حماد الزبرقان. ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، ص ٤٨٢ .
د - خلف الاخضر ، ابن قتيبة، الشعر والشعراء ، ص٤٩٦(كان مولى لابي بردة ابن
ابي موسى الاشعري) .

احمد وسيبويه ، والاخفش والزجاج وغيرهم من العجم [1] .

الترجمة :

شهد العصر العباسي الاول نهضة فكرية من اعظم ما عرفه العالم في تاريخ النهضات الفكرية ، فقد شارك في تكوين هذه النهضة الفكرية مؤثرات اجنبية بعضها هندي وفارسي وسرياني ويوناني ، وكان هذا العصر عصر الترجمة والنقل من هذه اللغات الى اللغة العربية ، ولم تكد تمضي ٧٥ سنة على بناء بغداد حتى اصبح قراء العربية يستطيعون الاطلاع على ترجمات لأهم ما كتب في حضارات الامم السابقة ، كما انهم ملكوا ترجمات لكتب مهمة عن الهندية والفارسية ، فنقل العرب الى لغتهم في عشرات السنين ثمرات قرون من الفكر الثقافي للحضارة الانسانية .

لقد كان لهذه الحضارات اثرها على الحضارة العربية الاسلامية مما جعلها مصدرا للحضارة الانسانية في العصور الوسطى [2] .

ويهمنا في هذا المقام الحضارة الفارسية ذات الصلة القوية والعظيمة الاهمية بالنسبة للحضارة العربية الاسلامية ، لما كان لها من اثر بعيد المدى وذات نتائج مهمة في تحول وتطور الحضارة العربية ، وذلك نتيجة الاتحاد الفكري والاندماج الروحي الذي ربط بينهما .

---

(١) جرجي زيدان . التمدن الاسلامي ، ج٣ ، ص ٥٥ .

(٢) محمد كفافي : دراسات في حضارة الاسلام ص ٥٦ ، ٥٧ .

ان ترجمة تواريخ الفرس للعرب قد علم العرب ما لم يكونوا يعلمونه عن الفرس ، فجعلهم يعايشونهم في احداث بلادهم وسير ملوكهم ، وينقلون عنهم ما ينقلون ويعلمون عنهم يعلمون ليرووه ويضعوه كتبهم [1] .

واذا عدنا الى كتاب الفهرست لابن النديم فنجد فصلا في كتابه بعنوان : النقلة من الفارسي الى العربي ، فذكر ابن المقفع ، ثم أل نوبخت ، وموسى ويوسف ابن خالد ، ثم ذكر زياد التميمي ، ثم البلاذري ثم اسحق بن يزيد وغيرهم [2] .

التاريخ :-

وأول محاولة للترجمة كانت في عهد عمر بن الخطاب ، لكتاب ، " هرفتاي تاوك " ويعني كتاب السادة ، وقع هذا الكتاب للعرب اثناء فتحهم لفارس وهو لعالم دانشور عاش في بلاط يزدجرد الثالث - اخر ملوك الساسانيين - وجاء في كتاب تواريخ ملوك الفرس منذ اول امرهم حتى كسرى ابرويز ، امر الخليفة عمر بن الخطاب بترجمة الكتاب ، فلما وجد ان يمجد المجوسية طرح بين كومات الغنائم [3] .

وفي عهد عبدالملك أمر بترجمة كتاب كاهنامة ، وهو يشكل قسم من كتاب

---

(١) حسين المصري : صلات بين العرب والفرس والترك ، ص ١٣٣ .

(٢) ابن النديم : الفهرس ، ص ٣٤١ ، ٣٤٢ (طبعة القاهرة) .

(٣) حسين المصري صلات بين العرب والفرس ، ص ١٣٤ .

يسمى " أيين نامة " كتاب الرسوم ، وهو يحتوى على صور لسبعة وخمسين ملكا من الساسانيين ، وقد ألحقت بصورة كل ملك سيرته وما وقع من احداث [(١)].

وكتاب أيين نامة ترجمة ابن المقفع فيما بعد ، وافاد منه كبار المؤرخين وكتاب الاسلام كابن قتيبة والثعالبي [(٢)].

كما استفاد من الكتاب المذكور الفردوسي في الشاهنامة وبخاصة في وصف المحاربين ، وكذلك الشاعر الفارسي نظامي ٠

ونقل ابن المقفع الى العربية كتاب خداينامة ، وهو اهم اثر تاريخي اسطورى عن عهد الساسانيين ، كما نقل كتاب كليلة ودمنة ، وكتاب اليتيمة في الرسائل وهو عند العرب مضرب المثل في الفصاحة والبلاغة [(٣)].

وترجم ابن المقفع كتابين في المنطق والطب ، وكتاب فردك ، وكتاب التاج في سيرة انوشروان ، وكتاب الادب الكبير والادب الصغير ٠

وممن نقلوا عن الفهلوية (الفارسية المتأخرة) نوبخت الاهوازى (منجم المنصور) فقد ترجم له خرشادماه كتبا في الرياضة ، وترجم البلاذري نظما كتاب النصائح لأردشير وترجم جبلة بن سلم كتاب رستم اشعنديار بهرام

---

(١) حسين المصرى : صلات ص ١٣٥

(٢) عبدالعظيم قريب : مقدمة كتاب كليلة ودمنة، ترجمة نصرالله بن محمد منسي حران ١٣٢٨هـ ٠

(٣) حسين المصرى : صلات ص ١٤٣ ٠

جوبين ولعمر الفرحان كتاب المحاسن وهو كتاب في الاخلاق التعليمي ٠

اما الكتب المترجمة عن الفهلوية والتي لا يعرف مترجموها فهي كثيرة، منها " هزار افسانة " وهو اصل كتاب الف ليلة وليلة ، وخراقة ونزهة، وروزبة اليقيم ، والنمرود ملك بابل ، وبهرام ونرسي والدب والثعلب، ووصايا أردشير ، وزاد ان فروخ في تربية الولد ، ومعظم الكتب العلمية والاخلاقية المترجمة الفت على السنة الحيوان ، او على طريقة السؤال والجواب او المناظرة او نصيحة الوالد لولده ، وكان للناس شغف شديد في عهد بني العباس ٠

وقد أمر الخليفة المأمون الحسن بن سهل بنقل كتاب جاويدان ضرر " الحكمة الخالدة " الذي ينطوي على مجموعة من الحكم والنصائح التي تنسب لحكماء الهند والفرس واليونان والعرب ، واصل الكتاب منسوب الى هوشنكا احد ملوك الفرس في العصر الاسطوري ٠

وترجم الغزالي كتابا عن الفارسية عنوانه " نصيحة الملوك " ، وقد نقله الى العربية علي بن مبارك بن موهوب للاتابك الب قلج في الموصل، ولهذه الترجمة العربية عناوين اشهر : التبر المسبوك في نصيحة الملوك، وفريدة السلوك في نصيحة الملوك ٠

وهناك من اتقن كتابة الشعر الفارسي كعمر الخيام ، الذي نظم الشعر

---

(١) المرجع نفسه ص ١٤٣ ٠

بالفارسية ، واقترن اسمه بالادب الفارسي ، وشعره يربط الشعر الفارسي بالشعر العربي لما بين شعره وشعر ابي العلاء المعرى من وجوه الشبه[1].

وكتب الشعر باللغتين مسعود سعد سلمان ، فكان مجيدا في الشعرين وبديع الزمان الهمذاني ، وقابوس بن وشمكير ، وحافظ الشيرازى ، عماد الدين الاصبهاني ، ورشيد الدين الوطواط وغيرهم [2].

وبرز الشاعر جلال الدين الرومي من اهل القرن السابع الهجرى الذى يعتبر شاعر التصوف الاعظم في الادب الفارسي وكتابه المعروف بالمثنوى اروع وأشهر منظومة صوفية [3].

وبناء على المعطيات السابقة نجد ان اثر الفرس تجلى في الامور الادارية بادخال وايجاد بيوت للحجاب للدخول على الخليفة لاعطاء الحكم مظهر من مظاهر الابهة والاستعلاء ، وادخال التكهن والتنجيم بالغيب في شؤون الدولة وفق ما يقوله المنجمون ، ثم اعطاء الوزارة مهمة واسعة وهي وزارة التفويض الى جانب التنفيذ ٠

وفي المجال الاجتماعي اذاع الفرس الخمر والترف والجوارى والغلمان مما ادى الى الانحلال في المجتمع ، فتناسى كثير من العرب اخلاقهم التي بثها الاسلام وصاروا لا يأنفون من الفحشاء والمباهات بالمنكر ٠ فكثر الخلفاء الذين

---

(١) حسين المصرى : صلات بين العرب والفرس والترك ٠ ص ١٦٢ ٠
(٢) حسين المصرى : المرجع نفسه ص ١٦٥ ، ١٦٠ ، ١٥٨ ، ١٢٨ ، ١٨٨ ٠
(٣) المرجع نفسه ص ٢٣٠ ٠

تنافسوا في البذخ وتسابقوا في الابهة والمساكن والملابس والمطاعم والمشارب ٠

وفيما يتعلق بالادب ، فقد تم ترجمة كتب التاريخ ، وكتب الحكمة، والشعر ، وبرز عدد من العلماء الكبار الذين يرجعون الى اصل فارسي . واصبحت اللغة العربية لغة العلم والادب والحضارة ٠

واذا كانت هذه الاثار الايجابية فهناك اثار سلبية كالشعوبية (١) والزندقة والالحاد التي كانت ترمي الى هدم الاسلام من الداخل والقضاء على الاسلام دولته ٠

ومهما يمكن ان يقال ، فقد ساهم ابناء الفرس بعد ان اسلموا وتعلموا اللغة العربية مساهمة فاعلة في اثراء مظاهر الحياة مؤلفاتهم القيمه التي تناولت المعارف العامة والثقافة الشاملة ؛ واصبحت جزءا من الحضاره العربية الاسلامية التي كانت منارة في العصور الوسطى ، واثارت الطريق ومهدت للحضارة الغربية بما اقتبسته من علومها وفنونها وآدابها ٠

---

(١) ارجع الى فصل الشعوبية في كتاب ـ الخلافه الاسلامية حتى القرن الخامس الهجري للمؤلفين ٠

تفاعل الحضارة اليونانية مع الحضارة العربية الاسلامية :-

النقل والترجمة من اليونانية :-

يذكر ان أول اتصال للمسلمين بعلوم اليونان من التي وصلت الينا هو ان خالد بن يزيد بن معاوية المتوفى سنة ٨٥ هـ / ٧٠٤ م أمر بعض علماء اليونان الذين كانوا في الاسكندرية آنذاك بترجمة مجموعة أرسطو المنطقية من اليونانية الى العربية ، كما أمر باحضار جماعة من فلاسفة اليونانيين ممن كانوا ينزلون مصر وأمرهم بنقل الكتب في الصنعة (الكيمياء) من اللسان اليوناني والقبطي الى العربي ٠ وهذا أول نقل كان في الاسلام من لغة الى لغة [1] ، ولكن الترجمة في العصر الاموي لم تنتشر انتشارا واسعا ، وبقيت على الاكثر فردية ٠

وقد كان الفضل العظيم بمتابعة الترجمة والنقل للعباسيين حيث امدوها بالمال والرجال وقدموا لها العون والرعاية والتشجيع ٠

هذه الترجمات زجت المسلمين أمام تحديات كبيرة حيث نقل الى العربية التراث الاجنبي ، يضاف الى ذلك الاختلاط المباشر بعد الفتوحات الاسلامية ، وقد ساعد ذلك على تطور الفكر العربي و بلوغه أبعادا لم تكن في الحسبان ٠

---

(١) ابن النديم : الفهرست ، ص٤٩٧ القاهرة ١٩٤٨ ٠

انتقلت العلوم اليونانية الى الشرق العربي ، قبل ظهور الاسلام بوقت طويل ، وكان لهذه العلوم مراكز أهمها الرها وجند يسابور ونصيبين ، كما كان هناك مدارس في الاديرة ، وقد كان يسكن هناك السريان الذين اقتبسوا علوم اليونان ، واشتهرت مدرسة هامه على أيديهم وهي مدرسة حران في شمال غرب العراق والتي كانت مركزا مهما للثقافة اليونانية ، وكان أهل هذه المنطقة يتكلمون اللغة الآرامية الشرقية وكان السريان هؤلاء حلقة الاتصال بين العرب وبين اللغة اليونانية وبهم عبرت الثقافة اليونانية الى العرب ، والسريان هم قوم من النصارى يتكلمون الارامية ، فهم من الارامييين أطلقت عليهم هذه التسمية فنقل من اليونانيين الذين أسموهم السريان وكانت اليونانية لغة المثقفين منهم فنقل هؤلاء ا نقل التراث اليوناني العلمي والفلسفي الى العربية وبذلك كان هؤلاء الواسطة المباشرة بين العرب واليونانية • فقد نقلت على أيديهم علوم الطب وكتب ارسطو في التاريخ الطبيعي والفلك وعلم وظائف الاعضاء والزراعة وتربية الماشية والبيطرة والكيميا وقد تمتع السريان بحرية واحترام لامثيل له في العهد البيزنطي •

هذا بالاضافة الى المخطوطات اليونانية التي كان يحصل عليها الخلفاء المسلمون من الحكام البيزنطيين اما بالشراء أو كتعويضات عن الحروب التي كان ينتصر بها المسلمون كمعركة عمورية ، حيث كان الاباطرة يسعدون بالتخلص منها بقدر مايسعد المسلمون بالحصول عليها التي عدوها من الكنوز الثمينة • وهكذا كثرت بعثات بغداد وقرطبة الى بلاد الروم لشراء مخطوطات الاغريق بأي ثمن والتنقيب عما اختفى من تلك

المخطوطات في الاقبية والسراديب ، وانقاذ ماكان منها مهددا بالتلف والفناء . وأصابت تلك البعثات من النجاح مافاق كل تقدير [1] لذلك يعتبر العرب انهم منقذوا التراث اليوناني من الضياع والتلف ، كما نقوها من الشوائب ، وحققوا نصوصها ، ثم انتقلت الى الترجمات اللاتينية المنقولة عن الغربية ، كما انهم اقتبسوا العلوم اليونانية وطوروها وأوجدوا طرقا جديدة لفهم الطبيعة والعالم والانسان .

أسباب النقل :ـ

١ ـ أوجد الاسلام في العرب حركة عقلية ظلت تنمو وتشتد بعد يوم وتتطلع الى آفاق جديدة ومصادر جديدة ، فكانت عن طريق النقل والترجمة

٢ ـ شعور العرب بأن المجد العسكري والسياسي والاقتصادى الذى وصلوا اليه لاقيمة له مالم يقترن بالمجد العلمي والنضج العقلي ومضاهاة الامم والشعوب الاعرق في العلم والحضارة .

٣ ـ حث القرآن على التفكر والبحث والنظر وامتدح العلم والعلماء ، فاندفع العرب الى الخروج من قوقعتهم والاطلاع على عالم يعني بالافكار والانظار والمعاني ليصنعوا من عالمهم الجديد ونهضتهم العظيمة .

٤ ـ حاجة العرب الى الاسس النظرية وعلم الكلام للرد على الخصوم عن طريق المنطق . فكان المنطق اليوناني الذى استرشدوا به لتنظيم الحجج وترتيب البراهين .

---

(١) الدكتور محمد عبدالرحمن مرحبا ، المرجع في تاريخ العلوم عند العرب ص١٩٨ .

٥ ـ الحاجة الى العلوم والرياضيات ليسهل على العرب حساب وتوقيت التقويم ، وتساعدهم على تنظيم الشؤون المالية ٠

٦ ـ حاجة العرب المسلمين الى الطب بسبب انتشار امراض لا عهد لهم بها في الصحراء ٠

٧ ـ الوقوف على تجارب الامم الى تنظيم بحوثهم فاستفادوا من اليونان وغيرهم في هذا الامر ٠

٨ ـ ايقاظ عقول العرب ،قلب نظام تفكيرهم نتيجة احتكاكهم بالعناصر المثقفة، مما جعلهم يتقبلون العلوم المختلفة والبحث عنها من مصادرها الاصلية ٠

٩ ـ انتقال العاصمة الى دمشق ثم الى بغداد جعلهم اقرب الى تجارب وخبرات اليونان والروم في الشام والفرس في بغداد مما جعلهم يقبلون بشغف الى الاطلاع على تراث تلك الامم للاستفادة اكثر من تجاربهم ٠

١٠ـ الاستقرار السياسي والرفة الاقتصادى واستتباب الامن ، صرف همم العرب الى طلب العلم وتحصيل المعارف ، ومحاولة تذليل صعوبات الحياة غير المادية اذا كان الباحث من معدن كريم ، وهكذا اندفع الافراد الى طلب الكتب والاقبال عليها مهما كلف الثمن ، فطرقوا جميع الابواب ٠

١١ـ انتشار اللغة العربية بعد تعريب الدواوين فكان لا بد من الترجمة ليطلع الناس على العلوم ٠

١٢ـ العامل الانساني :ـ وذلك عن طريق رعاية الخلفاء للنقل والنقلة ٠ لما ابدوه من تشجيع ومساعدة على التنفيذ ، وكمثل على ذلك انفاق المنصور واطلاعه على علوم الامم المختلفة ، وكذلك الرشيد والمأمون الذين كان لهم اثر كبير في تنشيط حركة الترجمة وتعمقها . فشجعوا المترجمين بالاعطيات والهبات واجروا عليهم الارزاق ، وسار على طريقتهم الامراء والولاة فنشأت

دور النقل وعمت الترجمة وانتشرت الكتب في ارجاء العالم الاسلامي واقبل الناس على تحصيل العلوم والمعارف (1) .

اشهر المترجمين ومترجماتهم خلال العصر الاموى :-

انصبت الترجمة منذ البداية على نقل الكتب العلمية الى اللغة العربية كالكيمياء والطب والنجوم بينما ظلت بعيدة عن الانسانيات والالهيات اليونانية حتى العصر العباسي . ومن اشهر المترجمين في هذا العهد الراهب مريانوس الرومي الذى استخدمه خالد بن يزيد الاموى ليترجم له كتب الكيميا لاهتمامه بهذا العلم . وكذلك ماسر جويه الطبيب الفارسي الاصل السرياني اللغة قد ترجم كتب الطب اليونانية للخليفة عمر بن عبدالعزيز . وقد بقيت الترجمة فردية كما ذكرنا حتى العصر العباسي العصر الذهبي للترجمة .

في العصر العباسي :-

يعد عصر المأمون ١٩٨ ـ ٢١٨ هـ ٨١٣ ـ ٨٣٣م . هو العصر الذهبي للترجمة رغم محاولات من سبقه من الخلفاء العباسيين مثل والده هارون الرشيد الذى انشأ بيت الحكمة المركز العلمي العظيم والاكاديمية الكبيرة في بغداد، حيث كان الرشيد قد استقدم الكتب من بلاد الروم ، فعندما فتح عمورية امر قواده بالمحافظة على مكتباتها وما فيها من كتب وتصانيف ، ثم انتدب صا ثفة من العلماء الذين يحذقون اليونانية والسريانية لفحص ما تحويه تلك المكتبات

---

(1) د . محمد عبدالرحمن مرحبا ، المرجع في تاريخ العلوم عند العرب ص ٢٠٥ .

من كتب الطب والفلك والفلسفة والرياضيات وغيرها . فقام هؤلاء العلماء بجلب تلك الكتب الى بيت الحكمة ، وتولى الطبيب يوحنا بن ماسويه قيم بيت الحكمة الاشراف على ترجمة تلك الكتب .

وفي ايام المأمون وصل نشاط بيت الحكمة الى اقصى غاياته حيث استجلب المأمون ما استطاع ان يحصل عليه من كتب جزيرة قبرص والقسطنطينية واصفهان ، حيث اتسع نطاق العمل في بيت الحكمة لتحوى خزائن هائلة من الكتب بما كان يأتي اليها من كتب اليونان وفارس والهند . لقد وضع المأمون الاموال الهائلة تحت تصرف القائمين على بيت الحكمة ، الذى اقيم ليكون مقرا لنقل الكتب المحمولة من هنا وهناك الى اللغة العربية ، وبكثافة هائلة لتصبح الكتب وما تحويه من علوم عربية ، لتتحول مع مضي الزمن الى ثقافة عربية ، بعد تهذيبها والاضافة اليها ، وبشرحها وتأويلها للتلاءم مع الروح العربية الاسلامية .

وفي بيت الحكمة هذا انتقل العلم من الرواية الى الدراية ، ومن الترجمة الى التأليف ، ومن النقل والسرد الى الاجتهاد والبحث والاستقصاء ، وازدهر الانتاج العقلي في ارجاء العالم الاسلامى .

وكان من اشهر النقلة من اليونانية الى العربية :-

١ - ماسرجويه الذى ترجم اول موسوعة طبية يونانية الى العربية فى عهد عمر بن عبدالعزيز وكان الكتاب المفضل لتعلم الطب في مدرسة جنديسابور ، وكان لهذا الكتاب تأثير كبير في ما اقتبسه الاطباء السريان والعرب فيما بعد .

٢ - ابو يحي البطريق : قام بترجمة كتاب الاربع مقالات في صناعة احكام النجوم لبطليموس .

٣ - الحجاج بن يوسف " ابن المطران ترجم كتاب المجسطي لبطليموس ، ويمكن ان نقول انه ساهم بترجمته لان لهذا الكتاب عدة ترجمات في العربية .

٤ - سهل بن ربان الطبرى ، الذى ترجم كتاب الاصول لاقليدس .

٥ - جو رجيس بن بختيشوع طبيب المنصور الذى كان مترجما من اليونانية الى السريانية وله كتاب في الطب نقله حنين بن اسحق الى العربية .

٦ - جبرائيل من آل بختيشوع وهو طبيب هارون الرشيد ، وكان هذا يرعى الترجمة من اليونانية الى العربية ، وقد اقترح على الرشيد ارسال بعثة للتفتيش عن المخطوطات اليونان من اجل ترجمتها وقد كان لآل بختيشوع هؤلاء دور بارز في حركة الترجمة الطبية .

٧ - يوحنا بن ماسويه :- وقد كان اول من عين قيما على بيت الحكمة في ايام الرشيد ، وقد اشرف على ترجمة الكتب التي جاء بها الرشيد من بلاد الروم ، وقد كان يوحنا يتقن العربية والسريانية واليونانية بالاضافة الى مهارته في الطب .

٨ - حنين ابن اسحق ويعد شيخ المترجمين في العصر العباسي بالاضافة الى شهرته في الطب ، يتقن العربية والسريانية واليونانية والفارسية ، كان يجول البلاد باحثا عن الكتب العلمية اليونانية قام بترجمة كتاب (البرهان) لجالينوس ، كان رئيس بيت الحكمة في عهد المأمون ، ترجم الى العربية سبعة كتب من كتب ابقراط ، ونقل مصنفات جالينوس في الطب ، وترجم كتب (الاقراباذين) .

٩ - اسحق ابن حين بن اسحق وكان فصيحا في العربية زاد على فصاحة

ابيه [1] • راجع كتاب الاصول لأقليدس ، وكتاب الكرة والاسطوانة لارخميدس، وكتاب ارسطوطاليس في النبات •

١٠ـ ثابت بن قرة :ـ كان يحسن العربية واليونانية والسريانية والعبرية لكتب الرياضيات والفلك ، اشتغل بالهندسة التحليلية ، ابولونيوس الثمانية في المخروطات ، واصلح ترجمة كتاب المجسطي لبطليموس •

١١ـ سنان بن ثابت بن قرة :ـ له دور كبير في انشاء البيمارستانات المتحركة لمعالجة اهل المناطق النائية • نقل الى العربية كتاب نواميس هرمس •

١٢ـ قسطا بن لوقا البعلبكي :ـ يوناني الاصل ، برع في نقل الكتب الطبية والرياضة والفلكية كما ترجم كتبا فلسفية ، وترجم كتاب الحيل لهيرون وكتاب السماء لتيوفراسطس، وكتاب الفلك الصغير وهي مجموعة رسائل فلكية لعدد من علماء اليونان القدماء•• وله عدد كبير من اصلاحات للترجمات التي سبقته •

وكان النقل من اليونانية الى العربية محصورا في فنون العلم والفلسفة ولم يلتفت الى الادب والشعر ، ذلك لاعتزاز العرب بشعرهم واعتباره القمة في الادب والفصاحة ، بالاضافة الى امتلاء الادب اليوناني في الدعوة الى الوثنية وتمجيد الالهة التي لم ترق للمسلمين لاعتزازهم بدين التوحيد لذلك اهتموا فيما كانوا يحتاجون اليه من العلوم لا سيما الطب وعلم الفلك والرياضيات والهندسة •

---

(١) ابن النديم . الفهرست ص٤١٥ •

اثر الترجمة والنقل على الحضارة العربية الاسلامية :-

نستطيع ان نجمل اثار النقل من اليونانية الى العربية بنواحي ثلاث :-

أ - في الفكر الاسلامي

ب- في اللغة الاسلامي

ج - في المنهج ٠

لا شك ان الفكر الاسلامي كان مهيئا لتلقي العلوم المنقولة وهضمها بسهولة ويسر ، حيث تمخضت عن هذه الحركة عقلية جديدة تغيرت على اثرها نظرة الانسان المسلم الى نفسه والى محيطه مما جعله بعيد النظر في معنى الحياة والوجود والمصير ٠ فبعد الترجمة انتقل علماء العرب الى الانتاج العلمي الاصيل ، بسرعة مذهلة فما كادوا يتدارسون الكتب المنقولة الى لغتهم حتى سعوا الى تطبيقها ، ثم انتقلوا الى الابتكار والاكتشاف فصححوا اخطاء اليونان ، واكملوا بحوثهم الناقصة وقد برزت ابتكارات العرب في الطب والكيمياء والفلك والرياضيات والتاريخ وعلم الاجتماع والفلسفة ، فاغنى العلماء المسلمون التراث العقلي الانساني بكثير من المعاني والافكار ، وبهذا غدت الامة العربية الاسلامية وريثة الفكر اليوناني ، والقيمة على ذخائر الثقافة والفن ، والممثلة الوحيدة للحضارة الانسانية الرفيعة في العصور الوسطى كلها ٠ وقد شملت الحركة العقلية كل شئ من مظاهر الحياة ، ولا غرابة في ذلك فان العرب ذوو حضارة عريقة تمتد جذورها في الوجود الانساني ، فبعثت وجودها وتفاعلت وانجزت وابدعت وخلفت لابنائها وللاجيال الانسانية حضارة عظيمة كانت احدى الحلقات الحضارية الانسانية الدائمة ٠

ب ـ في اللغة العربية :ـ من مميزات اللغة العربية انها ذات طواعية اشتقاقية ونحتية تمكنها من التعبير الدقيق عن الافكار العلمية والفلسفية ، وهذا الذى مكنها من هضم التقاليد السامية القديمة وهيأ للعلم العربى تمثيل العلوم اليونانية والايرانية والهندية . وبهذا استوعبت العربية كثير من الاصطلاحات والتراكيب الفنية والالفاظ العلمية ، وهضمت عددا كبيرا من الكلمات الاجنبية ، وتحولت بفترة وجيزة الى لغة عالمية. فاصبحت لغة الدين والحكمة والفلسفة والسياسة والتجارة والكتابة والتأليف . وبذلك صارت لغة العلم والحضارة ، فالغت اللغة السريانية لغة المشرق سابقا ، واصبحت كذلك اداة التطور والابتكار استطاعت العربية ان تتسع العلوم والفلسفات المختلفة فاستوعبتها ومن ثم تفاعلت مع اللغات الاخرى من يونانية ولاتينية لترفدها بمفرداتها ، وان اللغة العربية بقيت اطول فترة من فترات التاريخ الانسانى من عمرها الطويل الذى لم يكتب لغيرها من اللغات. وان اللغة عامة ليست وسيلة للتخاطب فحسب ، بل هى وعاء للفكر والعاطفة ، والمشاعر والأمال والألام ، ووعاء للتاريخ والمنطق . وهكذا كانت اللغة العربية لغة المجتمعات التى وصلتها من اسبانيا فيّ اوروبا مرورا بافريقيا امتدادا الى اواسط اسيا واطرافها .

استطاع العلماء العرب عن طريق النحت والاشتقاقّ من بنية اللغة الاساسية مصطلحات العلوم والفلسفة ، فاصطفوا مفردات الطب والنبات والحيوان والطبيعة والكيمياء والفلسفة ، فاصبحت اللغة العربية لغة العلم والثقافة والمنتديات الراقية واداة طيعة في ايدى الباحثين والعلماء ، فكان للترجمة اثار عظيمة في الادب والشعر والمعانى ، كما دخل الى العربية مفردات لا مثيل سابق لها

مثل الهندسة والجوهر وكيمياء وموسيقى وزنديق وديباج وابريق وعود ..الخ.
كما دخل اللغة العربية كلمات مشتقة من العربية نفسها ذلك لان اللغة العربية غنية بالتعابير الحسية ، وبعد الترجمة اعطت الكلمات القديمة معاني جديدة ، حيث ان الكلمات المعربة اخذت تقل شيئا فشيئا لتحل محلها كلمات عربية قد تحولت عن معانيها المألوفة الى معان جديدة مثل التحليل ، والمغالطة ، المقولات والتعاليم والرياضيات ، العبارة ، الجدل ، السياسة وغيرها .

ج ـ اثر الترجمة في المنهج :ـ

استفاد العرب من المقاييس والمدارك الاجنبية في معالجة علومهم الشرعية والعقلية واللغوية وفي تنسيق الكتب وتبويبها ، وفي العناية بالتعريف والتنظيم والتقسيم والمقارنة والتسلسل في عرض الافكار والاراء والمذاهب والمعتقدات ، وبالتالي في صقل التفكير وكبح العشوائية والارتجال فيه [1].

---

(١) د. محمد عبدالرحمن مرحبا ، المرجع في تاريخ العلوم عند العرب ص ٢٤٠ .

الباب الرابع

مظاهر الحضارة العربية الاسلامية

المظهر السياسي والاداري

ـ وحدة الخلافة ، الشورى ، سلوك الموظفين

الدواوين ، الوزارة ، القضاء ، الحسبة ...

....

....

......

.....

...

..

.

وحــدة الخلافــة :ـ

معنى كلمــة خلافـة ، الخلافــة لغــة مصدر خلـف [1]٠ اى جاء بعـــده .

واول من اطلـق عليـه لقـب خليفـة هـو ابـو بكـر الصديـق حيث خلـف الرسـول في حراسـة الديـن وسياسـة الدنيـا بـه ، ويقـول ابن خلـدون في مقدمتـه : والخلافـة هي حمـل الكافـة على مقتضـى النظـر الشرعـي في مصالحهـم الاخرويـة والدنيويـة الراجعـة اليهـا ، اذ أحـوال الدنيـا ترجـع كلهـا عنـد الشـرع الى اعتبارهـا بمصالح الآخـرة فهي في الحقيقـة خلافـة عن صاحـب الشـرع في حراسـة الدين والسياسـة الدنيـا بـه ٠ وقـد اجمع فقهـاء المسلميـن وعامتهـم على وجـوب الخلافـة ، وكان ذلـك منـذ بدايـة الخلافـة عندمـا خطـب ابو بكـر بقولـه يـوم السقيفة "٠٠ **ان محمدا قد مضى لسبيله ، ولا بد لهذا الامر من قائم يقوم به** " وقـد صدقـه القـوم ولم يقـل لـه واحد منهـم ، ان الدين يصلـح من غيـر قائـم بـه [2] وعلـى العمـوم فان ابا بكـر قـد لقـب بخليفـة رسول الله وتولـى رئاسة المسلمين او رئيس الدولـة الاسلاميـة ، وقـد لقب الخليفـة بواحدة من الالقـاب الثلاثة التالية :

١ ـ **الخليفــة** : وقـد لقب به كل من تولى امـور المسلمبن بعد الرسـول صلى الله عليه وسلم ٠

٢ ـ **الامــام** : وقد سمي بذلـك لانـه يـؤم المسلمين بصلاتهـم ، وفي تدبير شـؤنهـم ورعايـة مصالحهـم ٠ " وان تسميتـه أمـا مـأ

---

(١) انظـر : لسان العرب ج١ ـ ٤٣٠ ـ ٤٣٧ ٠

(٢) د ٠ صبحي الصالح النظم الاسلامية ص ٢٨٢ ٠

فتشبيها بام الصلاة في اتباعه والاقتداء به " [1] لذلك يقال عن الخليفة عند تسميته بالامام " الامامة الكبرى " كي يتميز عن الامامة الصغرى في الصلاة وغير ذلك .

واما الشيعة الهاشميين فقد سموا علي بن ابي طالب باميـر المؤمنين وقد دعى العباسيون السفاح اول خليفة عباسي باميـر المؤمنين [2] .

٣ ـ امير المؤمنين : واول من دعي بهذا الاسم هو عمر بن الخطاب وقد توارثه الخلفاء من بعده ، لانه كان من الصعب تسمية الخلفاء بخليفة خليفة .. رسول الله ، وان امير المؤمنين جاءت من اعتبار الخليفة هو امير القوم وقائدهم في الحرب . وان لقب امير المؤمنين لم يلغ اسم الخليفة بل كان الخليفة يلقب باى من الالقاب الثلاثة الخليفة ، او امير المؤمنين ، او الآمام .

الشروط الواجب توفرها في خليفة المسلمين :-

يترتب على رئيس الدولة اعمال هامة ، وهو منصب خطير لا بد من ان يتصف من يتولى الخلافة بصفات وتتوافر فيه الشروط التالية :-

١ ـ **الاسلام** : حيث لا يجوز ان يكون الخليفة كافرا حيث اوجب القرآن على المسلمين اطاعة المسلم بقوله تعالى :

" **ياأيها الذين أمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم** " [3].

---

(١) ابن خلدون المقدمة ص ٢٤٩ .

(٢) المصدر نفسه ص ٢٥٠ .

(٣) سورة النساء أية ٥٩ .

وبقوله تعالى " ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيْ " (1) وفي هذا تحريم على المسلمين ان يقبلوا كافرا حاكما عليهم .

٢ ـ العلم : اى ان يكون عالما بشؤون الدين والاحكام الشرعية . وقد اشترط بعض العلماء ان يكون الخليفة مجتهدا (2) ويقول ابن خلدون "لا يكفي من العلم الا ان يكون مجتهدا ، لان التقليد نقص والامامة تستدعي الكمال في الاوصاف والاحوال " (3) .

بينما لم يشترط البعض الاجتهاد في الامام لتعذرها في كثير من الظروف لا سيما في القرون المتأخرة (4) .

٣ ـ العدالة : المقصود بالعدالة ان يكون المرشح لهذا المنصب الخطير قائما بالفرائض والاركان متوقيا الكبائر من الآثام لا يصر على الصغائر وان يكون صادق اللهجة ، ظاهر الامانة ، بعيدا عن الريب ، مأمونا وقت الرضاء والغضب مستعملا لمروة مثله في دينه ودنياه ، لا يجاهر بمعصية، ولا يجوز في الحكم (5).

٤ ـ الحرية : حيث لا يجوز للعبد ان يتولى الحكم لانه لا يملك حريته فكيف يملك امور الآخرين .

---

(1) سورة آل عمران أية ٢٨ .
(2) انظر : الماوردى : الاحكام السلطانية ص ٦ .
(3) ابن خلدون : المقدمة ص ٢١٢ .
(4) انظر : الشهرستاني : الملل والنحل ج١ ص ١٦٠ .
(5) د. محمد عبدالقادر ابو فارس : القضاء في الاسلام ص ٣٧ .

د ـ سلامة الحواس والاعضاء : والمقصود بذلك تلك التي يؤثر فقدانها على القيادة كفقدان البصر والنطق والسمع والرجلين او اليدين مما يشوه منظر الخليفة وتسقط هيبته عند الآخرين ٠

٦ ـ البلوغ : وهو شرط للتكليف فلا يكلف الصغير بشيْ من الاحكام الا بعد بلوغه ، والامامة من التكاليف الشرعية ذات العبء الثقيل ٠

٧ ـ الذكورة : وذلك لان الرجل اقدر من المرأة واكفأ على تحمل المسؤولية لقوله تعالى " **الرجال قوامون على النساء** " [1] وان المرأة عاجزة شرعا عن امامة الناس في الصلاة وان الرجل اكثر حزما من المرأة بسبب تمتعها بعاطفة جياشة ٠

٨ ـ العقل : وذلك لان فاعد العقل لا يستطيع قيادة نفسه فكيف يقود امور الامة ويتولى شؤونهم ٠

٩ ـ الكفاءة : وذلك ان من واجبات الخليفة ان يضبط مصالح الامة ، شجاعا يقود الجيوش ، له رأي سديد ذو حنكة سياسية ، له علم باحوال الرجال واخلاقهم وكفاءتهم يقول ابن خلدون حول هذا الشرط : " وان يكون جريئا في اقامة الحدود ، واقتحام الحروب ، بصيرا بها ، كفيلا يحمل الناس عليها ، عارفا باحوال الدهاء ، قويا على معاناة السياسة ، ليصح له بذلك ما جعل اليه في حماية الدين ، وجهاد العدو ، واقامة الاحكام ، وتدبير المصالح ٠" [2] ٠

---

(١) سورة النساء أية ٣٤ ٠

(٢) ابن خلدون ، المقدمة ص ٢١٢ ٠

١٠ ـ **النسب القرشي** : ان يكون من نسل قريش . وقد اختلف العلماء بهذا الشرط كما اختلفت الفرق بذلك . فالسنة والشيعة وبعض المعتزلة يرون ان يكون الامام قرشيا وقد استدلوا على ذلك بحديث عن الرسول قوله " **الائمة من قريش** " ، وان بعض الفرق ترى ان النسب القرشي ليس شرطا لتولي الخلافة وقال بهذا الرأي الخوارج وبعض المعتزلة .

واجبات الخليفة :ـ من خلال معنى الخلافة ومن خلال الشروط الواجب توفرها في الخليفة ، يمكن ان نستنتج واجباته وقد حصرها الماوردى بعشرة واجبات [1] :ـ

١ ـ حفظ الدين على اصوله المستقرة .

٢ ـ تنفيذ الاحكام المتشاجرين ، اى القضاء .

٣ ـ حماية البيضة والدفاع عن الحريم ، ليأمن الناس على عمالهم عند اسفارهم .

٤ ـ اقامة الحدود ، لحفظ حقوق الناس .

د ـ تحقيق الشعور بالعدة المانعة والقوة الدافعة .

٦ ـ جهاد من عاند الاسلام بعد الدعوة حتى يسلم .

٧ ـ جباية الفيء والصدقات وما اوجبه الشرع .

٨ ـ تقدير العطايا وما يستحق في بيت المال .

٩ ـ استكفاء الامناء وتقلد النصحاء فيما يفوض اليهم من الاعمال .

---

(١) الماوردى ، الاحكام السلطانية ص١٥ ـ ١٧ .

١٠ - ان يباشر بنفسه مشارفيه الامور وتصفح الاحوال لينهض بسياسة الامة وحراسة الملة ٠

تطور الخلافة الاسلامية :- يمكن ان نوجز بان الخلافة مرت بثلاثة مراحل ٠ الخلافة الراشدة والاموية والعباسية ، مع تجزئة الخلافة في المرحلة الاخيرة الى ثلاث عباسية وفاطمية واندلسية ٠

الخلافة الراشدة :- حيث تحقق بها فكرة الشورى ومثل الاسلام الاعلى في العدل بين الناس ولم تستطع الانسانية " على ما جربت من تجارب ، وبلغت س رقي ، وعلى ما بلغت من فنون الحكم ، وصور الحكومات ، ان تنشئ نظاما سياسيا يتحقق فيه العدل السياسي والاجتماعي بين الناس على النحو الذى كان ابو بكر وعمر يريدان ان يحققاه " (١) وقد انتخب الخلفاء الراشدون جميعا عن طريق الترشيح والمشاورة وقبول اكثر الزعماء المسلمين ثم موافقة سائر الامة ٠ فلم يكن هناك اكراه او ضغط او استعمال للسلاح في تعيينهم انما جرى الانتخاب باتفاق وتأييد الاكثرية ٠

الخلافة الاموية :- عندما انتقلت الخلافة للأمويين غيروا وبدلوا مبدأ الشورى الى التوريث فاصبحت الخلافة يورثه الاب الى ابنه وابقوا على طريقة المبايعة التي كانت تؤخذ من الناس بالرضى او بالكره احيانا ، ويستند الحكم الى السياسة اولا والدين ثانيا كما ادخلت كل مظاهر الابهة التى تمتع بها القياصرة (٢) ٠

---

(١) طه حسين ، الفتنة الكبرى ص ٦ عن [illegible] ي الصالح النظم الاسلامية ٠
(٢) انور الرفاعي : النظم الاسلامية ص ٥ ٠

وقد كانت المدينة المنورة عاصمة الخلافة الراشدة بينما دمشق اصبحت عاصمة الدولة الاموية وكان لذلك اثر كبير في تأثير اهل البلاد المفتوحة في سياسة الدولة وسلطتها ٠

الخلافة العباسية : - انتهت الخلافة الاموية عام ١٣٢هـ بسقوط دمشق وقيام الدولة العباسية التي دامت حتى سقوط بغداد عاصمتهم عام ٦٥٦ هـ على يد هولاكو خان ٠ وقد استعمل العباسيون نفس طريقة الامويين بالتوريث الا ان تأثير الفرس جعلهم يعتقدون ان حقهم في الملك مستمد من الله وان الخليفة شخص مقدس واصبح ظل الله في الارض واتضح ذلك من قول المنصور " انما انا سلطان الله في ارضه " ٠

وفي اواخر العصر العباسي ضعف امر الخلفاء واستقلت كثير من الدويلات بادارة شؤونها ، وبقي امراؤها يعترفون بسلطان الخليفة الديني ويرسلون له الاموال مقابل اعتراف الخليفة الشرعي لهم بالامارة كي تكون شرعية هذا يدل على ان العالم الاسلامي بقي متماسكا ، ورغم ان امراء البويهيين والسلاجقة الذين سيطروا على مركز الخلافة ابقوا على الخليفة كصورة من صور الشرعية لوحدة الدولة الاسلامية ، الا انه نشأت خلافة اسلامية اخرى الى جانبها في مصر والشام وهي الفاطمية ، كما سمّى الامراء الامويون انفسهم بالخلفاء ، وقد ادعى كل من هذه الخلافات الثلاث الشرعية على اعتبار انه لا يجوز ان يكون في الدولة الاسلامية سوى خليفة شرعي واحد وهذا يثبت بالاجماع ان الخلافة وحدة واحدة وان الدولة هي واحدة وليست دولا كما حدث في العصر الثاني العباسي نتيجة ضعف الخلفاء ٠ وقد اخذ العثمانيون لقب الخلافة من أخر الخلفاء العباسيين في القاهرة كي يضفوا

على حكمهم الصفة الدينية الشرعية .

وحدة الخلافة :- معنى هذه الوحدة ، انه لا يجوز ان يكون للمسلمين امامات في وقت واحد ، يشتركان في ادارة امور المسلمين . كما انه لا يجوز ان يكون امامان يستقل كل منهما في جزء من الدولة الاسلامية ، وذلك لان الوطن الاسلامي وطن واحد لا يجوز ان يتجزأ تحت ادارات مختلفة ، لذلك عندما قامت خلافة الفاطميين في مصر وخلافة الامويين الثانية الاندلس ، لم يجرها معظم علماء المسلمين واعتبروا هذه الخلافة او تلك باطلة .

الشورى :-

يقال شاوره مشاورة اى طلب منه المشورة وشاورته في كذا واستشرته راجعته لارى رأيه فيه . واشار علي اي اراني ما عنده فيه من المصلحة فكانت اشارة حسنة [1] ويمكن ان نستنتج معنى الشورى بأنه تغليب الرأي واختباره من قبل ذوي العقول والافهام للتوصل الى افضلها واحسنها ليعمل به .

لقد اهتم الاسلام بمبدأ الشورى ، وجعل حياة المسلمين تقوم على الشورى بينهم ، وقد تحدثت سورة الشورى بينهم لقوله تعالى " والذين استجابوا لربهم واقاموا الصلاة وامرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون " [2] وقد جاء القرآن بمثل على الشورى بقصة بلقيس التي اوردها القرآن الكريم بقوله تعالى **" قالت يا ايها الملأ افتوني في امرى ما كنت قاطعة امرا حتى تشهدون "** [3] كما ان في حياة الرسول امثلة كثيرة على اعتماده مبدأ

---

(١) انظر : لسان العرب ج٦ ص ١٠٣ - ١٠٦ .
(٢) سورة الشورى اية ٣٨ .
(٣) سورة النمل أية ٣٢ .

الشورى في حكمه لا سيما في امور الحرب كما حدث في اكثر غزواته كما هو الحال باستشارته المسلمين بشأن القتال في معركة بدر الكبرى كما تكرر ذلك في غزوة الخندق واحد ، كما ان الرسول شاور الصحابة بامور كثيرة اذا لم ينزل بها وحي ٠

وقد قام الصحابة بعده بممارسة الشورى بحياتهم السياسية ، وكانت اولاها في سقيفة بني ساعدة ، عندما تشاوروا في امر من يكون خليفة المسلمين بعد وفاة الرسول ، وبعد مناقشات استقر رأيهم ان يكون ابو بكر خليفة للرسول فبايعوه اي قبلوا به متوليا لامرهم ٠ وان ابا بكر خلال خلافته كان يشاور الصحابة في امور الدولة منها عند سماعه عن ردة العرب ، فوقف على رأي الصحابة فكان قراره بمحاربة المرتدين ، وقد اتخذ عمر وعلي وغيرهما مستشارين له ٠ كما فعل ذلك عمر بن الخطاب ٠ وقد انتقل هذا المبدأ الى قادة الجيوش ، حيث كان القادة يستشيرون جنودهم قبل دخول المعارك ، فانتصروا بذلك ، فقد اورد المؤرخون عدة قصص منها :
" في اثناء الفتح الاسلامي لارض فارس طلب قائد جيش الفرس ان يلتقي بالقائد العربي قبل المعركة ليتفاوض معه في حقن الدماء ، وبعد ان عرض الفارسي مقالته، قال العربي امهلني حتى استشير القوم ، فدهش الفارسي وقال : الست امير الجند ؟ قال : بلى ٠ قال الفارسي : اننا لا نؤمر علينا من يشاور ٠
قال له العربي : ولهذا نحن نهزمكم دائما ٠ اما نحن لا نؤمر علينا من لا يشاور [(١)] .

---

(١) الحرية السياسية في الاسلام ص ١٨٨ نقلا عن كتاب سراج الملوك للطرطوسي ٠

فوائد الشورى برأي الاسلام والمسلمين :-

امر الله رسوله بان يشاور اصحابه في جميع الاحوال والظروف فقد نزلت الآية الكريمة بعد هزيمة المسلمين في معركة احد : **" فاعف عنهم واستغفر لهم وشورهم في الامر "** وان هذا الامر هو حكم اساسي من احكام الاسلام، وان على المسلمين ان يقتدوا به ، ويذكر لنا امير المؤمنين علي بن ابي طالب فوائد الشورى فيقول في المشورة سبع خصال :- استنباط الصواب ، واكتساب الرأي ، والتحصن عن السقطة ، وحرز من الملامة ، ونجا من الندامة وألفة القلوب ، واتباع الاثر " (١) .

حكم الشورى :-

الشورى واجبة على المسؤول عند المسلمين بقوله الى **" فيما رحمة من الله لنت لهم ، لو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ، فاعف عنهم واستغفر لهم ، وشاورهم في الامر ، فاذا عزمت فتوكل على الله " (٢).**

وبذلك بالنسبة لغيره من الحكام انه اوجب • وقد قرن القرآن الكريم الشورى باقامة الصلاة ، قال تعالى **" والذين استجابوا لربهم واقاموا الصلاة وامرهم شورى بينهم " (٣) .**

وبهذا يكون طابع الجماعة الاسلامية في كل حالاتها هو طابع الشورى،

---

(١) ابو سالم محمد بن طلحة القرشي ص ٤٣ عن النظام السياسي في الاسلام د• محمد عبد القادر ابو فارس •

(٢) سورة آل عمران اية ١٥٩ •

(٣) الشورى أية ٣٨ •

(٤) سورة الغاشية أية ٢٢ •

وان الدولة هي افراز طبيعي للجماعة ، وبهذا يكون الشورى هى احدى السمات المميزة للجماعة الاسلامية التى اختارها الله لقيادة الناس جميعا ٠

ولا يجوز للحاكم ان يمتنع عن الاستشارة لان وقوفه على رأيه وحده هو استبداد والاستبداد يؤدي الى الظلم والظلم ظلمات يوم القيامة ، حرمه الله على نفسه وجعله بين الناس محرما ٠ والاستبداد ممنوع في الشريعة الاسلامية ، لم يرتضيه الله سبحانه وتعالى ، فقال لرسوله الكريم " لست عليهم بمصيطر " (١) وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم اكثر الناس استشارة لاصحابه ، واحيانا كان يستشير في قضاياه الخاصة ، وشؤون اهل بيته (٢) وان في حياة الرسول واعماله اثباتات كثيرة انه كان يستشير الصحابة ويأخذ برأى الاغلبية حتى وان خالفت رأيه مثل مشاورته لجماعته يوم احد حيث اخذ برأى الاغلبية رغم مخالفة رأيهم لرأيه ، كذلك يوم الخندق ، اخذ برأى الانصار اهل المدينة ، وكذلك كان قد اخذ برأى الصحابة حين عسكر فى مكان مناسب لقتال المشركين ٠

وهناك قضايا كثيرة تثبت ان الخلفاء الراشدين ، كان موقفهم كموقف الرسول من المشاورة ومناقشة الامور ، وان الصحابة قد جهدوا ان يتم انتخاب الخلفاء بطريقة ما من طرق الشورى ، وقد ذكرنا ان يوم السقيفة كان يوما مشهودا من المناقشات ليتوصل المجتمعون الى قبول ابى بكر اول الخلفاء ومن ثم مبايعته ، وان البيعة ما هى الا نوع من ابداء الرأى بالقبول بالخليفة

---

(١) سورة الغاشية آية ٢٢ ٠

(٢) د ٠ محمد عبدالقادر ابو فارس : النظام السياسى فى الاسلام ٠

كرئيس للدولة الاسلامية ٠

اما المواضيع التي يستشار بها فانها ذات ميدان فسيح تشمل جميع امور الناس واحوالهم ، ما لم يكن في هذا الامر او الحال نص قرآني او حديث نبي ، لان الشورى اجتهاد ، ولا اجتهاد في مورد النص ، ودليل ذلك ان الصحابة كانوا يسألون الرسول قبل ابداء الرأي او المشورة هل هذا الامر موحى به من عند الله ام هو اجتهاد منه ، فان كان اجتهاد ابدوا مشورتهم به ٠

لم يرد نص على طريقة الشورى بل تركت للمسلمين لانهم ادرى بامور حياتهم ، وان الحياة في تطور مستمر ، والكيفية التي تقوم بها المشورة تعتمد على القضية ، لان ما يصلح في زمن معين ، قد لا يصلح لازمان مستقبلية، وهذا دليل واضح على مرونة الاسلام ، وكان المهم في نظر الاسلام ان تقوم حقيقة الشورى في المجتمع وان تتحقق في المجتمع الاسلامي ، سواء من حيث الحكم او الواقع الاجتماعي ٠

اما اهل الشورى فهم عامة المؤمنين لقوله تعالى " **وشاورهم في الامر** " و " **وامرهم شورى بينهم** " واذا عدنا الى الذين كان يشاورهم الرسول فهم الصحابة من المهاجرين الاوائل والانصار السابقين ، حيث كان هؤلاء من اهل الخبرة والتجربة ، وهم الذين اقاموا دولة الاسلام الاولى في المدينة ، وهم اهل العلم الذين اخذوه عن الرسول بمصاحبتهم له ، فكانوا الصحابة الاوائل عن جدارة بقدراتهم وعلمهم ٠ وفي العهد الراشدي كان هؤلاء ايضا اهل الشورى ، فكان هؤلاء مجلس شورى للخليفة ٠ وان السؤال من هم مجلس الشورى ! بالقياس الى مجلس الشورى الاوائل هم اصحاب الرأي، وقادة الفكر ، اصحاب الاختصاص والخبرة بامور الحياة ، وان هنالك شروطا يجب ان تتوفر في هؤلاء

منها الاسلام ، البلوغ ، الحرية ، والعلم ، والعدالة ، المواطنة .

اما واجبات اهل الشورى فيمكن ان نوجزها بما يلي :-

١ - اختيار الخليفة " رئيس الدولة " اختيارا اوليا ومن ثم يعرض امره على العامة للموافقة عليه استنادا الى اختيار الخلفاء الاوائل .

٢ - معالجة القضايا العامة ، والمساعدة في ادارة شؤون البلاد .

٣ - الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لا سيما ان صدر ذلك عن مسؤولي الدولة سواء كان ذلك من الرئيس او المظوفين .

٤ - يمكن لمجلس الشورى ان يعزل اى موظف قام بتعيينه اذا قصر بواجباته او تراجع عن العقد الذى تعاقد مع المجتمع عليه من واجبات ، سواء كان رئيس الدولة او موظفيها .

هكذا نجد ان مبدأ الشورى هو من مبادئ الدولة الاساسية فى النظام الاسلامى بما يتناسب مع الوضع الذي تعيشه ، وان مسؤولية ذلك فرض وواجب على كل فرد من افراد المجتمع .

موظفو الدولة الاسلامية :-

كان النبي هو الذي وضع أول الموظفين على اقسام الجزيرة العربية التي انضمت الى الاسلام ، حيث بدأ بنيب عنه بعض الموظفين او العمال ، الذين تلخصت أعمالهم في امامة الناس في الصلاة ، وجمع الزكاة وتفقيه الناس في دينهم • كما ان الرسول كان ينيب عنه احيانا في قيادة بعض السرايا الحربية • وقد كان الرسول يختار هؤلاء الولاة او القادة من الذين يحسنون العمل ، يراقبهم بدقة ويطلع على اخبارهم ويحاسبهم وفي عهد ابي بكر ابقى على الولاة الذين عينهم الرسول • وقد قسمت الجزيرة العربية الى اثنتي عشرة ولاية كان اهمها مكة والطائف وصنعاء وحضرموت ونجران والبحرين • وقد جرى ابو بكر على معرفة احوال العمال واستقصاء اخبارهم وكان يختار اكثرهم علما وعملا وعدلا • ولما جاء عمر بن الخطاب قسم الدولة بسبب اتساعها الى اقسام ادارية كبرى ، وامر الولاة ببناء مدن خاصة لتكون مراكز للولايات يسكنها العرب الجند ، حيث كان حريصا الى عدم اختلاط العرب باهالي البلاد المفتوحة حتى لا يضيعون بالكثرة التي سيطروا عليها • وقد كان عمر ذا اساليب عديدة ودقيقة في معرفة احوال الولاة والولايات • الا انه ضعفت السيطرة على الولايات في اواخر عهد عثمان وكانت الفتنة التي ادت اخيرا الى ظهور الدولة الاموية ، حيث اهتموا بالولايات فكانوا يعينون الولاة من افراد البيت المالك او الاعوان المخلصين • وقد سار على نفس الطريقة الخلفاء العباسيون الاوائل ، اما في العصر العباسي الثاني فقد ضعفت سيطرتهم على الولايات مما ساعد على تفكك الدولة العباسية •

وكانت الولايـة او الامـارة على البلـدان على نوعين ، امـارة خاصـة او عامة.
والامـارة العامة على نوعين ، استكفـاء :

استكفـاء : وهي ان يعين الخليفـة اميـرا بعقـد بنظـر بجميع امـور الولايـه ٠ او
امـارة **استيلاء** وهي ان يستولـى شخـص مـا علـى ولايـة ، ومن ثـم يعتـرف بـه الخليفة
مقابـل دفـع ضريبـة معينـة ٠

واما الامارة الخاصة : هي ان يكـون الامير مقصـور الامـارة على تدبيـر الجيـش
وسياسـة الرعيـة وحمايـة البيضـة ٠ وليس لـه ان يتعرض للقضـاء والاحكـام
والجبايـة الخـراج والصدقـات ٠

الدواويـن :-

اول من انشـأ الدواويـن هو الخليفـة عمـر بن الخطـاب الـذى اشار بـه عليـه
احـد مرازبـة الفـرس ليرتـب امـور الدولـة بعـد اتسـاع الفتـوح [(١)].

وقـد كـان اول ديـوان هو ديـوان الجنـد لمعرفـة مـا يخص الجنـود من العطاء.
وديـوان الجبايـة وهـو ديـوان الخـراج الـذى يسجـل فيـه مـا يـرد الـى بيـت
المـال ومـا يفـرض لكـل مسلـم من العطـاء " الراتـب " ٠

بـدأ اول ديـوان مركـزى في المدينـة حيـث سجـل جميـع العـرب به لان عمـر
اعتبـر كـل عربـي مسلـم هـو جنـدى ، لذلـك وجـب لـه العطـاء ٠ امـا في البـلاد
المفتوحـة فكـان هنـاك دواويـن فرعيـة ابقاهـا العـرب بلغـة اهل البـلاد
المفتوحـة حسبمـا كانـت تكتـب سابقـا في العراق وايران بالفارسية ، وفي الشام
بيزنطيـة ، وفي مصر قبطيـة ، وقـد بقيـت حتى عهـد عبدالملـك بن مروان الامـوى

---

(١) ابي يعلـى : الاحكام السلطانية ص ٢٢١ ٠

وابنه الوليد حيث عربت ٠

تطور الدواوين في العصر الاموي :ـ [1]

احتاج الامويون بسبب اتصالهم مع الامم الاخرى ، واتساع دولتهم الى تطوير الادارة وتوسيع نطاق واعمال الدواوين لذلك انشئت دواوين جديدة وكان اهم الدواوين هي :ـ

١ ـ **ديوان الخراج** :ـ وقد انشئ في عهد عمر وبقي حتى نهاية الدولة العباسية ٠

٢ ـ **ديوان الجند** :ـ وهو الديوان المسؤول عن تسجيل الجند وعائلاتهم وحصر اعطياتهم ٠

٣ ـ **ديوان الرسائل** :ـ وهو دائرة رسمية تشرف على مراسلات الخليفة مع الامصار او مع الدول الاجنبية ٠

٤ ـ **ديوان النفقات** :ـ مهمته تتمثل في صرف ما ينفق على تسليح الجيش ورواتبه والبسته ، والتوزيع على مرافق الدولة ٠

٥ ـ **ديوان المستغلات** :ـ وهو مسؤول عن الايرادات المتنوعة ٠

٦ ـ **ديوان الصدقات** :ـ وهو مسؤول عن توزيع موارد الزكاة حسبما جاء بأية الصدقات ٠

٧ ـ **ديوان البريد** :ـ لتنظيم الاتصالات الرسمية ٠

٨ ـ **ديوان الخاتم** :ـ وهو مسؤول عن الارشيف والسجلات بوضع نسخة من المراسلات الرسمية ٠

---

(١) صبحي الصالح : النظم الاسلامية ص ٣١٤ ـ ٣١٥ ٠

اما في العصر العباسي فقد تجددت موضوعات الدواوين وتطورت جمعت الدواوين بسجلات ، وانشاء دواوين جديدة مثل ديوان المصادرات ، يسجل فيه الاموال المصادرة . كما انشئ ديوان الازمة وهي دوائر صغيرة تشرف على اعمال الدواوين الاخرى وهو ما يشبه ديوان المحاسبة في الوقت الحاضر . ثم انشئ ديوان مركزي اسموه ديوان زمام الازمة . وقد انشئ ديوان المظالم في عهد المهدى للنظر في شكاوى الشعب على المسؤولين . وهو مسؤول عن املاك الدولة .

وديوان الاستخراج وهو دائرة رسمية تسعى الى تتبع اخبار واعمال الوزراء والكتاب والحجاب لايصالها الى الخليفة . وديوان الخاصه وهو ينظر اموال الخليفة واملاكه .

الوزارة :-

كلمة وزارة مشتقة من احدى الكلمات وزر بفتح الواو والزاى وهو الملجأ " كلا لا وزر " او الوزر بكسر الواو وتسكين الزاى وتعني الحمل الثقيل او الأزر وهو الظهر [1] .

نشأة الوزارة وتطورها في الدولة الاسلامية :-

منصب الوزارة ليس غريبا بل معروفا عند المسلمين منذ عهد النبي (ص) حيث ان كثيرا من الناس دعوا ابا بكر وزير النبي الذى كان يرافقه دائما ،

---

(1) انظر : لسان العرب ج٧ ص١٤٥ - ١٤٦ .

وان عمر بن الخطاب كان يعتبر وزيرا لابي بكر وان عليا وعثمان وزيرين لعمر وهكذا كان الخلفاء الراشدون يتخذون من اصحاب الخبرة والحنكة السياسية وزراء لهم دون مراسيم او تسمية واضحة بل من الناحية العملية ·

وكذلك الامر في عهد بني امية الذين استوزروا المخلصين لهم دون قواعد معينة بطريقة التعيين او التسمية او المهام ·

وفي العصر العباسي تطورت الادارة ومهامها واصبح للوزارة قوانين وقواعد ونظام ، واتسع مفهومها حيث اصبحت تعني المشاركة الفعلية في ادارة شؤون البلاد ، والتدخل في امور الدولة الهامة كالامور المالية والسياسية والحرب واسرار الدولة ·

وقد مرت فترة من الحكم العباسي صار فيها الوزير هو المتنفذ الاول في الدولة ، له سلطة كسلطة الخليفة يولي ويعزل الولاة ويتدخل في العطاء والمظالم (1) .

كان الوزراء قبل العباسيين مساعدا لاولي الامر بالرأي والمشورة ، وان اول الوزراء الذين دعوا بهذا الاسم له صلاحيات واسعة هو ابو سلمة الخلال ، الذي كان يدعى وزير آل محمد قبل قيام الدولة العباسية وقد اتخذه السفاح اول الخلفاء العباسيين وزيرا رسميا له وقد اشتهر بالكرم والعلم (2)

---

(1) ابن كثير ، البداية والنهاية ج١٢ ص ٧٢ ·

(2) ابن الطقطقي ، الفخري في الاداب السلطانية ص ٥٢ - ١٥٥ ·

وقد عرف العرب نوعان من الوزارة في العصر العباسي وزارة التفويض ووزارة التنفيذ ٠

نوعا الوزارة :ـ

أولا وزارة التفويض :ـ

هو ان يعهد الخليفة أو أحد ولاة الاقاليم شخصا يفوض اليه تدبير أمور الدولة أوالولاية برأيه وامضاء ها على اجتهاده ، ويجوز له ان يستعين بمن شاء من المسلمين ، ويعزل من يشاء من الولاة غير الاكفياء ليحقق الاهداف التي يمن من أجلها وهي مصلحة العباد ورعاية شؤون البلاد والقيام بما التزم به من تحقيق الثغور واقامة الحدود واقتحام الحروب (١)

ويشترط فيمن يتولى وزارة التفويض ان يتوفر فيه الشروط المطلوبة في الخليفة ماعدا النسب القرشي (٢)

مهام وزير التفويض :ـ

١ ـ له ماللخليفة من سلطان ٠ وذلك بسبب تفويض أموره للوزير

٢ ـ النظر في المظالم ٠

٣ ـ يتولى ولاية الجهاد ٠

٤ ـ تنفيذ الامور التي يديرها ٠

٥ ـ وأخيرا يحق له ان يستنيب عنه ٠

---

(١) الماوردى : الاحكام السلطانية ، ص ٢٢

(٢) المصدر نفسه : ص ٢٢ ٠

وتخرج من سلطاته ثلاثة أمور :-

١ - لايجوز له ان يعين ولي العهد فهي من مهام الخليفة وحده .

٢ - اعفاء الخليفة من العمل .

٣ - لايجوز له ان يعزل من يعينه الخليفة ، بينما يجوز للخليفة ان يعزل من يعينه الوزير .

ثانيا :- وزير التنفيذ :-

وهو ان يقوم الخليفة بتعيين شخص مالتنفيذ ماويوكل اليه من أمور وينقل أخبار الولاة والرعية اليه كما ينقل تعليماته واوامره الى الولاة والامراء والقضاه وسائر الرعية [1] .

لذلك كانت الشروط الواجب توافرها في ان يتولى وزارة التنفيذ دون شروط وزير التفويض ، وان بعض الفقهاء لم يشترطوا الاسلام بل أجازوا ان يكون ذميا أوعبدا . بينما رفض ذلك بعضهم الآخر [2] .

صلاحيات وزير التنفيذ :- [3]

١ - تسيير الجيوش وتجهيزها .

٢ - تفقد أسرار الدولة بتوصيلها الى الخليفة .

٣ - يشارك في الرأي اذا أراد الخليفة ذلك .

٤ - ينفذ مايصدره الخليفة من أحكام .

---

(١) أبويعلى الفراء : الاحكام السلطانية : ص ٣٠

(٢) تفسير ابن كثير : جـ٢ ، ص ١٠٣ - ١٠٤

(٣) الماوردي : الاحكام السلطانية : ص ٢٥ - ٢٦ .

٥- نقل أوامر الخليفة بتعيين الولاة أو عزلهم ٠

ويذكر هنا انه يمكن ان يوجد أكثر من وزير تنفيذ في الدولة كما ان هناك وزير مركزى في العاصمة ووزراء تنفيذ في الاقاليم ٠

الفرق بين الوزارتين في المهام :-

أ - يجوز لوزير التفويض مباشرة الحكم والنظر في المظالم بينما لايجوز لوزير التنفيذ ٠

ب - يجوز لوزير التفويض تعيين الولاه ، بينما لايجوز ذلك لوزير التنفيذ

جـ - يتصرف وزير التفويض بأموال الدولة وليس ذلك لوزير التنفيذ ٠

القضـاء :-

القضاء منصب الفصل بين الناس في الخصومات ، حسما للتداعي وقطعا للتنازع ، بالاحكام الشرعية المتلقاه من الكتاب والسنه [1] ، وولاية القضاء كان يتولاها شخص يعاونه أشخاص آخرون أقل منه مرتبه ، ولم تكن أعمال ولاية القضاء واحدة في كل العصور الا انها وضحت في أواسط العصر العباسي في القيام بالاعمال التاليه :- [2]

١ - النظر في الحدود ، وان لم يتقدم أحد في الشكوى ٠

٢ - النظر في الاوقاف ٠

---

(١) ابن خلدون : المقدمة : ص ١٧٣

(٢) انظر : الاحكام السلطانية للماوردي : ص ٥٨ - ٦٠ والمقدمة لابن خلدون ص ١٧

٣ - ان يكون عاقلا حرا غير مجنون مشهور عنه الفطنة •

٤ - ان يكون حرا أو من كان عبدا •

٥ - ان يكون مسلما اذ انه لايجوز لغير المسلم القضاء بين المسلمين •

٦ - سلامة الحواس والبصر والنطق •

٧ - ان يكون عالما لان العلم صفه ضرورية للقاضي •

٨ - ان يكون مشهورا بالعدل ملتزما بواجبات الشرع مجتنبا للمحرمات •

مجلس الحكم أو مجلس القاضي :-

كان يعقد مجلس الحكم في مسجد العاصمة الكبير ، حيث ان المساجد وقتئذ لم تكن تقتصر على أداء الصلاه ، ولنما أيضا كانت مكانا للفصل في أمور الناس أو تعليمهم أو حتى تصرف أمور تجارية ، وكان أحيانا يجلس القاضي في داره للقضاء •

كان مجلس القضاء يعقد علنا في أيام محدده • وكان يتكون عادة من القاضي والشهود العدول والموقعين الذين يكتبون مايدور في الجلسة والحجاب الذين يدخلون المتخاصمين وأحيانا من موظف خاص يقوم بتنفيذ مايصدره القاضي من الاحكام يعرف بصاحب الشرطة ، وكان المتخاصمون يظهرون بمفردهم أو مصطحبين معهم وكلاء أى مايشبه المحامين حاليا •

كان القاضي في البداية يجلس ببساطة حتى منتصف القرن الرابع الهجري ، حيث أصبح يلبس زيا خاصا يسمى الطيلسان أوزى القضاء الخاص كان يجلس على مخده وخلفه مسند وأمامه كرسي توضع عليه الدواه ، وكان

الشهود يجلسون حوله ٠

كان مايدور في الجلسة يسجل يسمى سجلات الحكم أو دواوين الحكم تحفظ في بيت القاضي أوفى المسجد فيما بعد ٠

كان الحكم في القضايا يسير وفق القرآن والسنه فان لم يجد كان يسير وفق اجتهاده وكان ذلك قبل ظهور المذاهب ، وقد ظهر فيما بعد منصب المفتي وهو من المتفقهين في الدين ٠ (١)

كان القاضي يتناول مرتبا عاليا لخطورة وحساسية عمله ٠ وكان أحيانا بعض الفقهاء يحجمون عن قبول القضاء خوفا من المسؤولية أو وقوعهم تحت نفوذ المسؤولين ، ومن هؤلاء أبوحنيفة الذى رفض قبول القضاء رغم تهديد الخليفة المنصور العباسي بسجنه (٢) ٠

وبما ان الدولة الاسلامية كانت تضم الذميين أيضا فقد اهتم المسؤول بتنظيم القضاء لهم حيث كان رجال الدولة منهم يتولون القضاء لهم ولايتدخل فيه قضاة المسلمين ، اذ أجاز الفقهاء تقليد الذمي القضاء لاهل الذمة (٣) وكان يدعى قاضيهم باسم قاضي النصارى أوقاضي العجم لاسيما في الاندلس ٠

---

(١) انظر الماوردى : الاحكام السلطانية : ص ٣ ومابعدها ٠

(٢) ابن خلدون : وفيات الاعيان : جـ٣ ، ص ٧٤ ـ ٧٨ ٠

(٣) الماوردى : الاحكام السلطانية : ص ٥٤ ٠

قضاء المظالم :-

معناه منع الظلم عن الرعية الذي يأتي من القوى أو الفساد في الدواوين المركزية أو الادارة المحلية أو من ذوى الجاه والمراكز في الدولة وقد كان ينظر فيه الخليفة نفسه أومن ينوب عنه من كبار رجال الدولة ويظهر ان أصله الفارسي ، كما مارسه العرب في الجاهلية في حلف الفضول وأول خليفة جلس لقضاء المظالم بنفس الاسم هو عبدالملك بن مروان ٠ واذا عين الخليفة من ينوب عنه كان يختار موظفا يكون عظيم الهيئة عالي اليد له سطوة قوية ، لذلك كان يقوم به الوزراء على الاكثر ٠

كان مقر المظالم هو مقر الخلافة ٠أو قصره ٠ وكان المتظلمون من ساحة الشعب أوالمستضعفين من العاصمة أوالاقاليم ، وكانت أهم القضايا التي تعرض ، التظلم من الاشتطاط في جمع الضرائب ، أومن الجزية أومن سوء معاملة الموظفين للأهالي ٠

الحسبه :-

كلمة الحسبة مشتقة من حسبك أي يكفيك ، وهو منصب يقوم به شخص يدعى المحتسب ، وهو منصب ديني خلقي أساسه الامر بالمعروف اذا ظهر تركه والنهي عن المنكر اذا ظهر فعله [1] ٠

ولكن الحسبه تطورت فيما بعد بالاضافة الى عملها السابق الى

(١) ابن خلدون : المقدمة : ص ١٧٨ ٠ الماوردى ٠ الاحكام السلطانية ص ٢٠٨

واجبات مادية تتفق مع المصالح العامة للمسلمين ، كما تطورت الى خدمات اجتماعية واقتصادية ·

نشأت الحسبه منذ عهد الرسول حيث انه كان أول محتسب كما كان الخلفاء بعده محتسبين كما هو الحال بالنسبة لعمر بن الخطاب كمـــا عرفها فيما بعد الامويين والعباسيين حيث أفردوا فيما يلي ·

١ ـ الامور الاجتماعية وهي :ـ

أ ـ المحافظة على النظافة في الطرق ·

ب ـ الرأفة بالحيوان وان لايحمل بما لايطيق ·

جـ ـ رعاية الصحة ·

د ـ الرأفة بالاطفال ومنع معلمين من الضرب ·

هـ ـ مراقبة الحانات ومنع تبرج النساء ·

٢ ـ الامـور الاقتصـادية :ـ

أ ـ مراقبة الاسواق من حيث الاسعار والموازين والمكاييل ·

ب ـ منع الغش في الصناعات والمعاملات ·

٣ ـ مراقبة العبادات ، وقت الصلاة في الجمع والاعياد ومـع الافطار في رمضان

٤ ـ مراقبة الابنية والطرق ، وهو ماتفعله البلديات في الوقت الحاضر وهـدم الابنية التي منها خطر على الناس ، والامر ببناء الاسـوار ·

٥ ـ القضاء ببعض الدعاوى ، مثل دعوى التقليل في الو ـن أوالكيل ، أوالغش في البضاعة أوبسعر عال أو الاستغلال ·

٦ ـ هناك بضعة أعمال كان يقوم بها المحتسب وأعوانه مثل الدعوة الى عمل الخير وبناء المبرات والرفق بالضعفاء ٠

ويذكر هنا ان المحتسب كان يباشر العمل بنفسه أوعن طريق معاونية دونما حاجة للقيام دعوى أومشتكي ، حيث كان هؤلاء يجوبون الاسواق يمنعوا الشر أويوقفوه ٠

الباب الخامس

- المظهر الفكرى :
- العلوم الطبيعية : الرياضيات ، الفيزياء ٠
- العلوم الفلسفية ٠
- العلوم الاجتماعية ٠
- العلوم الدينية (علوم القرآن ، والتفسير والفقه) ٠

- المظهر الفكرى :

العلوم الطبيعية :

الرياضيات :

لقد أخذ العرب عن الهنود نظام الترقيم ، حيث رأوا أنه أفضل من النظام الذي كان شائعا عندهم وهو نظام الترقيم على حساب الجمل ٠

وكان لدى الهنود أشكالا كثيرة للأرقام فوحدوها وهذبوها وكونوا منها سلسلتين : عرفت احداهما بالارقام الهندية وهي الشائعة الآن في الكثير من البلدان البلدان العربية " ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ " ٠ وعرفت الثانية بالارقام الغبارية ٠ وقد انتشر استعمالها في بلاد المغرب والاندلس وعرفت بالارقام العربية ٠ وأوجد العرب طريقة الاحصاء العشرى وعرفوا الصفر واستعملوا له النقطة وابتكروا علامة الفاصلة للكسر العشرى (١) ٠

وللصفر فوائد كثيرة ٠ فقد ساهم في تسهيل الترقيم وتسهيل جميع أعمال الحساب اذلولاه لما سهلت الاعمال الحسابية ، ولولاة لما أمكن حل الكثير من المعادلات الرياضية من مختلف الدرجات بسهولة ، ولولاه أيضا لما تقدمت فروع الرياضيات تقدمها المشهور (٢) ٠ وتوسع العرب في بحوث النسبه وقسموها الى ثلاثة أقسام :

العددية والهندسية والتأليفية وعرفوا كيفية استخراج الأنغام والألحان من النسبة الاخيرة ٠

وأكثر العرب من الامثلة في مؤلفاتهم وطرحوا مسائل عملية تناولت مايقتضيه العصر من معاملات تجارية ، والصدقات والبيع والشراء وتوزيع الغنائم والرواتب ٠ وكان محمد بن موسى الخوارزمي أول من وضع الارقام

---

(١) قدرى طوقان : العلوم عند العرب ص ٥٢ ومابعدها - مكتبه مصر دار مصر للطباعه ، ١٩٦٠ ٠
(٢) قدرى طوقان : ص ٥٤

الغنائم والرواتب • وكان محمد بن موسى الخوارزمي أول من وضع الارقام الهندية في مؤلفاته وكتبة في الحساب وقد نقل كتابه في الحساب الى اللغة اللاتينية وبقي زمنا مرجعا للعلماء [1] .

واشتغل العرب بالجبر وبرعوا فيه فقد قال (كاجوري) " ان العقل ليدهش عندما يرى ماعمله العرب في الجبر •• وهم أول من أطلق لفظة جبر على العلم المعروف الآن بهذا الاسم • وعنهم أخذ الافرنج هذا الاسم وأول من ألف فيه محمد بن موسى الخوارزمي في زمن المأمون • فكان كتابه في الجبر والمقابلة منهلا أخذ منه علماء العرب والغرب بحيث أصبح القول بأن الخوارزمي صنع علم الجبر وعلم الحساب للناس أجمعين [2]

وعرف العرب المعادلات الجبرية وحلوا بعض معادلات الدرجة الثانية بطرق هندسية واستعملوا الرموز في المعادلات الرياضية ووضعوا حلولا جبرية وهندسية لمعادلات ابتدعوها مختلفة التركيب [3] ، كما استطاعوا حل معادلات الدرجة الثالثة ، وبذلك جمعوا بين الهندسية والجبر واستخدموا الجبر في حل بعض الاعمال الهندسية ، واستخدموا الهندسة لحل الاعمال الجبرية ، فكانوا واضعي أسس الهندسة التحليلية ، ومهدوا لنشأة علم التكامل والتفاضل [4] .

وعرف العرب الجذور الصماء فكان الخوارزمي أول من استعمل كلمة أصم لتدل على العدد الذى لاجذر له • ومهدوا لاكتشاف اللوغاريتمات فعرف (ابن حمزة) ببحوثة في المتواليات العددية والهندسية • وكان من الذين

(١) عبدالحليم منتصر : تاريخ العلم : ص ٨٩ •
(٢) قدرى طوقان : العلوم عند العرب : ص ٥٥
(٣) قدرى طوقان : ص ٥٦ ومابعدها •
(٤) عبدالحليم منتصر : تاريخ العلم : ص ٨٩ •

مهدوا الطريق الى كشف اللوغاريتمات · وكتب العرب في حساب المثلثات حيث نهل الغرب من كتبهم [1] وخرج العرب ببحوثهم الفلكية من النظريات الى العمليات · فقالوا باستدارة الارض ونظموا الازياج [2] ووصفوا الاسطرلاب وضبطوا حركة الشمس وفاقوا غيرهم في مجال رصد النجوم والكواكب وصنع آلاتها ·

وبهذا فان العرب يكونوا قد قاموا بدورهم في التطور الفكري وهيأوا الاسباب بذلك الظهور التفكير العلمي الحديث ·

وفيما يلي موجز عن كل من الرياضيات والفيزياء من مجالات العلوم الطبيعية :

الحساب :

أخذ العرب الارقام والصفر عن الهنود (فهذبوها واستخدموها في الترقيم) (تدوين الاعداد) وفي المسائل الحسابية وجعلوا الصفر دالا على الجزء الخالي في العدد · فابتكروا بذلك المراتب اي الخانات ·

٤٩ ، ٤٠٩ ، ٤٠٩٠ ، ٤٠٠٠٩ ، ٤٩٠٠ الخ ...

وظهرت الارقام والصفر مرسوما نقطة في كتب عربية وألفت منذ سنة ٢٧٤هـ/٨٧٧م قبل أن تظهر في الكتب الهندية [3] · وقد كان لاستخدام الارقام والصفر أثر في حل المسائل الحسابية وتدوين الكسور العادية والعشرية وأمكن بناء المعادلات ·

وابتكر العرب علامة الكسر العشري وتنسب الى العالم الرياضي غياث الدين جمشيد الكاشي وفي كتابه (الرسالة المحيطية) وردت النسبة بين

(1) منتصر : تاريخ العرب ، ص ٩٠
(2) والزيج جدار للنجوم وحركاتها ·
(3) عمر فروخ : العلوم عند العرب : ص ١٣٣ ·

محيط الدائرة وقطرها وهي التي يطلق عليها (ط) بالكسر العشرى · قد أعطى قيمة (٢ ط) لستة عشر رقما عشريا كما يلي :

٢ ط = ٦/٢٨٣١٨٥ ، ٧١٧٩٥٨٧٦٥ ·

ولم يعرف ان أحدا سبقه في ايجاد هذه النسبة بهذه الدقة ·

وقسم العرب الحساب الى غبارى : وهو الذى يحتاج الى ورقة وقلم وهوائي وهو الحساب الزمني وهذا لايحتاج استعماله الى أدوات وله قوانين وطرق خاصة · وهذا كبير الفائدة للتجار في رحلاتهم وفي أسواقهم ، كما يحتاجه العوام خاصة · الذين لايعرفون الكتابة ، والخواص اذا لم تتيسر أدوات الكتابة ·

وقد وضع العرب مؤلفات كثيرة في الحساب ترجمت الى اللغات الاجنبية وقسموا الحساب الى أبواب منها مايتعلق بالاعداد الصحيحة ومنها مايتعلق بحساب الكسور ومنها فصول للجمع والتضعيف وفي التصنيف والتفريق (الطرح) وبعضها في الضرب والقسمة وفي استخراج الجذور ، وكان لكل منها طرقا معينة وأسلوبا خاصا في اجراء العمليات منها ماهو خاص بالمبتدئين مما يصلح للتعليم وأجادوا في بحوث النسبة وأ كثروا من الامثلة والتمارين في مؤلفاتهم وجاؤا بمسائل تدور حول مايقتضيه العصر ومايتعلق بالمعاملات التجارية والمواريث والمرتبات والغنائم والصدقات كما عرفوا المتواليات الحسابية والهندسية وعرفوا قواعد استخراج الجذور لجمع المربعات المتوالية والمكعبات ·

وكان من العلماء الذين اهتموا بالرياضيات الكندى (ت٢٥٢هـ/٨٦٦م) فقال ان الفلسفة نفسها لاتفهم الا بالرياضيات · والرياضيات تكون بالبراهين

لا بالاقناع الشخصي ولابالظن [1] .

كما اهتم أبوبكر محمد بن الحسن الكرخي (ت ٤٢٠هـ / ١٠٢٩ م) بالحساب والجبر ، كما كان ابن البناء المراكشي (ت ٧٣١هـ / ١٣٢١ م) بارعا في الجانب العملي من الحساب تعليما وتأليفا . ومن كبار الرياضيين المشهورين غياث الدين جمشيد الكاشي (ت ٨٤٠هـ / ١٣٤٦ م) صاحب كتاب (مفتاح الحساب) . وقد بحث الكاشي في معظم أبواب العلوم الرياضية في الارقام والاعداد والحساب والمساحة (الهندسة المستوية) والمثلثات والفلك وكانت براعته في توسعه في استخدام الارقام الهندية [2] .

الجبر :

اشتغل العرب بالجبر وبرعوا فيه كثيرا وهم أول منْ استعمل كلمة جبر للدلالة على العلم المعروف الآن بهذا الاسم . وعنهم اخذ الافرنج هذه اللفظة فسموه (Algebra) . وكان أول من ألف فيه محمد بن موسى الخوارزمي (ت ٢٣٢هـ / ٨٤٦ م) في عهد الخليفة العباس المأمون ويعتبر واضع علم الجبر في كتابه " الجبر والمقابلة " حيث كان هذا الكتاب مصدرا اعتمد عليه الاوروبيون في بحوثهم في هذا المجال . وقد أحدث هذا الكتاب تقدما في علمي الجبر والحساب بحيث صح القول بأن الخوارزمي واضع علمي الجبر والحساب [3] .

وذكر الخوارزمي أنه وجد ان الاعداد التي يحتاج اليها في حساب الجبر

---

(١) عمر فروخ : تاريخ العلوم عند العرب ، ص ١٣٨ .

(٢) انظر عمر فبروخ : تاريخ العلوم عند العرب ، ص ١٣٣ ومابعدها .

(٣) عبدالحليم منصر : تاريخ العلم : ص ٩٤ . محمد عبدالرحمن مرحبا : الموجز في تاريخ العلوم عند العرب ، ص ١٢٩ .

والمقابلة ثلاثة أنواع هي الجذر والمال والعدد المفرد .

فالجذر : هو شيء مضروب في نفسه من الواحد فما فوقه من الاعداد ومادونه من الكسور ، وهو الشيء المجهول وعلامته شيء ثم اختصرت فأصبحت ش ثم س

والمال : مربع الجذر أو الشيء : $س^2$ مثلاً .

والعدد المفرد : الحد الذي لاجذر معه وهو كل ملفوظ به من العدد بالانسبة الى جذور ولا الى مال وهو العدد الخالي من (س) .

ومن ذلك يتضح ان العرب عرفوا حل المعادلات من الدرجة الثانية كما عرفوا حل المعادلات من الدرجة الثانية ذات المجهولين وحلو معادلات من قوى أعلى فتجلت عبقرية الخوارزمي عندما وضع المعادلة الشاملة التي هي الاساس التي قامت عليه معادلات الدرجة الثانية : $س^2 + ٢١ = ١٠ س$.

وفي باب المساحة من كتاب الجبر والمقابلة للخوارزمي عمليات هندسية حلها بطرق جبرية مما يشير الى أن العرب كانوا أول من استعان بالجبر في حل مسائل هندسية . فكان الخوارزمي قد خلق علما من معلومات مشتته غير متماسكة اذ لم يعثر على كتاب الخوارزمي [1] .

واستخدم علماء العرب الرموز في الاعمال الرياضية وسبقوا الغربيين في هذا المجال . فاستخدموا لعلامة الجذر الحرف الاول من كلمة جذر (جـ) أى مايقابل $\sqrt{\ }$.

وللمجهول الحرف الاول من كلمة شيء (شـ) بمعنى ش .

ولمربع المجهول : الحرف الاول من كلمة مال : (مـ) بمعنى $ش^2$

عبدالحليم منتصر : تاريخ العلم ، ص ٩٣ ومابعدها .

محمد عبدالرحمن مرحبا : الموجز في تاريخ العلوم عند العرب ، ص ١٢٩ .

ولمكعب المجهول : الحرف الأول من كلمة كعب (ك) بمعنى ش[٣]
ولعلامة المساواة حرف (ل) أي مايقابل (=) .

وللنسبة ثلاث نقط (...) أي مايقابل :

أما علامة الجمع فكانت عطفا بلا (واو) .

واشتهر من علماء العرب في الرياضيات : الخوارزمي وأبوكامل قسطا ابن لوقا وسنان بن أبي الفتح وبهاء الدين العاملي وابن البناء والقلصادي وابن الهيثم وثابت بن قره . وقد ثبت ان ثابت بن قره أعطى حلولا هندسية لبعض المعادلات التكعيبية وكذلك الخازن والخيام وابن الهيثم واستخدموا الهندسة لحل بعض الاعمال الجبرية وبذلك وضعوا أسس الهندسة التحليلية . وكان الخوارزمي أول من استعمل كلمة أصم لتدل على العدد الذى لاجذر له . ووجدوا طرقا لايجاد القيم التقريبية للأعداد والكميات التي لايستخرج جذرها ، ومهد ابن يونس وابن حمرد لاكتشاف اللوغاريتمات التي شاع استعمالها بعد ذلك .

الهندسة :

يقول ابن خلدون (١) : الهندسة هي النظر في المقادير اما المتصلة كالخط والسطح والجسم . وأما المنفصلة كالاعداد . وما يعرض بها من العوارض الذاتية .

لقد ترجم العرب كتاب الاصول لإقليدس وزادوا على نظرياته وقد ألف العرب على غراره وأدخلوا تمارين جديدة لم يعرفها القدماء مثل ابن الهيثم والبيروني ، وابتكروا الحلول الجديدة لها (٢) .

وعرف العرب المربعات السحرية . وقسموا الهندسة الى نوعين : عقلية وحسية . فالحسية معروفة المقادير وهي مايرى بالبصر ويدرك باللمس والعقلية مايعد ويفهم (٣) .

وكتب العرب في المساحات والنجوم وتحليا المسائل الهندسية

---

(١) مقدمة ابن خلدون : ص ٩٠١

(٢) محمد مرحبا : الموجز في تاريخ العلوم عند العرب . ص ١٣ .

(٣) منتصر : تاريخ العلم ، ص٩٥

واستخراج المسائل الحسابية كما كتبوا في موضوعات تقسيم الزاوية الى ثلاثة أقسام متساوية ورسم المضلعات المنتظمة وربطها بمعدلات جبرية وكيفية ايجاد نسبة محيط الدائرة الى قطرها .

ومن أشهر العلماء العرب في علم الهندسة : الحسن بن الهيثم الذى سخر الهندسة بنوعيها المستوية والمجسمة للبحوث الضوء وتعيين نقطة الانعكاس في المرايا الكرية والاسطوانية والمخروطية المحدبة منها والمقعرة (١)

ولثابت بن قرة مؤلفات وابتكارات في الهندسة التحليلية ووضع كتابا في الجبر بين فيه علاقة الجبر بالهندسة . واستعمل بنو موسى الطريقة المعروفة الآن في انشاء الهيكل الاهليلجي . وهي أن تغرس دبوسين في نقطتين وتأخذ خيطا طوله أكثر من ضعف البعد بين النطتين وتربط الخيط من طرفة وتضعه حول الدبوسين وتدخل فيه قلم رصاص فعند ادارة القلم يتكون الشكل الاهليلجي وتسمى النقطان بؤرتي الاهليلجي (٢)

ويعتبر البوزجاني من أشهر الذين برعوا في الهندسة . وقد زاد على بحوث الخوارزمي زيادات تعتبر أساسا لعلاقة الهندسة بالجبر (٣) .

المثلثات والفلك :

كان العرب من أوائل واضعي علم حساب المثلثات . وهم أول من ألف فيه بطريقة علمية منتظمة . اذ استعملوا الجيب بدلا من وتر ضعف القوس (٤)

(١) انظر : توفيق الطويل : العرب والعلم ، ص ٦٢ .

(٢) عبدالحليم منتصر : ص ٢٢٣ .

(٣) توفيق الطويل : العلم والعرب : ص ٦٢ - عبدالحليم منتصر : المرجع السابق ص ٢٢٤ .

(٤) قدري طوقان : تراث العرب العلمي

وكان لذلك أهمية في تسهيل حلول كثيرة من المسائل الرياضية .

والعرب أول من أدخل الظل في النسب المثلثية ، ويرجع الفضل في ذلك الى البوزجاني والطوسي والبيروني والخازن ، كما كان للتبريزي ولجابر بن الافلح الفضل في كشف العلاقة بين الجيب والظل ونظائرها ومعرفة كيفية هذه العلاقة وبفضل قوانين هذا العلم تقدمت بحوث الهندسة والمساحة والطبيعة[1]

وعرف العلماء العرب علم الفلك ولهم فيه قياسات كثيرة ورصدات وربطوا بينه وبين العلوم الرياضية ، ومنهم من ربط بين حركة الاجرام السماوية وحوادث العالم والناس من حيث الحظ والمستقبل والحرب والسلم مما يعرف بعلم التنجيم فكان الخلفاء يستشيرون المنجمين في أمور كثيرة وكان أبوجعفر المنصور الخليفة العباسي الثاني مشغوفا بالمنجمين . وهو الذي أمر بترجمة كتاب في حركات النجوم ترجمة محمد ابراهيم وسماه السند هند الكبير . وبقي معمولا به الى أيام المأمون واختصر الخوارزمي ووضع منه زيجة المشهور[2] .

وفي خلافة المنصور نقل أبويحي البطريق كتاب الاربع مقالات لبطليموس في صناعة أحكام النجوم . وفي زمن المأمون ألف يحي بن أبي منصور زيجا فلكيا ، وألف موسى ابن شاكر أزياجة المشهورة . [3]

وشغف كثير من العلماء والفلاسفة ، وعملوا أرصادا وزياجا مثل ثابت ابن قرة والبلخي ، وحنين بن اسحق والبتاني والكندي والبوزجاني وابن يونس والبيروني والطوسي والكاشي والغزاري وغيرهم .

---

(١) الطويل : العلم والعرب ، ص ٦٢ .

(٢) عبدالحليم منتصر . ص ٢٢٥ .

(٣) الطويل : تاريخ العلم : ص ١٣٧ .

والعرب هم أول من قام بقياس محيط الارض وحساب نصف قطرها بطريق علمي صحيح [1] وترجم ثابت بن قره كتاب المجسطي في الفلك واختصره بهدف تعليمه وتسهيل قراءته ٠ كما استخرج حركة الشمس ويقول سارتون عن الصوفي [2] : أنه من أعظم فلكيي الاسلام وله مؤلفات كثيرة في الفلك ٠

وضبط العرب حركة أوج الشمس وتداخل فلكها في أفلاك أخرى ولبيان أهمية مساهمة العرب في علم الفلك لابد من القاء نظره على الاسماء الفرنجية التي تشاهد بالعين المجردة فما يقارب نصفها من وضع العرب ولاتزال تحتفظ بأصلها العربي ٠

ويعزى لبني موسى القول بالجاذبية العمومية بين الاجرام السماوية بربط كواكب السماء بعضها ببعض وتجعل الاسماء تقع على الارض [3] ٠

واشتهر البتاني بالزيج الصابي وترجمت كتب هذا العالم الى اللاتينية واللغات الاجنبية ٠

وبنى المأمون مرصدا في جبل قاسيون في دمشق وأنشأ الامويون من قبل مرصدا في بغداد (وأنشأ الفاطميون) المرصد الحاكمي على جبل المقطم في القاهرة ٠ وبنى شرف الدولة مرصدا في بستان دار المملكة ٠

والخلاصة فان العلماء العرب رأوا في الفلك علما رياضيا مبنيا على الرصد والحساب وعلى فروض توضع لتعليل مايرى من الحركات والظواهر الفلكية [4] ٠

---

(١) الطويل : تاريخ العلم ، ص ١٣٨ ٠

(٢) جورج سارتون : مقدمة تاريخ العلم ٠

(٣) عبدالحليم منتصر : ص ٢٣١ ٠

(٤) عبدالحليم منتصر : تاريخ العلم : ص ١٠٤ ٠

ومن دراسة آثار الماضي يستشف ان المستقبل ينتظر حاضر العرب ويكون المرء كبير الامل في ان أولئك الذين أبدعوا كل ذلك في الماضي قادرون على أن يأتوا بالكثير في المستقبل فهل يعيد التاريخ نفسه ؟ .

الفيزياء :

لم تنل الفيزياء من العرب عناية كافية . اذ كان هذا العلم عند العرب جانبا من الرياضيات حينا قليلا أوجانبا من علم ما وراء الطبيعة أحيانا كثيرة (١) .

وكان الحسن بن الهيثم أبا علم البصريات الحديث ، كما يعتبر في مقدمة علماء الطبيعة في جميع العصور . عرفته أوروبا باسم "الهازن" وهو تحريف لكلمة الحسن ، وألف في علم الطبيعة نحو أربعة وعشرين كتابا فقام بتشريح العين ووصف أجزاءها ووظائف كل منها فمهد لذلك لصنع العدسات المكبرة . كما اكتشف ظاهرة الانعكاس الضوئي والانعطاف الضوئي أي ظاهرة التكسر . وكان له بحوث أصيلة في هالة القمر وقوس قزح والكسوف والخسوف والمرايا الكروية والمرايا ذات لقطع المكافيء والغرفة المظلمة (٢) .

وعرف العرب المغناطيسية ونسب اليهم استعمال الابرة المغناطيسية لأول مرة في التاريخ رغم ان البعض ينسبها الى الصينيين .

وأثبت العرب ان لاثقل للمغناطيس ، وا كتشف ابن سيناء والبيروني ان سرعة النور أعظم من سرعة الصوت .

وبحث العرب في الثقل النوعي وقدروا ثقل عدد من الاجسام تقديراً

(١) عمرفروخ : تاريخ العلوم عند العرب : ص ٢١٥ .

(٢) خليل الجر : تاريخ العلوم عند العرب ، ص ٩٣ ، ٩٤ .

يطابق ماقدره العلماء المعاصرون أويقاربه [1] . وكان العرب أول من وصل الى نسب حقيقية بين وزن الاجسام المختلفة وبين الماء ولعل سند بن علي أول من بحث في الثقل النوعي في خلافة المأمون وكذلك اشتغل بذلك ابن سينا ء كما كان أبوالريحان البيروني والخازن لهما الفضل الكبير في هذا الباب [2] فقد عرف الخازن الاجسام الساقطة تنجذب في سقوطها نحو مركز الارض ويقال أنه عرف أيضا نسبة السرعة المتصاعدة في سقوط الاجسام [3] .

ولم ينفرد الخازن بأمثال هذه البحوث فقد بحث غيره من علماء العرب فيها وزادوا عليها بعد أن أخذوا ماعند اليونان .فقد ألف بنو موسى كتابهم الذي يعتبر الاول من نوعه في الميكانيكا وايجاد مراكز الثقل . وبعد كتاب الخازن " ميزان الحكمة " من أكثر الكتب استيفاء لبحوث الميكانيكا بل لعله كان الوحيد الذي ظهر في القرون الوسطى في هذا المجال ففيه بحوث في الطبيعة ولاسيما الميكانيكا بلغ فيها صاحبه الذروة .

وسبق الخازن " تورشيللي " في الاشارة الى مادة الهواء ووزنه وأشار الى ان للهواء وزنا وقوة ورافعة كالسوائل وبين ان قاعدة أرخميدس تسري أيضا على الغازات وبحث في كيفية ايجاد العلاقة بين الكثافة للأجسام الصلبة والسائلة واخترع ميزانا لوزن الاجسام في الهواء والماء .

وباختصار فان كتب الخازن وابن الهيثم والبيروني وغيرهم من العلماء العرب كانت المراجع المعتمدة لدى أهل الصناعة في أوروبا حتى أواخر القرن السادس عشر وكانت المعين الذي استقى منه هؤلاء ونهلوا منه وأضافوا اليه .

---

(١) عمر فورخ : تاريخ العلوم عند العرب ، ص ٢٢٢ .

(٢) المرجع نفسه : ص ٢٢٣ .

(٣) المرجع نفسه : ص ٢٢ .

العلوم الفلسفية :-

نشأت الفلسفة في الحضارة العربية الاسلامية نتيجة لنقل الفلسفة اليونانية الى اللغة العربية منذ أواخر القرن الثاني الهجرى / الثامن الميلادى وطوال القرنين الثالث والرابع الهجرى / التاسع والعاشر للميلاد . والبقعة التي انتشرت فيها الحضارة العربية بسبب الفتوحات الاسلامية تنعم بحظ لابأس به من الفلسفة . ففي غرب هذه البقعة كانت مدرسة الاسكندرية في القرن السابع الميلادى تزدهر فيها علوم الأوائل وكان من رجالها يوحنا النحوي الذى كان من كبار شراح أرسطو ، كما لعب دورا في الدفاع عن التعاليم المسيحية ضد هجمات الفلسفة الوثنية مما أدى الى المجادلات بين الفلسفة والدين وفي شرق هذه البقعة ازدهرت العلوم اليونانية في الاقاليم التي يتكلم أهلها السريانية ، والفارسية الوسطى وأشهرها : الرها ، نصيبين والمدائن وجنديسابور حيث ساد النّساطرة . وفي أنطاكية وآمدساد اليعاقبة من فرق النصارى .

ومن أشهر من اشتغل بعلوم الاوائل في العصر السابق على الاسلام في هذه البلدان : هيبا ، الملقب بالترجمان (من القرن الخامس) وتلميذه بروبا (بروبوس) وكلاهما كان من أتباع المدرسة الفارسية في الرها ثم أبوالقشقرى في القرن السادس ،وهؤلاء من النساطرة أما عن اليعاقبة في القرن السادس : يوحنا (يونان) الأفامي ، وسرجيوس الرأس عيني وأخودميه ، ومن القرن السابع الميلادى : أيوب الرهاوى (ت ٧٠٨م) جورجيوس أسقف العرب المسيحيين التي تسمى اليوم جوران (في سوريا) . ومن القرن الثامن الميلادى فارأيا ويوشع بخت ، ودنحا . وكانوا من المترجمين والموضحين لكتب أرسطو . وطيماثاوس الاول الجاثلبق (ت ٨٢٣ م) وقد اهتم بالدراسات

اهتماما كبيرا ٠

ومن تأثر بالاراء الفلسفية اليونانية خاصة يعقوب بن اسحق الكندى من قبيلة كندة اليمنية التي ينتسب اليها امرؤ القيس الشاعر وقال عنه ابن النديم [١] : " فاضل دهره وواحد عصره في معرفة العلوم القديمة وله كتب في المنطق والفلسفة والهندسة والحساب والنجوم وغير ذلك " ٠

نشأ الكندى في الكوفة وتعلم في البصرة ، ثم في بغداد وكان أبوه أميرا على الكوفة زمن الخليفة المهتدى ، ثم ولاه هارون الرشيد ونال الكندى شهرة واسعة في عهد المأمون واتخذه المعتصم معلما لابنه أحمد ٠ درس الفلسفة والعلم في بغداد وارتفعت مكانته حتى صار هدف للحاسدين فتآمر عليه محمد وأحمد ابنا موسى بن شاكر لدى الخليفة المتوكل فأمر بضربه وسمح لابناء شاكر بالاستيلاء على أمواله لكنه تمكن فيما بعد ولظروف عادية أن يستعيد هذه الاموال ٠ [٢]

واشتهر الكندى بترجمة الكتب اليونانية الى اللغة العربية وتأثر بآراء المعتزلة وبالفلسفة اليونانية وخاصة فلسفة أرسطو ٠ ومن تلاميذه أحمد بن محمد السرخي (ت ٢٨٦هـ) وكان مؤدب الخليفة العباسي المعتضد فقلده الحسبة وكان يستشيره فى أموره ٠ وكان الكندى قد اشتغل بالرياضيات والكيمياء والجغرافيا والتاريخ ٠ [٣]

ومن الفلاسفة أبونصر الفارابي : (ت ٣٣٩هـ) ٠ وكان من أشهر الفلاسفة المسلمين ولد في مدينة وسيج في اقليم فاراب ببلاد ماوراء النهر ٠ وكان

(١) ابن النديم : الفهرست ، ص٣٥٧

(٢) موسوعة الحضارة الاسلامية : المجلد الاول : ص ١٥٥ ومابعدها

(٣) دى بور : تاريخ الفلسفة الاسلامية : ص ١٢٤ ـ ١٢٦ ٠

أبوه قائدا مشهورا . درس في بغداد علوم الفلسفة وبخاصة كتب أرسطاطاليس ويعتبر أكبر فلاسفة المسلمين حتى لقب بفيلسوف المسلمين غير مدافع[1] وترجع شهرته الى شروحه الكثيرة على مؤلفات أرسطو حيث لقب " المعلم الثاني " تمييزا له عن أرسطو " المعلم الاول " وكان الفارابي قد اتصل ببلاط سيف الدولة الحمداني وصحب سيف الدولة الى دمشق عندما فتحها وقد مات فيها سنة ٣٣٩هـ .[2]

وتكلم الفارابي في الاخلاق والمنطق وفيما وراء الطبيعة . فتحدث عن الوجود والخالق وعن النفس الانسانية والعقل وعن الحياة الآخرة ، ويوضح مدى تأثر الفارابي بأفلاطون [3] رسائله الكثيرة وكتاب التوسط بين أرسطاطاليس ، وأغراض أرسطو وأفلاطون .

وكان الفارابي أوسع الفلاسفة المسلمين اطلاعا على الفلسفة اليونانية وعرف كثيرا عن نصوصها في ترجماتها الى العربية . وعرف تاريخ مدارسها وكان أول مفسر مسلم لبعض مؤلفات أرسطو .

ومن فلاسفة المسلمين ابن سينا : أبوعلي الحسين بن عبدالله (٣٧٠ ـ ٤٢٨ هـ) ولد ابن سينا في احدى قرى بخارى وهاجر مع اسرته اليها حيث حفظ القرآن ودرس أصول الدين والادب والرياضيات . وألف ابن سينا في المنطق مقتفيا أثر أبي نصر الفارابي،والمنطق مدخل الى الفلسفة،وتأثر بأرسطو كما بحث في الالهيات وتكلم عن الطبيعة . وكان يحاول التوفيق بين فلسفته وعقيدة أهل السنة . كما تكلم في الانسان والعقل والنفس الانسانية

(١) القفطي : أخبار الحكماء : ص ١٨٢ .

(٢) ابن أبي أصيبعة : عيون الاطباء : جـ٢ ، ص ١٣٤ .

(٣) دائرة المعارف الاسلامية : مادة أبونصر الفارابي .

درس ابن سينا المنطق والفلسفة علي بن عبدالله الناتلي ، كمــا درس الطب ومهر فيه قبل أن يتجاوز السابعة عشرة . وانتقل الى مينا بور وطوس وغيرها وانتقل الى الرى وقزوين وهمذان وتقلد الوزارة لشمس الدولة ابـن فخر الدولة . ولكن الجند ثاروا عليه فاختفى ثم اعيد وتقلد الوزارة مـن جديد وبقي فيها حتى مات . (1)

وقد قال عنه ابن خلكان (2) : " نادرة عصره في علمه وذكائه وتصانيفه . وصنف كتاب الشفاء في الحكمة والنجاة والاشارات والقانون وغير ذلك مما يقارب مائة مصنف مابين مطول ومختصر " .

ومن الفلاسفة المسلمين : أبوحامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ/١١١١م) ويعتبر محمد الغزالي امام عصره ووحيد زمانه في علوم الدين الاسلامي ولاسيما في علم أصول الفقه وعلم الكلام وكان مصلحا اجتماعيا ودينيا . فانتقد ما آل اليـه المسلمون في عصره ودعا الى اصلاح المجتمع اصلاحا شاملا . ولد الغزالـي في طوس في فارس سنة ٤٥٠هـ وقدم الى نيسابور وظهر نبوغه في مرحلة مبكـره أثناء طلبه على يد امام الحرمين (الجويني) .

التقى الغزالي بنظام الملك الوزير السلجوقي فاعجب بذكائه وقربـه اليه وعينه مدرسا بالمدرسة النظامية في بغداد (سنة ٤٨٤هـ) وهـي أعلى مدرسـة آنـذاك . واتجه الغزالي الى حياة الزهد والتقشف والعزلة فحـج الى البيت الحرام ثم عاد الى دمشق ودرس في زاوية مسجدها . ثم انتقل الى القـدس ثم قصد مصر حيث أقام في الاسكندرية وهناك التقى بالفقيه المعروف أبوبكـر

وفيات الاعيان : جـ١ ص ١٥٢ - ١٥٣ .

(٢) وفيات الاعيان : جـ٢ ص ١٥٣ .

الطرطوشي صاحب كتاب " سراج الملوك " وعمل في التدريس في المدرسة النظامية بنيسابور بطلب من الوزير فخر الملك بن نظام الملك ٠

خلف الغزالي آثارا علمية هامة معظمها من الدين والفلسفة والتصوف والتاريخ أشهرها : احياء علوم الدين وكتاب المنقذ من الضلال الذى يعرض لمسائل علمية هي في حقيقتها من المسائل المتعلقة بالفلسفة ٠

وقد أحدثت مؤلفات الغزالي في المنطق والطبيعة أثرها البعيد في الشرق والغرب ٠ وترجمها مسيحيو طليطلة في القرن ٦هـ/١٢م ٠

واشتهر من الفلاسفة المسلمين ابن باجه :

هو أبوبكر محمد بن يحي بن الصايغ المعروف بابن باجه ٠ ولد في شرقسطة قرب نهاية القرن الخامس الهجرى [1] وقيل ولد سنة ١٣ هـ/١١١٨م) ، وعاش في تلك المدينة خلال حكم المستعين الثاني (٤٧٨ ـ٥٠٣هـ / ١٠٨٥ ـ ١١٠٩ م) آخر أمراء بني هود حكام سرقسطة ولاردة وتطيلة ٠ ويظهر أن أسرته كانت تعمل بالصياغة ـ صياغة الجواهر لان كلمة باجة معناها باللهجة العربية في الاندلس آنذاك (الفضة) ٠

برز في كثير من العلوم : فكان شاعرا ولغويا وموسيقيا وفيلسوفا وألف كثيرا من كتبه في سرقسطة ٠ وعندما غزا المرابطون سرقسطة سنة ٥٠٣هـ / ١١١٠م كانت شهرته قد ذاعت وصار من المقربين الى حاكم سرقسطة الذى ولاه المرابطون ثم رحل ابن باجه الى الجنوب فأقام في الحرية وغرناطة وفي أشبيلية حيث كان يعمل بالتدريس والتأليف ثم رحل الى فاس حيث قربه أبوبكر يحي بن يوسف ابن تاشفين وصار وزيرا له وهناك توفي مسموما سنة ٥٣٣هـ / ١١٣٨ م ٠

---

(١) موسوعة الحضارة العربية الاسلامية : المجلد الاول ، ص ٨٣ ٠

ويذكر المقري [1] عن الامير ركن الدين بيبرس في كتابه " زبدة الفكر في تاريخ الهجرة " ان ابن باجه : " كان عالما فاضلا له تصانيف في الرياضيات والمنطق وأنه وزر لأبي الصحراوي (يعني المرابطي) صاحب سرقسطة ووزر أيضا ليحي بن يوسف بن تاشفين عشرين سنة بالمغرب وان سيرته كانت حسنة فصلحت به الاحوال ونجحت على يديه الآمال فحسده الاطباء والكتاب وغيرهم وكادوه فقتلوه مسموما " .

تأثر ابن باجه بآراء أرسطو (المعلم الاول) . وكانت له آراء في النفس والعقل ، كما تعرض للانسان المتوحد ويسمى كتابه في الاخلاق " تدبير المتوحد "

ورسائله المبتكرة قليلة وغالبها شروح قصيرة لكتب أرسطو وغيرها من مصنفات الفلاسفة [2] .

ويذكر ان ابن باجه كان شديد التأثر بأفلاطون أكثر منه بأرسطو . وأنه استند كثيرا الى مؤلفات الفارابي من بين الفلاسفة المسلمين . وان انتاجه كان يغلب عليه التعليقات لا الكتب التي قصد الى تأليفها قصدا وانها كانت تبدو مبتورة [3] .

واشتهر من الفلاسفة المسلمون : ابن رشد :

هو محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد . ويكنى أبا الوليد ويلقب ب (الحفيد) تمييزا له من ابيه وجده اللذين كانا قاضيين مشهورين . وقد شغلا منصب القضاء في قرطبة .

(1) المقري : نفح الطيب : ج٩ ، ص ٢٣٠ ـ ٢٣١ ـ القفطي : طبقات الاطباء ، ج ٢ ، ص ٦٣ .

(2) القفطي : طبقات الاطباء ، ج٢ ، ص ٦٣ ـ ٦٤ .

(3) موسوعة الحضارة العربية الاسلامية : المجلد الاول ، ص ١٠٥ .

ولد ابن رشد في مدينة قرطبة في سنة ٥٢٠ هـ / ١١٢٦ م . ودرس علم الفقه المالكي والحديث . وحفظ كتاب الموطأ للامام مالك وأخذ قليلا عن أبي القاسم بن بشكوال . ودرس علم الكلام . وقد ولي ابن رشد قضاء قرطبة . وأقام في بلاط عبدالمؤمن سلطان الموحدين في مراكش سنة ٥٤٨ هـ / ١١٥٣م ثم في بلاط يوسف بن عبدالمؤمن من بعده . ويذكر ان هذا السلطان هو الذى أوعز عليه من مؤلفات أرسطو . فقد تناول ابن رشد كل ماحصل عليه من مؤلفات هذا الفيلسوف أومن شروحها بالدراسة والمقارنة . واطلع على ماترجم به من كتب اليونان . واتبع في شروحه الطريقة المبنية على التحليل الدقيق والنقد السليم وبفضل شروح ابن رشد بلغ الفلاسفة المسلمين قدرا كبيرا في فهم فلسفة أرسطو وتقريبها الى الاذهان .

كان ابن رشد ينقد وبشدة ابي نصر الفارابي وابن سينا ويبالغ في مدح أرسطو ويرى أن مذهب أرسطو اذا فُهم على حقيقته لايتعارض مع أسمى معرفة يستطيع أن يبلغها الانسان . وابن رشد من المتعصبين لمنطق أرسطو كما كان يهتم في علم اللغة بما هو مشترك بين جميع اللغات متأثرا بذلك بأرسطو . فكان يرى أن الحقيقة قد تضمنتها آراء أرسطو .

كان ابن رشد مفكر جرىء . ورغم توليته القضاء الا انه كثيرا ماهاجم المتكلمين وغيرهم من فقهاء المسلمين . فقد كان قاسيا على الذين يقولون ان الخير خير لان الله أمر به والشر شر لان الله نهى عنه . ويقول ان العمل يكون خيرا أوشرا لذاته أوبحكم العقل والعمل الخلقي هو الذى يصدر فيه الانسان عن معرفة عقلية . ويقول ينبغي ان لايكون المرجع الاخير الى العقل بل الى ماتملبه مصلحة الدولة وقد كان لمؤلفات ابن رشد آثار في الفكر الاوروبي وبخاصة في ايطاليا حتى القرن السادس عشر الميلادي . كما أثرت في الاندلس وبعض الجامعات الغربية في الاقطار الاوروبية .

وخلاصة القول : فقد ظفر ابن رشد في العصر الوسيط وأوائل العصور الحديثة بشهرة لم يحظ بمثلها أي فيلسوف اسلامي آخر حتى اعتبر الممثل الحقيقي للفلسفة الاسلامية عامة ويقرن الفلاسفة الاوروبيون ابن رشد بأرسطو ايجابا وسلبا . وقد ظلت مؤلفات وشروح ابن رشد تحظى بعناية وافره لدى المشتغلين بالفلسفة في أوروبا في النصف الثاني من القرن الثالث عشر . وكان كتابة (تهافت التهافت) أقوى مدافع عن الفلسفة ضد خصومها من رجال الدين .

واشتهر من فلاسفة المسلمين ابن طفيل :

ولد أبوبكر محمد ابن طفيل في مدينة فاس وعاش حياة هادئة وانقطع الى العلم وشغف بالفلسفة لكنه لم يتخصص فيها ، فقد كان يلم بآراء دون أن يتأثر بها لذلك كان يميل الى الاستمتاع بالتأمل أكثر من ميله الى التأليف كما كان يشغف بالادب ويميل الى الشعر .

ويعتبر محي الدين بن عربي : من أشهر فلاسفة المسلمين المتصوفين في الاندلس . فقد ولد بمرسيه في سنة ٥٦٠ هـ . ونشأ بها وتلقى فيها علومه حتى رحل الى أشبيليه بعد ثمان سنوات من مولده حيث نفي هناك حتى سنة ٥٩٨هـ .

زار ابن عربي الكثير من بلاد المشرق مثل الحجاز ومصر والعراق ، وأخذ عن كبار علمائها كابن عساكر والحافظ السلفي وابن الجوزى أبي الفرج ، ثم رحل الى بلاد الروم وأقام بها حتى عاد الى دمشق وتوفي فيها سنة ٦٣٨هـ/١٢٤٠م

عرف هذا الفيلسوف بالتصوف . فكان زاهدا متقشفاً . وكان على المذهب الظاهرى الذى أخذه عن ابن حزم . وكان يجنح في تصوفه نحو مذاهب الشيعة . فكان ذا دراية بفنون العلم وله في الادب باع لايلحق به ومنقدم

لايسبق [1] . وكان لابن عربي مؤلفات في الفلسفة والتصوف منها : كتاب خيار مشايخ العرب وكتاب الفتوحات المكية وكتاب ضمنه مقامات رأى فيها النبي صلى الله عليه وسلم ومنامات حدث بها عن النبي ، ويعتقد ان البهائية في ايران تأثروا الى درجة كبيرة بآرائه لكنهم غالوا في تشيعهم ومبادئهم .

ولوقورن بغيره من كبار فلاسفة المسلمين مثل ابن سينا والغزالي لبزهم جميعا في ميدان التأليف من حيث الكم والكيف .

الفقه :-

ترتب على دراسة القرآن والحديث الحاجه الى تعلم النحو واللغة واستلزم ذلك فهم الشعر الجاهلي الذى يمد الباحثين بأفضل ماتمثله اللغة العربية من الادب القديم ، كما استلزم فهم اللغة العربية دراسة الانساب والتاريخ وعكف المسلمون على تفسير القرآن وفعل ذلك بعض التابعين .

ومنذ مستهل القرن الثاني الهجرى أقبل الناس على جمع الحديث وتدوينه حتى صار المحور الذى تدور عليه الحركات العلمية في الولايات الاسلامية .

وقد أدى اختلاف أئمة الفقه في فهم النصوص الفقهية واستنباط الاحكام منها الى تعدد المذاهب وأشهرها : مذهب مالك ومذهب أبي حنيفة ومذهب الشافعي ومذهب أحمد بن حنبل .

وظهر في ميدان الفقه مدرستان : مدرسة أهل الحديث في المدينة وعلى رأسها الامام مالك الذى كان يأخذ بمبدأ التوسع في النقل عن السنة ، ومدرسة

---

(١) المقرى : نفح الطيب : جـ٢ ، ص ٣٦١ - ٣٦٣ .

الرأي في العراق ، وعلى رأسها الامام أبوحنيفة النعمان الذى كان يدين بالرأى

ولد أبوحنيفة النعمان بن ثابت بالكوفة سنة ٨٠ هـ ومات ببغداد سنة ١٥٠ هـ . واشتغل بالعلم واحترف التجارة . مما أكسبه خبرة كبيرة وجعله يدرك حقيقة مايجرى بين الناس من معاملات في البيع والشراء .

تعلم أبوحنيفة الفقه في الكوفة . وأخذ عن عطاء بن أبي رباح وهشام بن عروة ، ونافع مولى عبدالله بن عمر . وأكثر ماأخذ علمه عن حماد بن أبي سليمان الاشعرى . وكان أبوحنيفة يتشدد في قبول الحديث . ولم يصل أي كتاب في الفقه لأبي حنيفة الا ماذكره ابن النديم [1] مثل كتاب الفقه الاكبر وكتاب الرد على القدرية وكتاب العالم والمتعلم والعلم برا وبحرا شرقا وغربا بعدا وقربا .

ومن تلاميذ أبي حنيفة الليث بن سعد الذى تقلد قضاء مصر .

ومن فقهاء هذه الفترة مالك بن أنس الذى ولد سنة ٩٣هـ وتوفى سنة ١٧٩هـ وقضى حياته في المدينة المنورة . سمع الحديث من كثير من شيوخ المدينة كابن شهاب الزهرى ونافع مولى عبدالله بن عمر .

وكان كتابه " الموطأ " أول كتاب ظهر في الفقه الاسلامي ، وكان مالك يعتمد على الحديث كثيرا ، لان الحجاز مكان اقامته كانت تزخر بالعلماء والمحدثين الذين أخذوا عن الصحابة .

وقد دخل مذهبه الاندلس سنة ١٨٠هـ وحل محله في المدينة مذهب الأوزاعي .

وبدخول مذهب مالك المغرب والاندلس نشأت مدرسة دينية طبقت شهرتها العالم الاسلامي وظهر من علمائها عبدالملك ابن حبيب وعيسى بن دينار

---

(١) ابن النديم : الفهرست : ص٢٩٧ .

ومن اشتهر بالفقه من تلاميذ مالك : محمد بن الحسن العراقي ويحي الليثي في الاندلس وعبدالله بن وهب وعبدالرحمن بن القاسم وعبدالله بن الحكم في مصر وأسد بن الفرات في القيروان ومن أئمة هذا العصر أبوعبدالله بن ادريس الشافعي الذى جمع بين مدرستي النقل والعقل بما أوتية من سعة العقل والقدرة على الابتكار . وهو أول من تكلم في أصول الفقه وأخذ مبادئه . وكان شديد التشيّع . وفي سنة ٢٠٠هـ سافر الى مصر وبقى فيها حتى مات سنة ٢٠٤هـ ومن أهم كتبه : كتاب المبسوط في الفقه ، وكتاب الام .

ومن الائمة في هذا العصر أيضا أحمد بن حنبل وكان أبويوسف الذى ولد سنة ١١٣هـ وتوفي سنة ١٨٢هـ من أشهر الفقهاء وكذلك كان من الفقهاء المعروفين الليث بن سعد الذى توفي سنة ١٥٧هـ وكان الشافعي يتأسف على فوات لقائه (١) .

وفي العصر العباسي الثاني ظهر بعض الفقهاء الذين كونوا لهم مذاهب فقهية غير أنه لم يكتب لها الاستقرار والذيوع أمام المذاهب الاربعة السابقة . ومن هؤلاء الفقهاء : أبوسليمان داود بن علي القاشاني المتوفي في بغداد سنة ٢٧٠هـ وكانت طريقته تتلخص في الاخذ بظاهر نص القرآن وعدم قبول القياس والتأويل . فهو أول من استعمل قول الظاهر وأخذ بالكتاب والسنة فسمي ابا سليمان داوود الظاهري وسمي أتباعه بالظاهريه (٢) .

ومن أئمة المذاهب أحمد بن حنبل (١٦٤ ـ ٢٤١هـ) : تتلمذ على يد الشافعي مدة سنتين ١٩٥ ـ ١٩٧هـ . واعتبر من الشافعيين . واجه ابن حنبل التعذيب زمن الخليفة العباسي المأمون لعدم قولة بخلق القرآن .

---

(١) ابن خلكان : وفيات الاعيان : جـ١ ، ص ٤٣٨ .

(٢) انظر الفهرست : ص ٣٠٣ ـ مقدمة ابن خلدون : ص ٣٩٠ .

كان ابن حنبل من كبار المحدثين واختلف العلماء في كونه فقيها حتى ان الطبرى أثار عليه الحنابلة لعدم اعتباره اياه من أئمة الفقه . وكان مذهبه يجمع بين الحديث والفقه كموطأ مالك ابن أنس . وكان يفضل الاحاديث الضعيفة على القياس .

وكان أشهر الحنابلة في هذا العصر أبوالقاسم الخرقي المتوفي سنة ٣٣٤هـ وله كتاب ، المختصر في الفقه . وعبدالعزيز بن جعفر صاحب كتاب المقنع (توفي سنة ٣٦٣هـ) وكان محمد بن جرير الطبرى من أصحاب المذاهب الفقهية (توفي ٣١٠هـ) . من أهم كتبه كتاب الامم والملوك في التاريخ وكتاب التفسير وكتاب اختلاف الفقهاء .

ومن أشهر أئمة المذهب المالكي في الاندلس في هذا العصر أبوالوليد الباجي وأبوالوليد ابن رشد جد ابن رشد الفيلسوف ومنذر بن سعيد وغيرهم .

وكان في هذا العصر مذاهب أخرى لكنها انقرضت مثل مذهب سفيان الثوري [1] المتوفي سنة ١٦١ هـ وعنه أخذ الأوزاعي امام أهل الشام [2] . ومذهب اسحق بن راهوية المتوفي سنة ٢٤٠ هـ .

وفي القرن الرابع الهجرى سادت المذاهب الحنفية والمالكية والداودية ومذهب الحنابلة والراهوية والأوزاعية لكنها مع الزمن صارت السيادة للمذاهب الاربعة : هي : الحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي ووقف الاجتهاد عند هؤلاء الاربعة .

ووقف التقليد في الامصار عند هؤلاء الاربعة ودرس المقلدون لمن سواهم وسد الناس باب الخلاف وطرقه لما كثر من تشعب الاصطلاحات في العلوم ولما

(١) ابن خلكان : وفيات الاعيان : ج ١ ، ص ٢١٠ .

(٢) وفيات الاعيان : ج ١ ، ص ٢٧٥ .

عاق عن الوصول الى رتبة الاجتهاد [1]

العلوم الاجتماعية :ـ

أ ـ التاريخ :

يمتاز مؤرخو العرب القدماء بالقدرة على ادراك الجزئيات ادراكا دقيقا لكنهم لم يربطوا الحوادث برباط جامع ٠ فكان في اتساع الدولة الاسلامية مادة غزيرة في التاريخ والجغرافية [2] ٠

كان معظم المسلمين في صدر الاسلام لايستطيعون القراءة والكتابة فلم يدون تاريخ العرب الابعد زمن ٠ فروى المسلمون الحوادث التاريخية والاحاديث النبوية بشيء من التبديل والتحريف ٠ فشوهت معانيها والظروف التي أحاطت بوقوعها وروايتها ٠

وفي القرن الثاني للهجرة أخذ العرب يبحثون في تاريخهم الذى كان عبارة عن شذرات متفرقة هنا وهناك دونت بشكل يتمشى مع ميول الفرق الاسلامية التي عمل كل منها على تدعيم مذهبهم ٠

وقد تنوعت مصادر التاريخ الاسلامي وأهمها : القرآن الكريم والاحاديث النبوية والشعر الذى نقل عن العهد الاموى مثل : حسان بن ثابت

ومن نماذج الكتابة التاريخية كتاب الملوك الذى سماه سير ملوك العجم والذى نقله عن الفارسيية ٠ كما يعتبر هشام بن محمد الكلبي (ت ٢٠٤هـ) وأبوه محمد أول من كتب من العرب في التاريخ وعرف عنهما الدقة والتحري في الرواية ٠

(١) مقدمة ابن خلدون : ص ٣٩١ ـ ٣٩٢ ٠

(٢) دي بور : تاريخ الفلسفة في الاسلام : ص ٨٠ ٠

وقد تأثرت كتابة التاريخ في بداية العهد الاسلامي بشخصية الرسول لان المؤرخين اتخذوا من الحديث الذي يتعلق بالغزوات مادة لما كتبوه ومن هنا ظهرت كتب السير والمغازي ٠

ومن كتب السيرة النبوية : سيرة ابن هشام (ت ٢١٨هـ بمصر) استمد معلوماته فيها عن أستاذه ابن اسحق المتوفي سنة ١٥١هـ فقد قال الشافعي من أراد ان يبحر في المغازي فهو عيال على ابن اسحق [1] ومن كتب المغازي كتاب الواقدي المتوفي سنة ٢٠٧هـ ٠ وتطور علم التاريخ في القرن الثالث الهجري ٠

وأخذ المؤرخون يوفقون بين مواد السيرة النبوية وغيرها من المصادر بهدف تكوين رواية متماسكة ٠ وكان البلاذري من أوائل الذين أخذوا بهذا المنهج في كتابة فتوح البلدان [2] ٠ كما كان كتاب الطبقات لابن سعد من مصادر السيرة النبوية (ت ٢٣٠هـ / ٨٤٥م) فكان هذا كاتباً للواقدي ويعد كتابه من المصادر الموثوق بصحتها ٠

وزخر العصر العباسي الثاني باعلام المؤرخين ٠ فكان المسلمون بضعون الكتب في مختلف العلوم والفنون ٠ ومن أشهر مؤرخي القرن الثالث الهجري اليعقوبي (ت ٢٨٢هـ) وكان متشيعاً متحمسا لعقائدهم ولهذا أكثر من أخبارهم فكان كتابه تاريخ اليعقوبي من أشهر المصادر التاريخية ٠ كما يعتبر كتابه " البلدان " من الكتب الجغرافية الهامة [3] ٠

---

(١) وفيات الاعيان : ج٩ ، ص ٤٨٢ ٠

(٢) حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام ، ج٢ ، ص٣٥٠ ٠

(٣) المرجع نفسه : ص ٣٩٨ ٠

ووضع ابن قتيبة الدينوري المتوفي ٢٧٦هـ / ٨٨٩م كثيرا من الكتب منها كتاب الامامة والسياسة المنسوب اليه وكتاب المعارف وعيون الاخبار الذى يعتبر من خيرة كتب الادب والتاريخ مادة وترتيبا ٠

ويعتبر كتاب فتوح البلدان الذى وضعه البلاذرى (ت ٢٧٩هـ / ٨٩٢ م) من أفضل مصادر الفتوحات الاسلامية ٠ كما كان كتاب الاخبار الطوال لأبي حنيفة الدينوري (ت ٢٨٢هـ / ٨٩٥ م) ٠

وكان تاريخ الامم والملوك لأبي جعفر بن جرير الطبرى المتوفي سنة ٣١٠ هـ / ٩٢٣ م من أكثر المصادر التاريخية الموثوقة ٠ فقد تكلم عن الحوادث التاريخية منذ الخليقة حتى سنة ٣٠٢ هـ ٠ ثم جاء عريب بن سعد القرطبي المتوفي سنة ٣٦٦ هـ / ٩٧٦ م فكتب الحوادث سنة ٢٩١ ـ سنة ٣٢٠ هـ في كتابه صلة الطبرى ٠

وكان سعيد بن البطريق صاحب كتاب المجموع على التحقيق والتصديق والمتوفي سنة ٣١٧ هـ من مؤرخي القرن الرابع الهجرى ٠

واشتهر من مؤرخي هذا العصر محمد بن عبدالله بن عبدوس المعروف بالجهشيارى صاحب كتاب الوزراء والكتاب ٠ وكذلك المسعودى المتوفي ٣٤٦ هـ الذى ترك لنا " مروج الذهب ومعادن الجوهر " وكتاب " التنبيه والاشراف " وأخبار الزمان [1] ٠

ومن بين هؤلاء أبوبكر محمد بن يحي الصولي المتوفي سنة ٣٣٥هـ/٩٤٦م وكان كتابه " الاوراق " مجموعة نفيسة في الادب والتاريخ ٠ وعاصر الحسين بن زولاق صاحب كتاب " فضائل مصر وأخبارها وخواصها " الاخشيديين والفاطميين ٠

---

(١) الكتبي : فوات الوفيات : ج٢ : ص ٤٥ ٠

ومن المؤرخين الذين عاصروا الخليفة العزيز بالله : أبو الحسن علي الشابستي (ت ٣٨٨هـ) ، وله كتاب " الديارات " الذى يتحدث فيه عن الاديرة في العراق والشام ومصر ٠

وأما الأمير المختار عز الملك محمد بن أبي القاسم المعروف بالمسيحي والمتوفي سنة ٤٢٠ هـ فقد ترك كتاب " تاريخ مصر " الذى لم يعد لتصانيفه وجود ٠

ومن المؤرخين أيضا مسكويه [١] المتوفي سنة ٤٢١ هـ وكتابه (تجارب الأمم) من أشهر الكتب العلمية في اللغة العربية ٠ومنهم أيضا هلال الصابي [٢] صاحب كتاب " تحفة الامراء في تاريخ الوزراء " ٠

ومن الكتب المشهورة في هذا العصر ، تاريخ بغداد للخطيب البغدادى (ت ٤٦٣ هـ) ويعتبر من أمهات المصادر التي يعتمد عليها في دراسة تاريخ الدولة العباسية ٠

وألف أبو الريحان البيروني المتوفي سنة ٤٢٠ هـ / ١٤٠٨م ، تاريخه المشهور " الاثار الباقية عن القرون الخالية " ٠ كما وضع النرشجي كتابة (تاريخ بخارى) أضف الى ذلك ما كتبه أبو نصر العتبي عن حياة محمود الغزنوى فكتب كتابه المشهور (تاريخ اليميني) نسبة الى يمين الدولة محمود الغزنوى [٣] ٠

ومن المؤرخين الذين ألفوا في تاريخ مكه : الأزرقي المتوفى سنة ٢٤٤ هـ/ ٨٥٨م ، (أخبار مكة) والفاكهي المتوفى سنة ٣٢ هـ/ ٨٨م وعمر بن شبه صاحب

(١) - وفيات الأعيان : ج٢ ، ص ٩٢ - القفطي ص ٢٣١ ٠

(٢) - وفيات الأعيان : ج٢ ، ص ٢٠٢ ٠

(٣) - حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام ج٣ ، ص ٤٠٤ ٠

كتاب اخبار المدينة ، الذى يعتبر من أهم المصادر التاريخية عن المدينة المنورة .

وأشتهر في أواخر العصر البويهي والعصر السلجوقي مؤرخون كثيرون في الشرق ومصر والمغرب ، والمغرب ومصر ، زودوا المكتبة العربية الاسلامية بمادة تاريخية غزيرة وهامة وأشهر هؤلاء : ابو نصر اليميني وكتابه " تاريخ اليمين" نسبة الى يمين الدولة محمود الفزيزى ومسكويه صاحب كتاب تجارب الأمم وأبو شجاع ظهير الدين محمد الحسين الدوذراوى الذى وضع كتاب " ذيل تجارب الأمم " . كما تناول هلال الصابي الأحداث بكتابه الوزراء ويعتبر كتاب " ذيل تاريخ دمشق " لابن القلانسي (ت٥٥٥هـ) من كتب التاريخ العامة والهامة . كما تعتبر مؤلفات ابو الريحان البيروني من أهم المصادر التاريخية والاجتماعية ككتاب الآثار الباقية عن القرون الخالية وكتاب تاريخ خوارزم ، وكتاب التفهيم في صناعة التنجيم .

ومن مصادر التاريخ في العصر السلجوقي : كتاب تاريخ بغداد للخطيب البغدادى . وهو من أمهات الكتب التي يعتمد عليها في دراسة تاريخ الدولة العباسية .

وأما أشهر مؤرخي القرن السادس والسابع الهجريين فكان علي بن محمد ابن ابي الكرم بن الأثير (ت ٦٣٠) ١٢٣٢م . وكتابه " الكامل في التاريخ " من المصادر الأصيلة التي نعتمد عليها في دراسة التاريخ الاسلامي . وترك لنا ابن الأثير كتابا عن تاريخ الدولة الأتابكية في الموصل ويسمى التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية (الموصل) .

ومن آثاره أيضا كتاب " أسد الغابة في معرفة الصحابة " .

ومن مؤرخي هذه الفترة : السمعاني الذى خلّف كتاب " تذييل تاريخ بغداد " وتاريخ مرو وكتاب الانساب .

ومن أشهر علماء هذا العصر ومؤرخيه : جمال الدين بن الجوزى الذي ترك لنا مؤلفات كثيرة أهمها : زاد المسير في علم التفسير ، ولفظ المنافع في الطب ، وأهم مؤلفاته كتاب : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم .

ومن مؤرخي هذا العصر : الجوزجاني وكتابه منهاج السراج .

و : جرجيس المكين وكتابه " المجموع المبارك "

و : غريغورس أبو الفرج بن اهرون المعروف بابن العبرى ، وكتابه مختصر تاريخ الدول .

وكتب شهاب الدين أحمد النسوى سيرة جلال الدين منكبرتي آخر سلاطين الدولة الخوارزمية ، وحفل العصر السلجوقي بكتّاب التراجم كان أشهرهم القفطي (ت ٦٤٦ هـ /١٢٤٨) ، وأبن ابي اصيبعه ومحمد عوفي وابن خلكان .

ولد جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي بمدينة قفط من نرى صعيد مصر سنة ٥٦٨هـ / ١١٧٢م ، ويرجع نسبه الى قبيلة قضاعة في الكوفة تعلم في القاهرة وقوص . ثم ذهب الى القدس مع أبيه الذى ولاه صلاح الدين الأيوبي القضاء . ثم انتقل الى حلب حيث تقلد الخراج ولقب القاضي الأكرم . ألف القفطي كثيرا من الكتب أشهرها كتاب " تاريخ الحكماء "

ومن المؤرخين المتأخرين أيضا ابن أبي اصيبعه (ت ٦٦٩ هـ/١٢٧٠م) ، الذى ألفّ كتاب " طبقات الحكماء " .

وأما محمد عوفي فأهم كتبه لباب الألباب وكتاب جوامع الحكايات ولوامع الروايات ، ويعتبر كتاب وفيات الأعيان وانباء ابناء الزمان لأبن خلكان (ت ٦٨١ هـ/١٢٨٢م) من أهم المراجع التي لا غنى عنها لطلاب الدراسات

الاسلامية .

ومن التواريخ المحلية الخاصة بالمدن والأقاليم كتاب : تاريخ مكة للأزرقي وكتاب أخبار المدينة لعمر بن شبّه ، ومن هذه التواريخ أيضا تاريخ طبرستان : لمحمد بن الحسن ابن سفنديار . وألف أبو سعيد السمعاني (ت ٥٦٢هـ) ، تاريخ مرو ومن التواريخ المحلية أيضا كتاب " تاريخ خوارزم " لأبي الريحاني البيروني .

وهناك كثير من المؤرخين الذين كتبوا عن العصر المغولي والفاطمي ، والأيوبي .

ومن مؤرخي مصر والأندلس نذكر المراكشي : عبد الواحد بن علي، صاحب كتاب : " المعجب في تلخيص أخبار المغرب " . وابن عذارى (ت في أواخر القرن السابع الهجرى " صاحب كتاب : " البيان المغرب في أخبار المغرب " . وابن سيده (ت ٤٥٨ هـ / ١٠٦٥م) وله كتاب المخصص وابن بسام (ت٥٤٢ هـ/١١٤٧ م) صاحب كتاب الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة والطرطوشي (ت ٥٢٠د هـ / ١١٢٦ م) صاحب كتاب سراج الملوك . وكذلك ابن بشكوال(ت ٧٥٨). الذى ألف كتاب الصلة في تاريخ أئمة الاندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وآبائهم) وابن الأبار (ت ٦٥٩هـ/١٢٦١م) صاحب كتاب التكملة لكتاب الصلة .

الجغرافيا : -

مما ساعد على ظهور كثير من الرحالة في العصر العباسي الأول تطور التجارة واتصال بغداد بالبلدان الأخرى بطرق برية وبحرية وتوفير الأمن لهذه الطرق . كل ذلك سهل الأسفار ومهد السبل أمام الرحالة . فظهر منهم من قام برحلات وضعوا في وصفها الكتب ووصفوا ما شاهدوه في البلدان التي زاروها . فوصلوا في رحلاتهم الى الهند وسيلان والبلقان والصين .

غير أن ما كتبه هؤلاء لم يظهر بصورة واضحة الآ في العصر العباسي الثاني • فقد ظهر ابن خرداذبه الجغرافي الفارسي الأصل الذى عاش في منتصف القرن الثالث الهجرى ووضع كتابه " المسالك والممالك " الذى يعتبر من أقدم الكتب الجغرافية التي ظهرت في اللغة العربية وهو عبارة عن دليل يستعين به المسافرون في الاهتداء الى الطريق البحرى الذى يبدأ من مصب نهر دجلة ويصل الى الهند والصين •

وظهر في هذا العصر الجغرافي اليعقوبي المتوفى سنة ٢٨٢ هـ / ووضع كتاب " البلدان " • كما كان المسعودى المتوفى سنة ٣٤٦هـ /٩٥٦م) ، من كبار الرحالة المسلمين حيث وصف البلاد الذى زارها • ووضع أبو اسحاق الاصطخرى الفارسي الذى عاش في القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى ، كتاب " المسالك والممالك " وصف فيه نتائج مشاهداته في الأقاليم التي زارها •

وجاء ابن حوقل (ت ٣٨٠ هـ) في النصف الثاني من القرن الرابع الهجرى ووضع كتابه " صورة الأرض " وأشهر من جغرافي ورحالة القرن الرابع الهجرى (المقدسي) ، المتوفى سنة ٣٨٧ هـ ، حيث ألف كتابه المشهور " أحسن الأقاليم في معرفة الأقاليم " • ويعتبر ذا قيمة كبيرة من الناحيتين التاريخية والجغرافية ثم جاء ناصر خسرو (ت ٤٨١ هـ/١٠٨١م) الرحالة الفارسي فأمدنا بكتابه (سفرنامه) أو زاد المافر بمعلومات عما شاهده في أسفاره •

ويعتبر كتاب البيروني : الآثار الباقية عن القرون الخالية ، ذا قيمة كبيرة لما يقدمه من معلومات عن نظم الطوائف والجماعات في البلاد التي زارها •

ومن الرحالة المشهورين : أبو الحسن بن جبير (ت ٦١٤ هـ / ١٢١٧م) ، وكتابه : رحلة ابن جبير من الكتب القيمة حيث وصف فيه ما شاهده من عجائب البلدان وغرائب المشاهدة وبدائع المصانع أثناء رحلاته في البلدان المختلفة ٠

ومن الجغرافيين المشهورين ياقوت الحموى (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩م) ، الذى ألف كتبا أهمها كتاب (معجم البلدان) الذى يعتبر من المراجع التي يعتمد عليها الباحثون في كل ما يتعلق بجغرافية وتاريخ بلاد غربي آسيا ٠

وكذلك كتابه (مراصد الاطلاع على أسماء الأماكن والبقاع) ، وكتاب ارشاد الأريب في معرفة الأديب ٠

ومن الجغرافيين أيضا عبد اللطيف موفق الدين ابو محمد الطيب البغدادى (ت ٦٢٩ هـ / ١٢٣١ م) ، ولد البغدادى (سنة ٥٥٧هـ) وخلف لنا كتبا أهمها :

الافادة والاعتبار في الامور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر " وكتاب " مختصر تاريخ مصر " وكتاب شرح مقامات الحريرى ٠ وكذلك كتاب الجامع الكبير في المنطق ٠

وأما القزويني : (زكريا بن محمود القزويني ت ٦٨٢ هـ / ١٢٨٣ م) ، فقد وضع عدة كتب في الجغرافية أشهرها كتاب " عجائب المخلوقات "، وكتاب " آثار البلاد " الذى يحتوى على معلومات هامة في الجغرافية ٠

ومن رحالي المغرب محمد بن عبد العزيز الشريف الأدريسي (ت ٦٤٩هـ /١٢٥١م) ، وقد ألف كتابه المعروف " نزهة المشتاق في ذكر الأمصار والاقطار والآفاق " ٠

وقد اتصل بالملك الصقلي روجر الثاني النور مندى سنة ٣٣ هـ وعهد اليه هذا الملك بوضع كتاب في جغرافية العلم ، ووضع تحت اشرافه لجنة زارت البلاد النائية ووضع تحت تصرفه ٠٠ ر٤٠ رطل من الفضة ليصنع له كرة يرسم عليها المصورون مواقع البلدان واسماءها ٠ وقد شرح الأدريسي في هذه الخريطة والكره في كتابه نزهة المشتاق ٠

التفسير : -

مرّ التفسير بأدوار عديدة حتى أصبح على الصورة التي هو عليها الآن في بطون المؤلفات والمصنفات ٠ وكانت نشأة التفسير في عهد الرسول محمد صلى الله عليه وسلم) الذى كان أول مفسّر للقرآن يبيّن للمسلمين ما أنزل الله ٠ ولم يكن الصحابة يفسرون القرآن والرسول على قيد الحياة ٠ فلما التحق ، بالرفيق الأعلى كان لزاما على الصحابة ان يوضحوا للناس ما فهموه وعلموه من الآيات القرآنية ٠ ومع ان المفسرين من الصحابة كثيرون الآ ان اشهرهم كانوا عشرة : أبو بكر ، وعمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس ، وأبي بن كعب وزيد بن ثابت وأبو موسى الأشعرى وعبد الله بن الزبير ٠[1]

وكان أشهر هؤلاء بالتفسير هو عبد الله بن عباس الذى شهد له الرسول بالعلم ودعا له بقوله : " اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل [2].

واطلق عليه اسم ترجمان القرآن [3] وممن اشتهر بالتفسير أيضا أبو هريرة وأنس

(١) الاتقان : ج٢ : ص ٣١٨ ٠

(٢) البرهان : ج٢ ، ص ١٦١ ٠

(٣) الاتقان : ج٢ ، س ٣١٩ ٠

بن مالك وعبد الله بن عمر وعائشة أم المؤمنين وغيرهم ولكن ما روى عنهم أقل من العشرة السابقين .[1]

وأخذ أقوال هؤلاء المفسرين نفر من التابعين ، فنشأت في مكة طبقة للمفسرين وفي المدينة المنورة طبقة ثانية وفي العراق طبقة ثالثة .
وقال ابن تيمية : " أعلم الناس بالتفسير أهل مكة لأنهم أصحاب ابن عباس مثل : عكرمة مولى ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وعطاء بن ابي رباح وكذلك في الكوفة أصحاب ابن مسعود وعلماء أهل المدينة في التفسير مثل زيد بن أسلم ومالك بن أنس "[2] وعن طبقة التابعين اخذ تابعوهم فجمعوا أقوال من سبقهم ووضعوا التفاسير كما عمل سفيان بن عُيَينَه ويزيد بن هارون وشعبة بن الحجاج وعبد بن حميد [3] واتجه العلماء في تفسيرهم اتجاهات مختلفة :

أ – التفسير المأثور : –

وهو امتداد للتفاسير السابقة العائدة الى الصحابة والتابعين وقد نشأ على أساس ما كان يروى من مأثورات عن الصحابة والتابعين ، كان التفسير يروى كما تروى الأحاديث وكان يشغل في كتب الحديث أبوابا . ويخضع لما تخضع له نصوص الأحاديث وتحقيق السند وتمحيص الرواية وأوسع التفاسير بالمأثور هو تفسير ابن جرير الطبرى " جامع البيان في تفسير القرآن " حيث عرض فيه أقوال الصحابة والتابعين مع تحرير أسانيدها ، وترجيح بعضها على بعض واستنباط كثيرا من الأحكام .

---

(1) صبحي الصالح : مباحث في علوم القرآن ، ص ٢٩٠ .
(2) صبحي الصالح : مباحث في علوم القرآن ، ص ٢٩٠ .
(3) البرهان : ج٢ ، ص ١٥٩ .

ويعتبر تفسير ابن كثير مساويا لتفسير الطبرى في القيمة والدقة في الانباء وبساطة العبارة والوضوح في الفكرة . والف السيوطي كتابه " الدرر المنثور في التفسير المأثور " اعتمد فيه على الاخبار الصحيحة المأثورة التي تجعله أقرب الى الفكرة الاسلامية منه الى الشروح الانسانية [1].

ويقول ابن خلدون عن نشأة التفسير وتطوره من تفسير اثرى الى تفسير بالرواية : " فاعلم ان القرآن نزل بلغة العرب ، وعلى اساليب بلاغتهم . فكانوا يفهمونه ويعلمونه معانيه ومفرداته وتراكيبه ، فكان ينزل جملا جملا وآيات وآيات لبيان التوحيد والفروض الدينية بحسب الوقائع ومنها ما هو في العقائد الايمانية ، ومنها ما هو في احكام الجوارح . ومنها ما يتقدم ومنها يتأخر ويكون ناسخا له ، وكان الرسول يبين المجمل ، ويميز الناسخ من المنسوخ ويعرفه أصحابه فعرفوه وعرفوا سبب نزول الآيات ومقتضى الحال منها ... ونقل ذلك عن الصحابة وتداول ذلك التابعون من بعدهم ونقل ذلك عنهم . ولم يزل متناقلا بين الصدر الأول والسلف حتى صارت المعارف علوما ودونت الكتب ، فكتب الكثير من ذلك ونقلت الآثار الواردة فيه عن الصحابة والتابعين . [2]

لكن التفسير بالمأثور تعرض للنقد لأن الصحيح من الروايات اختلط بغير الصحيح فكان على المفسر بالمأثور ان يدقق في تعبيره ويحترس في روايته ويحتاط كثيرا في ذكر أسانيده . ويقول ابن خلدون عن

---

(١) صبحي الصالح : مباحث في علوم القرآن ص ٢٩١ .

(٢) محمد عبد السلام كفافي : في علوم القرآن ، ص ١٥٦ .

كتب التفسير الأثري انها لا تشتمل على الغث والسمين والمقبول والمردود.
والسبب في ذلك ان العرب لم يكونوا أهل كتاب ولا علم وانما غلبت عليهم البدواة والأمية واذ تشوقوا الى معرفة شيء مما تشوق اليه النفوس البشرية في أسباب المكونات وبدء الخليقة وأسرار الوجود . فانما يسألون عنه أهل الكتاب ويستفيدون منهم وهم أهل التواراة من اليهود ومن يتبع دينهم من النصارى وأهل التوراة الذين بين العرب يومئذ بادية مثلهم ولا يعرفون من ذلك الآ ما تعرفه العامة من أهل الكتاب .. وهؤلاء مثل كعب الأحبار ووهب بن منبه وعبد الله بن سلام "[1].

<u>ومصادر التفسير المأثورة هي : -</u>

١ : - ما ينقل من ذلك عن الرسول صلى الله عليه وسلم . وكثير من هذا موضوع ضعيف السند . ولهذا يجب ان يؤخذ بحذر . وكان ابن حنبل ممن شك في التفسير المروى بوجه عام فقال : " ثلاث كتب ليس لها اصول : المغازى والملاحم والتفسير "[2]

٢ : - ما يروى عن صحابي : وقد عرف عن بعض الصحابة تفسير القرآن. ومن أهم من روى عنهم عبد الله بن عباس وعلي بن أبي طالب وعبد الله بن مسعود ، وعبد الله بن عمر بن العاص . ويجب التحقق من صحة السند في النقل عن هؤلاء اذ ان كثيرا مما نقل عنهم يعتبر مدسوس عليهم [3].

٣ : - ما يروى عن التابعين : وكتب التفسير حافلة بالرواية عن هؤلاء لكن <u>ليس كل ما ينقل عنهم مما يجب قبوله . فهناك</u> روايات كثيرة عن التابعين

(أ) مقدمة ابن خلدون : ص ٣٦٦ بولاق .
(٢) الزركشي : البرهان : ج٢ ص ١٥٦ .
(٣) محمد عبد السلام كفافي : في علوم القرآن : ص ١٥٨ .

لا نستطيع ان نقبلها لأنها بعيدة عن تفسير النص ، أو تقحم عليه مساحة غريبة لأفكار تتصل به • كما هو الشأن بالنسبة للاسرائيليات التي تقص تفصيلات لا صلة لها بنص القرآن •

ب : - التفسير بالرأى : -

وردت أحاديث تنهى عن تفسير القرآن بالرأى منها ما روى عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " من قال في القرآن أو بما لا يعلم فليتبوأ نقعده من النار "[1] ، وقد روى هذا الحديث بصور مختلفة لكن مصدرها واحد •وكذلك روى عن أبي بكر أنه قال : " أى أرض تقلني وأى سماء تظلني اذا قلت في القرآن ما لا أعلم "[2].

وعلى هذا اختلف حوله • فمن محرم له ومن مجوّز • الاّ ان اختلافهم يعود في الحقيقة الى ان المحرم منه هو الجزم بأن مراد الله كذا من غير برهان أو محاولة تفسير الكتاب الكريم مع جهل المفسر بقواعد اللغة واصول الشرع • أو تأييد بعض الأهواء بآيات من القرآن زورا وبهتانا • أما اذا توفرت في المفسر الشروط اللازمة فلا مانع من محاولته التفسير بالرأى [3]• فالقران يدعوا الى هذا الاجتهاد في تدبر آياته ، وفقه تعاليمه قال تعالى :" أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا "[4] وقوله تعالى : " كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ "[5].

---

(١) الطبرى : تفسير الطبرى : ج١ ، ص٢٧

(٢) الطبرى : تفسير الطبرى : ج١ ص ٧٧

(٣) صبحي الصالح : مباحث في علوم القرآن : ص ٢٩٢

(٤) القرآن الكريم : سورة محمد : آيه : ٢٤

(٥) سورة "ص" : آيه : ٢٩

وهذا لا يمنع من الاجتهاد في التفسير • انما تمنع التصدى للتفسير بغير علم • وهناك أمور كثيرة تجب الاحاطة بها قبل محاولة تفسير القرآن• وقد أورد السيوطي [1] نقلا عن الزركشي في كتابه البرهان خلاصة هذه الأمور أو الشروط التي لا بد منها لاباحة التفسير بالرآى وهي : -

١ : - معرفة ما أثر عن الرسول من بيان لمعنى الآيات وبخاصة آيات الأحكام التي لا سبيل الى معرفتها على الوجه الأكمل ونقل كل ذلك عن الرسول مع التحرز عن الموضوع والضعف •

٢ : - الأخذ بقول الصحابى ، فقد قيل : أنه في حكم المرفوع مطلقا وخصه لعضهم بأسباب النزول ونحوها مما لا مجال للرأى فيه •

٣ : - الأخذ بمطلق اللغة مع الاحتراز عن صرف الآيات التي ما لا يدل عليه الكثير من كلام العرب •

٤ : - الأخذ بما يقضتيه الكلام • ويدل عليه قانون الشرع • وهذا النوع هو الذى دعا به النبي لابن عباس في قوله : " اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل " واشهر التفاسير التي تتوفر فيها هذه الشروط : تفسير الرازى المسمى (مفاتيح الغيب) وتفسير البيضاوى المسمى " أنوار التنزيل واسرار التأويل " وتفسير ابي السعود المسمى " ارشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم " • وتفسير النسفي المسمى " مدارك التنزيل وحقائق التأويل "• وتفسير الخازن المسمى " لباب التأويل في معاني التنزيل " •

والتفسير بالرأى حتى مع توفر الشروط التي تجعله محمودا لامُسَوِّغ له اذا عارضه التفسير بالمأثور الذى ثبت بالنص القطعي • لأن الرأى اجتهاد ولا مجال للاجتهاد في مورد النص اما اذ ا لم يكن تعارض بين التفسير بالرأى

(١) الاتقان : ج٢ ص : ٣٠٢ - البرهان ج٢ ص ١٥٦ - ١٦١ •

والتفسير بالمأثور ٠ فكل منهما يؤيد الآخر ويثبته ، وذلك أكثر مما يوجد في كتب التفسير مثل الأقوال في تفسير قوله تعالى ﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ ﴾ (١) .

أما تفاسير الفرق الاسلامية فترجع الى التفسير بالرأى الا انها تدخل فس النوع المذموم منه ٠ ويغلب على تفاسير المعتزلة الطابع العقلي والمذهب الكلامي ، ويغلب على تفاسير المتصوفة الشطحات التي تجعل كلامهم غامضا الا على المتصوفين ٠

وأشهر التفاسير من هذا النوع : التفسير المنسوب الى الشيخ محي الدين بن عربي المتوفي سنة ٦٣٨هـ ويقرب من تفسير المتصوفة مايسمى بالتفسير الاشارى ٠ وهو الذى تؤول به الآيات على غير ظاهرى مع محاولة الجمع بين الظاهر والخفي ٠ ومن ذلك : تفسير الألوسي المتوفي سنة ١٢٧٠هـ ويسمى " روح المعاني " ٠

أما تفاسير الباطنية فيقتصرون على الأخذ بباطن القرآن ويهملون ظاهرة مستدلين بقوله تعالى :

﴿ فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴾ (٢)

وقد ألفت في القرن الأخير تفاسير لبعض العلماء المعاصرين فيها محاولات للتجديد والتفسير بالمأثور اذا اجتمع اليه حسن الاستنباط وسعة الثقافة والمقدرة على الترجيح هو أولى التفاسير بالاعتبار ٠ ومع ذلك يستحسن الرجوع الى مختلف التفاسير وان يتم اختيار أصلح الآراء فيها ٠ الا اذا ثبت على وجه القطع أثر صحيح في الموضوع فنأخذ به ونطرح ماعداه اذ لامسوغ للاجتهاد في مكان النص ٠

---

(١) سورة فاطر : آيه ٣٢

(٢) سورة الحديد : آيه ١٣ ٠

علـوم القـرآن :-

لم تكن الحاجـة ماسة لتدوين علوم القـرآن في عهـد الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة • فكان الرسول يتلقى الوحي من ربـه ويتلقى بيان هذا الوحـي ويعلم أصحابه قال تعالـى : ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْءَانَهُ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴿١٩﴾﴾ (١)

وكـان أكـثر الصحابة أميين وأدوات الكتـابة لم تكن متوفـرة لديهم فكـان ذلك حـائلا دون التأليف في هـذا العلـم ، اضافـة الى أن الرسول (ص) نـهى أصحابه ان يكتبوا عنه شيئـا سوى القـرآن ، وقال لـهم " لاتكتبوا عني ومن كتب عني غير القـرآن فليمحـه ، وحدثوا عني ولاحرج • ومن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعـده في النـار • " فكان الرسول يخاف ان يلتبس القـرآن بغيره وأن يدخل فيه ماليس منه ، ولهذا أنهـى أصحابه عن كتابة ماكان يحدثهـم بـه •

وبقيت علوم القـرآن تروى بالتلقين والمشافهـة في عهـد الرسول (ص) ثـم في عهـد أبي بكـر وعمر بن الخطـاب • وفي زمـن عثمان اختلط العرب بالعجـم فأمـر عثمان أن يجتمعـوا علـى مصحف واحـد وان يحرق ماعداهـا ، وبكون عثمـان بنسخ المصاحـف قد وضع الاساس لما سمـي فيما بـعد بعلم رسم القـرآن أوعلم الرسم العثمانـي " (٣) .

وذكـر ان عليا رضي الله عنـه أمر أبا الاسود الدؤلي (٤) (ت ٦٩هـ) بوضـع بعض القواعـد للمحافظـة على سلامـة اللغة العربيـة فكان علي بذلك واضع الاسـاس لعلم اعراب القـرآن •

---

(١) سورة القيامـة : آيه ١٦ ـ ١٩ •

(٢) صحيح مسلم : ج ٨ ، ص ٢٢٩ ـ صبحي الصالح : علوم الحديث ومصطلحه : ص ٨ •

(٣) صبحي الصالح : مباحث في علوم القرآن ، ص ١٢٠ •

(٤) ابناء الرواه : ج١ ،ص١٣ ـ تهـذيب التهـذيب ج١ ، ص ١٠ ـ ١٢ •

ويمكن القول ان الخلفاء الراشدين وابن عباس وابن مسعود وزيد بن ثابت وأبي بن كعب ، وأبوموسى الاشعري وعبدالله بن الزبير كانوا المهد بين لعلم اعراب القرآن (١) .

كما يعتبر مجاهد وعطاء بن يسكر وعكرمه وقتادة والحسن البصري وسعيد بن جبير وزيد بن مسلم في المدينة من التابعين ، ومالك بن أنس من أتباع التابعين من الممهدين لهذا العلم أيضا .

هؤلاء واضعوا علم التفسير وعلم أسباب النزول وعلم المكي والمدني وعلم الناسخ والمنسوخ وعلم غريب القرآن .

وفي عصر التدوين ألفت الكتب في مختلف الدراسات القرآنية فسجلت روايات بعض التابعين في تفسير القرآن الكريم . كما ألفت في معاني القرآن ومشكلة ومجازة . فمنها معاني القرآن للأخفش ومعاني القرآن للرؤآسي ومعاني القرآن ليوسف بن حبيب ومعاني القرآن للمبرد ومعاني القرآن لقطرب النحوى ومعاني القرآن لأبي عبيد وغير ذلك .

وممن ألف في غريب القرآن أبوعبيد وأبن قتيبة ومحمد بن سلام الجمحي وأبوعبدالرحمن اليزيدى وكثير غيرهم . وألفت الكتب أيضا في قراءات القرآن ونقطه وشكله وفي الوقف والابتداء والمتشابه والناسخ والمنسوخ ، وكانت كل دراسة تسمى باسمها . فلم يظهر اصطلاح علوم القرآن الا في وقت مبكر .

وفي القرن الثالث : ألف علي بن المديني (١) شيخ البخارى في أسباب النزول وألف أبوعبيد القاسم بن سلام في الناسخ والمنسوخ وفي القراءات وفضائل القرآن . ومحمد بن أيوب الضربس (ت ٢٩٤هـ) ألف فيما نزل بمكة والمدينة (٣)

(١) انظر ابن النديم : الفهرست : ص ٣٣ .

(٢) هو علي بن عبدالمربن جعفر . ريكنى أبا جعفر وهو سعدى بالولاء توفي سنة ٢٣٤هـ (انظر شذرات المذهب ج٢، ص ٨١ ـ تذكرة الحفاظ : ج٢ ، ص ١٥ .

(٣) اسم كتابه " فضائل القرآن " .

وفي القرن الرابع الهجري : ألف أبوبكر محمد بن القاسم الانباري (ت ٣٢٨هـ) عجائب علوم القرآن وألف الحسن الاشعري " المختزن في علوم القرآن" وغيرهم الكثيرون من أمثال أبوبكر السجستاني [١] الذى ألف في غريب القرآن .

وفي القرن الخامس : ألف علي بن ابراهيم الحوفي [٢] " البرهان في علوم القرآن " و " اعراب القرآن " .

وفي القرن السادس : ألف أبوالقاسم المعروف بالسهيلي [٣] في مبهمات القرآن وألف في القرن السابع ابن عبدالسلام [٤] في مجاز القرآن .

وألف علم الدين السنحاوى [٤] في القراءات في القرن السادس الهجري ثم أنشأت علوم جديدة في القرآن : بدائع القرآن [ ] وحجج القرآن [٦] وأقسام

---

(١) هو محمد بن عزيز بن عبدالعزيز السجستاني . توفي سنة ٣٣٠هـ (بغية الوعاء ص ٧٢) وذكر السيوطي ان السجستاني مكث خمسة عشر سنة وهو يحرر كتابه غريب القرآن ، ويؤلفه مع شيخه أبوبكر بن الانباري (الاتقان : جـ١ ، ص١٩٥) .

(٢) هو علي بن ابراهيم بن سعيد المصرى صاحب كتاب البرهان في علوم القران وكتاب المذاهب القرآنية توفي سنة ٤٣٠هـ (حسن المحاضرة ج٢،ص٢٢٨، أنباه الرواه ج ٢ ، ص ٢١٩ .

(٣) هو عبدالرحمن بن عبدالله بن أحمد السهيل ويكنى أبا القاسم . توفي بمراكش سنة ٥٨١هـ وكتابة (مبهمات القرآن) .

(٤) هو شيخ الاسلام الامام أبومحمد عبدالعزيز بن عبدالسلام المشهور بالمعز توفي سنة ٦٦٠هـ (طبقات الشافعية ج ٥ ، ص ٨٠ ومابعدها - شذرات المذهب ج ٥ ، ص ٣١٠ .

( ) هو علي بن محمد بن عبدالصمد المعروف بالنحاوى . توفي سنة ٦٤٣هـ ، له في القرآن منظومة تعرف بالسنحاوية (انظر وفيات الاعيان ج١،ص ٣٤- البرهان ج١ ، ص ١١٢ .

(٦) بدائع القرآن : هو علم يبحث منه عما ورد فى القرآن من أنواع البديع (الاتقان ج٢ ، ص ١٤٠ - ١٦٠) .

القرآن [1] وأمثال القرآن [2] .

وكانت طرقهم استقصاء جزئيات القرآن . ولذلك استلزم اختصار تلك العلوم في علم جديد موحد سمي (علوم القرآن) .

ويرى الباحثون ان اصطلاح (علوم القرآن) بالمعنى الجامع الشامل لم يبدأ ظهور حالات بكتاب (البرهان في علوم القرآن) لعلي بن ابراهيم بن سعيد المشهور بالحوفي (ت ٤٣٠هـ) .

وقد اشتمل هذا الكتاب على بعض علوم القرآن مع انه في الظاهر تفسير . اذ ذكر فيه الغريب والاعراب والتفسير [3] . وكان في القرن الثالث الهجري قد ظهرت كتب عالجت الدراسات القرآنية باسمها الصريح (علوم القرآن) كان أسبقها كتاب ابن المزربان (الحاوي في علوم القرآن) [4] .

وفي القرن السادس الهجري ألف ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) كتابين هما " فنون الافنان في عجائب علوم القرآن " والثاني " المجتبي في علوم تتعلق بالقرآن " [5] .

وألف أبوشامه المتوفي عام ٦٦٥هـ كتابا أسماه (المرشد الوجيز فيما يتعلق بالقرآن العزيز) وصنف علم الدين السخاوي المتوفي عام ٦٤٣هـ كتابه " جمال القراءات وكمال الاقراء " [6] .

---

(١) حجج القرآن : يسمى أيضا علم جدل القرآن ويراد منه ان كتاب الله نطق بجميع أنواع البراهين والأدلة ولكن على أساليب العرب لا طرائق المتكلمين (الاتقان ج٢ ، ص ٢٢٩ - ٢٣٣ .

(٢) الاتقان : ج٢ ، ص ٢٢٥ - ٢٢٨

(٣) الاتقان : ج٢ ، ص ٢٢٢ .

(٤) صبحي الصالح : مباحث في علوم القرآن : ص ١٢٤ .

(٥) صبحي الصالح : مباحث في علوم القرآن : ص ١٢٤ .

(٦) المرجع نفسه : ص ١٢٤ .

وألف بدر الدين الزركشي (ت ٧٩٤) [١] في القرن الثامن الهجري كتابه " البرهان في علوم القرآن " . وفي القرن التاسع كثر التأليف فصنف محمد بن سليمان الكافيجي ٨٧٩ كتاباً [٢] ، وألف السيوطي (ت ٩١١ هـ) ، كتابه (التحبير في علوم التفسير واتبعه بالاتقان في علوم القرآن " [٣] .

وفي القرن الأخير زاد الاقبال على التأليف فكتب الشيخ طاهر الجزائري " التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن " وكتب الشيخ محمد جمال الدين القاسمي (محاسن التأويل) والشيخ محمد عبدالعظيم الزرقاني " مناهل العرفان في علوم القرآن " كما كتب مصطفى صادق الرافعي " اعجاز القرآن" وسيد قطب " التصوير الفني في القرآن الكريم " وفي ظلال القرآن والشيخ طنطاوى جوهرى " الجواهر في تفسير القرآن الكريم " والامام رشيد رضا " تفسير القرآن الحكيم " وفيه مباحث كثيرة في علوم القرآن ثم كتب محمد عبدالله دراز " البناء العظيم نظرات جديدة في القرآن " [٤] الى غير ذلك من الكتب التي وضعت في هذا المجال .

---

(١) هو الامام بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي . من أعلام المفسرين ولد سنة ٧٤٥ هـ وتوفي سنة ٧٩٤ هـ - صبحي الصالح : مباحث في علوم القرآن ص ١٢٥

(٢) هو محمد بن سليمان بن سعد بن مسعود الكافيجي اشتغل كثير بالكافية في النحو فعرف بها . له كتب في التفسير والفقه وأصول اللغة والنحو توفي سنة ٨٧٩ هـ (بقية الوعاء : ص ٤٨) .

(٣) صبحي الصالح : مباحث في علوم القرآن : ص ١٢٥ .

(٤) صبحي الصالح : مباحث في علوم القرآن : ص ١٢٦ .

الباب السادس

٦ ـ المظهر العمراني وتطور نشأة المدن

المظهر العمراني وتطور نشأة المدن :

ارتبطت نشأة وتطور المدن الاسلامية بمعايير حضارية اسلامية تأثرت الى حد بعيد بتاريخ الاسلام وتطور حضارته . ويعكس هذا الارتباط والتأثير أسباب وعوامل تطور هذه المدن .

فبعد هجرة الرسول (ص) الى المدينة (يثرب) تبدأ نشأة المدينة الاسلامية اذ حولها الى مدينة بمفهوم حضاري واضح . وحدث تغيير واضح سعى الى تحقيقه الرسول صلى الله عليه وسلم أساسه الدعوة الى الاسلام وذلك الدين الذي بدأت في ضوء تعاليمه عملية تهيئة المجتمع الاسلامي الجديد لحياة حضارية تلازمت تماما مع اهتمامه بالكيان المادي للمدينة فأدى ذلك وبالتدريج الى تكامل المراكز الحضارية الاسلامية .

فقد دعا الرسول (ص) الى تصفية القبيلة بدعوته الى التآخي في الاسلام ولكنه أكد على رابطة ذوي الأرحام التي هي تنظيم يضم عدة بطون وعشائر في قبيلة واحدة وتحت راية واحدة في اطار رابطة القرابة . وبصورة أوسع أكد الرسول (ص) على رابطة العامة للمسلمين وهي رابطة تعني توحيد عامة القبائل في تنظيم حربي واجتماعي تحت راية واحدة . فأدى التفاعل بين هذه الاتجاهات الى خلق مجتمع متماسك بعيدا عن القبيلة ترتبط برابطة الاسلام . فاستبدل الرسول (ص) العصبية القبلية بعصبية المواطن والارض بابراز أهمية المنطقة والارض والانتماء اليها . فظهرت مسميات القبائل كأهل قباء وأهل الطائف وأهل المدينة ولهذا الاتجاه دلالته الحضرية والاستيطانية[1]

وأقر الرسول مبدأ الاستخلاف على الأقاليم والمدن . اذ كان يستخلف على المدينة من يضبط أمورها في حالة غيابه ، وكذلك فعل في اليمن وزبيد

(1) محمد عبدالستار . المدينة الاسلامية . ص ١٣٣ - ١٤٧ .

وعدن وغيرها . فكان لهذه السياسة آثار ايجابية اذ ساهمت في خلق مجتمع اسلامي مترابط بعيدا عن التعصب القبلي ونزعتها . فارتبطت القبائل بالأرض وانصهرت في مدن الأنصار القبائل المهاجرة من الجزيرة وتعصبت لهذه المدن وتفاخر رجالها بفقهاء هذه المدن وعلمائها . (١)

وبالنسبة للموقع : فان المدينة تقع في سهل واسع تحيط به الحرات كثير المياه ، خصباً وكانت قبل هجرة الرسول (ص) اليها مقسمة الى محلات سكنية منفصلة . وكان لكل قبيلة آطامها التي تحتمي بها فتعددت بتعدد القبائل وصاحبتها اليها . وكان ذلك نتيجة طبيعية لتوزع هذه المحلات (٢) .

ووجدت الاسواق المتنوعة في المدينة على أطراف المحلات السكنية ولعلها كانت كذلك لأسباب اجتماعية ودفاعية (٣).

ووجدت في المدينة سقائف خاصة بالقبائل وكانت بمثابة دواوين مثل : سقيفة بني مساعدة وسقيفة الريان . كما كان لليهود بيوت المدارس وهي أشبه بمساجد المسلمين من حيث وظائفها الدينية والسياسية والاجتماعية (٤)

وأخذت معالم المدينة (يثرب) العمرانية تتغير بعد الهجرة النبوية اليها بما يتناسب وماطرأ على مجتمعها الاسلامي . وأصبحت بعد الهجرة مركزا سياسيا واداريا في هذه المدينة " المسجد الجامع " ثم أنشئت من حوله مساكن المهاجرين وفي ذلك تجميع للمسلمين ليكونوا كتلة واحدة ( ) .

(١) عبدالله ادريس : مجتمع المدينة في عصر الرسول (ص). نشر جامعة الملك سعود - عمادة شؤون المكتبات ، ١٩٨٢ .

(٢) ابن رسته : الاعلام النفسية ص٢٥ طبعة ليدن - الطبرى: ج١،ص٤٧٩ .

(٣) خليل السامرائي وثائر حامد محمد : ص٢٧ .

(٤) خليل السامرائي : المظاهر الحضارية للمدينة المنورة في عهد الرسول (ص) الموصل ١٩٨٤ . ص ١٦ .

( ) محمد عبدالستار عثمان : المدينة الاسلامية : ص ٥٣ .

ومع تزايد أعـــداد المسلمين احتاج المسلمون الى توسيع هذا المسجد بيـــن فترة وأخرى . وكانت أول مرة أضيف عليه بعد غزوة خيبر سنة ٧ هـ [(١)] .

وجعل أهل المدينة للرسول (ص) الصلاحية في أن يصنع في الارض التـــي لاتصلها المياه مايشاء [(٢)] . وبذلك أخذت المنشآت العمرانية تزداد واتصل بناؤها ببعضه البعض .

ولعل الرسول (ص) هو الذى كان مسؤولا عن توزيع الارض وتوطيــن الناس في المدينة [(٣)] . فقد أقطع القطائع للأشخاص وجمع بين ذوى القربـــى في موضع واحد [(٣)] فتضمنت المدينة في عهد الرسول (ص) خططا عديدة كـــل خطة سكنها أفراد ينتمون الى قبيلة أوعشيرة [(٤)] . وعلى هذا الاساس ســـار اقطاع الخطط والمنازل في المدن الاسلامية الناشئة . ومثال ذلك ماحدث في البصرة سنة ١٤هـ / ٦٣٥م والكوفة سنة ١٧هـ / ٦٣٨م والفسطاط سنة ٢١هـ/٦٤١م والقيروان سنة ٥٠هـ / ٦٦٥م والعسكر بمصر سنة ١٣٣هـ / ٧٥٠م وبغداد سنـــة ١٤٥هـ / ٧٦٢م وسامراء سنة ٢٢١هـ / ٨٣٥م وقطائع أحمد بن طولون بمصر سنـة ٢٥٦هـ / ٨٦٩م والقاهرة سنة ٣٥٨هـ / ٩٦٨م ، الى غير ذلك من أمثلة المـــدن الاسلامية . فأصبح نظام تقسيم المدينة الى خطط تربط بين سكان كل خطـة منها صلات معينة محورا أساسيا بين المحاور التي قامت عليها أسس تخطيـــط المدينة الاسلامية الناشئة [(٥)] وتوزعت المساجد على خطط المدينة في عهــــد

(١) محمد عبدالستار عثمان : المدينة الاسلامية : ص ٣ .
(٢) ابن سلام : الأموال : ص٣٥٧ ـ ٣٥٨ .
(٣) ياقوت : معجم البلدان : ج٥، ص ٨٦ .
(٤) السمهورى : وفاء الوفاء وأخبار دار المصطفى : ج٢،ص٧٥٧ ـ ٧٦٥ /بيروت دار صادر .
(٥) محمد عبدالستار : المدينة الاسلامية : ص ٥٤ .
(٦) الكتاني : التراتيب الادارية طبعة بيروت ١٩٧١ :ج٤،ص٧٧ ـ ٧٨ .

الرسول (ص) وكان عددها تسعة في خطط المهاجرين ، واشتملت المدينة على ساحة فضاء تقام عليها صلاة العيد عرفت بمصلى العيد ، وكان لكل قبيلة في خطتها مقبرة خاصة بها . ورغم ان البقيع صارت منذ سنة ١٠هـ / ٦٣١ م مقبرة عامة الا ان كل قبيلة عرفت لها قسما من أرضها استخدمته للدفن (١) واهتم الرسول (ص) بانشاء السوق في المدينة ، ويظهر من ان انشاء سوق للمسلمين بالمدينة كان ليكفيهم اذى اليهود الذين أخذوا في الاعتداء على المسلمين ومضايقتهم باسواقهم (٢) ثم ان السوق مرفقا ضروريا لحياة المجتمع

وأقر الرسول نظام المراقبة في الأسواق . فكان يمر بنفسه في السوق ويوضح الأسس الاسلامية في التعامل (٣) وعين أشخاص لمراقبة الأسواق (٤) .

وفتحت الشوارع والطرقات بين هذه التكوينات المعمارية تبدأ من المسجد الى أطرافها . وكانت هذه الشوارع تختلف في اتساعها بين خمسة وعشرة أذرع (٥) .

وفي خارج المدينة اتخذ الرسول (ص) المعسكرات مثل معسكر الجرف على بعد ٣ أميال شمال المدينة فمنه انطلق جيش أسامه ومنه انطلق أيضا جند المسلمين الى مؤته (٦) .

---

(١) السمهودي : ج١ ، ص ٣٢٦ ، ج٣ ، ص ٨٨٨ ومابعدها .

(٢) ابن سيد الناس : عيون الأثر ، ج١ ، ص٣٥١ .

(٣) السامرائي : المرجع السابق ، ص ٦٥

(٤) حسان الحلاق : الادارة المحلية الاسلامية : المحتسب ، الدار الجامعة ص١٥ .

(٥) السمهوري : المرجع السابق ، ص ٧٢٥ - ٧٣٢ .

(٦) سيرة ابن هشام : ج ٤ ، ص ٢١٩ - ابن سيد الناس ج ٢ ص ٤١٩ .

ومما يذكر أنه بعد أن توحدت المحلات السكنية في المدينة بعد هجرة الرسول (ص) اليها وبعد أن أصبح مجتمعها وحدة واحدة تضاءلت أهمية الحصون التي نشأتها القبائل المتفرقة لحماية محلاتها واللجوء اليها عند الخطر (1) .

وأنشأ المسلمون في المدينة المنورة أماكن للتداوي وسعوا الى انشاء البيمارستانات وأوقفوا الوقوف عليها وخصصت بالمدينة دور للضيافة أهمها دار عبدالرحمن بن عوف الكبرى وكانت تسمى دار الضيفان أودار الأضياف وغيرها الكثير (2) .

كما حددت أماكن لقضاء حاجات الناس تسمى المناصع بالاضافة الى بيوت الخلاء الملحقة بالمنازل (3) .

ويلحظ مما ذكر ان التكوينات العمرانية الجديدة وكيفية تخطيطها وتوزيعها على مخططها بطريقة تجعلها كلا متماسكا وانها كانت تفي بحاجات المجتمع .

وبعد الفتوحات الاسلامية أنشئت المدن لتكون بمثابة معسكرات متقدمة في الشرق والغرب لهذه الجيوش ، ومراكز ادارية في الأقاليم المفتوحة فكانت وظيفتها أولا مرتبطة بنشأتها وأصبحت مع الزمن مدنا : " ماهي الا معاقل لتوكيد الفتح وحاميا لتغذية جهات القتال بالرجال والمؤن ونقاط ارتكاز لحركة الفتح العربي ودور هجرة ومنازل جهاد ومعالم لنشر الدين وبذور بعث جديد

---

(1) محمد عبدالستار : المدينة الاسلامية ، ص ٦٠ .

(2) انظر السمهوري : ج ٢ ، ص ٧٣٩ - ابن سيد الناس ج ٢ ، ص ٢٩٩ ، ج ٣ ، ص ٣١٧ .

(3) عبدالقدوس الانصاري : آثار المدينة المنورة ، ص ١٣١ - خليل السامرائي ص ٧٠

للحضارة الانسانية باختيار الزمان والمكان . كما أنها أقرت التزام الدولة تجاه المجاهدين في السكن والوظيفة ... " (١)

وبدأت المدن بالبصرة التي أنشئت سنة ١٤هـ / ٦٣٤م لتكون معسكرا عربيا .

وقد مصرها عتبة بن غزوان بأمر الخليفة عمر بن الخطاب . فكان أولا بناء المسجد في وسط المدينة وعلى مقربة من دار الامارة . ثم اقتطعت القبائل خططها حول المسجد . وخططت شوارعها فكان الشارع الرئيسي ٦٠ ذراعا وعرض الأزقة سبعة من الغزو فاذا رجعوا أعادوا بناءه (٢) .

وتطورت البصرة مع الزمن وكان لا تصالها تجاريا بالأقاليم المجاورة أثرا في نموها وازدهارها ومما ساهم في نموها سياسة تشجيع العمران عن طريق منح الاقطاعات واتخاذ الأسواء وتأسيسها (٣) .

ويكشف هذا التطور عن ازدياد أهمية البصرة التي أصبحت مركزا اداريا ارتبطت به البحرين والبلاد المفتوحة من بلاد فارس . فأدى هذا التطور الى الرخاء الاقتصادى ومظاهرة تزايد الواردات من غنائم الفتح وقد أدى الرخاء الاقتصادى الى زيادة سكان المدينة بشكل ملحوظ عن طريق الهجرة اليها لكسب العيش ومزاولة الأعمال حتى بلغ سكانها وفقا لسجل المقاتلين (٦٠) ألفا .

ثم تطورت البصرة فيما بعد اذ ان زياد بن أبيه كان أول من بنى الآجر والجص وأعاد تنظيم المدينة وتحديد تقسيماتها فقسمها الى خمسة أخماس في كل خمس مجموعة من العشائر التي تنتمي الى قبيلة واحدة . وشجع زياد تأسيس

---

(١) السمهوري : المرجع السابق ، ص ١٠٣ .

(٢) البلاذرى : فتوح البلدان : ص ٣٤٥ .

(٣) عبدالجبار ناجي : المرجع السابق ، ص ٦٢ .

الأسواق فقد بنى مدينة الرزق وهي سوق واسعة لها أربعة أبواب واهتم بانشاء الوحدات العمرانية المتصلة بزيادة عمران المدينة كالمحلات والمربعات والحمامات [1] .

ومما يدل على اتساع البصرة وعمرانها ان زياد بن أبيه جعل الشرطة أربعة آلاف [2] ومن خلال الاطلاع على ما أصاب البصرة من تطور يلحظ انها تحولت خلال هذه الفترة من مجرد معسكر حربي الى مدينة ذات معايير مدنية واضحة تمثلت فيها الحياة العربية مرتبطة بأحداث التاريخ الاسلامي بشكل وثيق وعلى هذا المنهج سارت مدن الأمصار الاخرى التي أنشئت بعد ذلك .

وأنشئت الكوفة سنة ١٧هـ / ٦٣٨م لتكون معسكرا حربيا أيضا . وقد مصرها سعد بن أبي وقاص بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب . وكان عرض شارعها الرئيسي أربعين ذراعا والشوارع الاخرى ثلاثين ذراعا والتي تليها عشرين ذراعا وكان اتساع الأزقة سبعة أذرع [3] .

وقد أنشيء المسجد في وسط المدينة وبجوارة دار الامارة ومن هنا امتدت وتفرعت الشوارع . ومنحت القطائع للقبائل فكانت كل قبيلة تقسم الخطة المخصصة لها وكان لكل قبيلة مقبرتها الخاصة بها [4] ومع تزايد أعداد السكان كانت الكوفة تمتد عمرانيا في أكثر من خطة . واذا كانت القبيلة محدودة كان يشترك معها في الخطة جماعات لاتنتمي الى القبيلة وهم الذين كان يطلق عليهم الاخلاط [5] . وكانت سوق المدينة في وسطها وهي عبارة عن ساحة

(١) عبدالجبار ناجي : المرجع السابق ، ص ٦١ .
(٢) المرجع نفسه : ص ٦٣ .
(٣) انظر الطبرى : المرجع السابق ، ص ٢٤٩ .
(٤) اليعقوبي : البلدان : ص ٩٥ ـ ٩٦ .
(٥) كاظم الجنابي : خطط الكوفة ، ص ٧٤ .

فضاء . وظلت كذلك حتى جاء خالد القسرى في زمن الخليفة هشام بن عبدالملك (١٠٥ ـ ١٢٥هـ / ٧٢٤ ـ ٧٤٣م) فأمر بانشاء الاسواق على هيئة معمارية جديدة تشتمل على حوانيت سفلية ومساكن علوية للسكنى [١] .

ومما سبق يتبين ان تخطيط الكوفة سار على المنهج الذى وضع في المدينة المنورة " ثم في البصرة " ونهج المسلمون في تخطيط الفسطاط على النمط السابق نفسه . فقد أنشأها عمرو بن العاص بأمر الخليفة عمر بن الخطاب سنة ٢١هـ / ٦٤١م [٢] وتقع على الشاطىء الشرقي للنيل بجوار حصن نابليون . فبقى عمرو المسجد أولا وخط في المنطقة المحيطة به سوقا ومن ثم اختطت الخطط للقبائل . وكان للقبيلة الكبيرة أكثر من خطة كما كانت القبائل الصغيرة تضم مع بعضها في خطة واحدة . وكانت خطة أهل الرأى قريبة من المسجد [٣].

وكانت الفسطاط قد بدأت بداية قوية في عمرانها حتى ان خططها وصلت ٤٧ خطة منذ تأسيسها [٤] . ويبدو مما سبق ان الخطة كانت في الفسطاط كما في البصرة والكوفة أساس تخطيط المدينة فهي وحدة تخطيط أساسية وان هذا النظام قام على أساس القبيلة وروح استمرار الفتوحات الاسلامية ودعم هذه المدن بالجيوش حدث تطور في هذه المدن فزادت الحاجة الى المساحات التي تتسع لتوسيع الخطط لاستيعاب الاعداد الجدد من المقاتلين القادمين ، فزحفت المباني على الساحات وتلاصقت الخطط وامتدت لتضييق الشوار ع فكون ذلك الشوار ع الملتوية والطرق الضيقة التي اتسمت بها الفسطاط [٥] .

---

(١) كاظم الجنابي : خطط الكوفة ، ص ٧٤ .

(٢) الطبرى : المرجع السابق ، ص ٢٤٩١

(٣) ابن عبدالحكم : فتوح مصر والمغرب ـ القاهرة ١٩٦١ ، ص ٦٩٧ .

(٤) محمد عبدالستار : المدينة الاسلامية : ص ٦٩ .

(٥) محمد عبدالستار : المدينة الاسلامية : ص ٧١ .

وكانت مباني الفسطاط متلاصقة وخططها متلاحمة وشوارعها ضيقة
ويمثل انشاء بغداد وسامراء تصبح وتبلور هذه المرحلة من التطور

اذ أصبحت المدينة " ثوب العظمة " للحكام . وعند المقارنة بين بغداد وسامراء وبين مدن الأمصار نجد كثيرا من التشابه . ويتمثل ذلك في اتباع نظام الاقطاعات والخطط كنظام متبع لتنمية عمران المدينة وتخطيطها . وفي كل هذه المدن كانت التنمية الداخلية متروكة للأفراد في كل مجموعة سواء كانوا أعضاء في قبيلة أوفرقة في الجيش أومجموعة من بلد ما وفي كل منها كان المسجد الجامع ودار الامارة في مركز المدينة وان كان ذلك غير منطبق تماما على سامراء كما في بغداد . وكانت في سامراء وبغداد ومدن الأمصار الأسواق بجوار المسجد وتستثنى بغداد من ذلك .

ومن حيث الاختلاف فقد خططت بغداد وسامراء تخطيطا منتظما بينما مرت مدن الأمصار في مراحل تطور باعتبار ظروف نشأتها وتحولها من معسكرات حربية الى مراكز استيطان ثم الى مدن مستقرة صبغت تدريجيا بالصبغة المدنية (١).

وتعتبر بغداد لكونها داخل الأسوار مدينة ملكية وقعت خارج أسوارها الرياض العامة . ثم تطورت الى مدن للعامة بسبب ظروف قيامها بانحلال ملك وقيام ملك آخر وتتابع حياة الدول الحاكمة التي ترغب في اتخاذ هذه المدينة أوتلك حاضرة لها أو تعزف عنها فتنشيء لها مدينة أخرى مجاورة أوبعيدا عنها ، ومن المدن التي تعكس ذلك : المهدية والقاهرة ومراكش والرباط وفاس والزهراء وغيرها .

واختلفت أسباب نشأة المدن الأخرى التي لم تكن حواضر الملك أو مراكز

---

(١) المرجع نفسه : ص٧٧ .

الادارة . وارتبطت هذه الاسباب بعوامل اقتصادية وحربية ودينية وغير ذلك فكانت تبدأ بنواة عمرانية تتطور وتتشكل لتأخذ الملامح نفسها وكذلك الحال بالنسبة للمدن التي كانت قائمة قبل الاسلام وصارت تحت لواء دولته .

وتطورت المدن الاسلامية وازدهر عمرانها وحكم هذا التطور تلك الاسس التي قامت عليها هذه المدن . وبرز كثير من العوامل والظواهر التي أدت الى هذا التطور وعكسه كثيرمن الشواهد العمرانية التي اتسمت بها المدن الاسلامية . فقد اتسع عمران هذه المدن بسبب توفر المقومات الحضارية . ومن المؤشرات التي تدل على ذلك زيادة عدد سكان هذه المدن وزيادة المنازل والمنشآت . وكان لسياسة الحكام الهادفة الى العمران أثرها في تطور هذه المدن وزيادة سكانها وظهر ذلك في النظم الاسلامية التي أدت الى زيادة عمران المدن ولا أدل على ذلك من ظهور المدارس والمنشآت الدينية والربط والزوايا .

ولعبت الأوقاف دورا هاما في حياة المدن . فانتشرت بشكل واضح حتى خصص ديوان عرف بديوان الأحباس والاوقاف (1) . وله أثره في عمران المدن الاسلامية وخاصة منذ بداية القرن السادس الهجرى . والأوقاف تستلزم حركة عمرانية تشكل جانبا هاما من حركة العمران في مراكز الاستيطان ومن أهمها المدن . وأصبحت المدارس ثم الخانقات من المؤسسات الدينية التقليدية بالمدن الاسلامية . اذ روعي في تخطيط بعض مدن الشام الاهتمام بالمنشآت المدرسية والخانقات : وساهم في تطوير عمران المدن الاسلامية تلك المشاركة التي أتاحها الحكام للعامة في تعمير المدن وتشجيعها . وذلك باختيار

---

(1) القلقشندى : صبح الاعشى : ج١٠ ، ص ٤٥٢ ـ ٤٥٣ ـ خطط المقريزى ج٢ ، ص ٢٩ .

المواضع المناسبة لانشاء المدن ، وفي اقطاع العامة الاقطاعات لبدء التعمير والانشاء [1] .

وفي جمع القبيلة في مكان واحد مما دفع الافراد الى العمل على اعمار مواضعهم الامر الذى أدى الى اعمار الخطة بشكل متكامل ، والى منافسة الخطط بعضها بعضا فازداد عمران المدن وتعددت ارباضها . وشجع هذه المشاركة سياسة الاهتمام بانشاء المرافق العامة من ماء وأسواق ومساجد ودور قضاء وطرق وغير ذلك .

والمدن الاسلامية : نوع يحتوى على المراكز العمرانية التي وجدت فيها الفتح الاسلامي . وهي التي نزلها العرب واتخذوها حواضر لهم . ثم تحولت هذه المراكز العمرانية مع الزمن الى مدن اسلامية تشبه التي انشأها المسلمون بعد الفتح مع زيادة عنها بكثرة آثارها القديمة وباستقامة شوارعها مثل ماحدث في دمشق وحلب وطرابلس والشام والاسكندرية وقرطبة وغيرها .

والنوع الثاني : أنشأه العرب في العصر الاسلامي أما توثيقا لمصالح المسلمين الاقتصادية مثل مدينة مرسية والمرية في الاندلس . واما تدعيما لنظام الدفاع الاسلامي مثل قلعة جابر وقلعة أيوب في الاندلس وقلعة بني حماد وتونس في المغرب وواسط في العراق . وأما لأغراض سياسية خاصة مثل مدينة بغداد . أو لتكون مركزا عقائديا لمذهب الدولة الحاكمة مثل المهدية وقاهرة وفاس في المغرب والقاهرة . أو تكون تعبيرا عن فرحة الانتصار على أعداء الاسلام كالمنصورة في مصر وحصن الفرج في الاندلس ورباط الفتح في المغرب أو لتكون مراكز اشعاع للحضارة العربية الاسلامية في البلاد المفتوحة مثل البصرة والكوفة والفسطاط والقيروان أو انها نتيجة قيام دولة جديدة مثل العسكر في مصر

(١) محمد عبدالسلام : المدينة الاسلامية ، ص ٨٦ .

وبغداد في العراق ومراكش في المغرب أو لتكون مكانا لاستجمام الامراء والسلاطين والخلفاء وراحتهم مثل الزهراء في الاندلس ورقادة والعباسية بالقرب من القيروان وعين الجر (عنجر) في البقاع أو لتكون معسكر للجيوش كالقطائع في مصر وسامراء في العراق (١) .

ومع الفتوحات الاسلامية اضطر العرب المسلمون بعد ان اتسعت الدولة واتصلوا بأهلها الى انشاء مراكز لهم في تلك الأقطار المفتوحة لنشر الاسلام والثقافة ، ولمجاراة سكان تلك البلاد في حياتهم المتحضرة ، ولما كان العمران من مستلزمات الحضارة والتحضر فقد أقام العرب بعد فتح الشام والعراق وفارس ومصر والمغرب مدنا كان الهدف الاول منها عسكريا اي لتكون قواعد حربية ومعسكرات للجند . فكانت أولى هذه المدن التي أنشأها العرب المسلمون أيام عمرو بن العاص سنة ٢١هـ بأمر من الخليفة ثم أنشئت مدينة الفسطاط في مصر على يد عمرو بن العاص سنة ٢١هـ بأمر الخليفة عمر بن الخطاب أيضا وفي سنة ٥٠ هـ أسس عقبة بن نافع الفهرى مدينة القيروان . وبذلك يكون هذا القرن قد تميز بانشاء المدن الاسلامية في البلاد المفتوحة باستثناء الشام التي لم ينشأ فيها الا مدينة الرملة على يد الخليفة الاموى سليمان بن عبدالملك سنة ٩٦هـ .

وفي العهود التالية اتبع المسلمون سياسة بناء المدن لتمكين نفوذهم في البلاد المفتوحة مثل تونس التي أقامها حسان بن النعمان الغساني سنة ٨٤ هـ . ومدينة العسكر في مصر شمال الفسطاط سنة ١٣٣ هـ والقطائع في مصر سنة ٢٥٦ هـ والمهدية في تونس سنة ٣٠٣ هـ .

(١) انظر عبدالعزيز سالم : الحضارة الاسلامية : ص ١٥ ومابعدها .

(٢) بنيت البصرة على يد عتبة بن غزوان سنة ١٥هـ بأمر من عمر بن الخطاب وأنشئت الكوفة سنة ١٧هـ على يد سعد بن أبي وقاص بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب .

وقد حرص العرب في القرن الاول الهجرى على أن تكون مدنهم في داخل البلاد البعيدة عن السواحل حماية لها من الغزو الذى يأتي من البحر كما أخذوا بعين الاعتبار ماكان يتناسب مع حياتهم البدوية من مراعي الابل ومايصلح لها مثل الكوفة والقيروان (1) . ومانفور العرب من المناطق الساحلية الا بسبب بداوتهم وقلة خبرتهم بالشؤون البحرية : وقد أشار ابن خلدون الى الشروط المعتبرة والواجبة في تأسيس المدن بما يلي :-

أ - ان تكون في مناطق زاخرة بالمرافق كالمياة والمراعي .

ب - ان تقع في موقع استيراتيجي حصين : كأن تكون في استدارة بحر (خليج) أو على هضبة متوعرة أو على انحناءة نهر لايصلها العدو الا بعد العبور على جسر فيصعب السيطرة عليها وتظل منيعة .

جـ - ان تؤسس في مكان طيب الهواء لتجنيب أهلها الأوبئة .

وأما بالنسبة للمدن الساحلية فكان لابد أن تتوفر فيها شرط هام هو أن تكون على أعلى جبل حتى لايسهل غزوها ووقوعها بيد الأعداء ، وماتعرض الاسكندر يه لحملة الروم سنة ٢٥هـ / ٦٤٥م الا مثالا على ذلك .

وتشترك المدن الاسلامية جميعا سواء كانت في المشرق أو في المغرب أو كانت مدنا مفتوحة أم قديمة في مظهرها العمراني العام . ويقصد به طريقة تخطيطها ، وتوزيع مراكزها العمرانية ، وضيق شوارعها والتوائها وتشعب طرقاتها ، كما انها تشترك في نماذج بنائها ماعدا تفاصيل الزخرفة اما التمسته بتأثير المناخ أوالموقع أو طبيعة المكان .

ويمكن تفسير هذه الظاهرة : بأن المسجد الجامع والذى لايختلف في نظام بنائه كثيرا في أنحاء العالم الاسلامي - كان يعتبر أساسا للتنظيم العمراني

(1) انظر ابن خلدون : المقدمة .

للمدينة والمركز الديني الذى تحيط به بقية مراكزها العمرانية ، وكان بناء المساجد في الاسلام أساس العمران في المدن الاسلامية أو المدن المفتوحة التي كان يراد طبعها بالطابع الاسلامي ٠

وكان المسجد الأساس في جميع النشآت الاسلامية كالمدارس والخوانق والدور والاربطة والقصور ودور الصناعة والفنادق ٠ وجميعها اشتقت عناصرها من نفس نظام المسجد الذى وضع النبي (ص) خطوطه الاساسية ٠ وكان المسجد في المدينة الاسلامية يتكون من عنصرين هامين : بيت للصلاة مسقوف وصحن مكشوف..

ويلي المسجد في أهميته العمرانية في المدينة الاسلامية المركز الصناعي الاقتصادى : فقد كانت الحركة التجارية ومازالت على أشدها فيما يحيط بالجامع لان عددا كبيرا من المخازن والمحلات التجارية كانت تؤلف مجموعة قيسارية " أى سوق " ٠ وكانت الشوارع المحيطة بالجامع تتسمى بنوع مايباع أويصنع فيها مثل : درب الخياطين والصباغين والحطابين والفخاريين والنحاسين والوراقين والبزازين وغير ذلك ٠

واستمرت بعض هذه الأسماء تطلق على أحياء بأكملها في المدن الاسلامية مثل : حي العطارين في الاسكندرية والصفارين بفاس والنحاسين في القاهرة والبزورية في دمشق والكتبية في مراكش ٠

وكانت الحوانيت الاسلامية في العصور الوسطى عبارة عن أماكن ضيقة قليلة الارتفاع وأبوابها تغلق بألواح متحركة تربطها مزاليج محكمة ٠ وكان يعلوها مظلة مائلة من الخشب أو الحصير وقاية من الشمس أو المطر ٠

وكانت الفنادق والخانات من الأبنية الاقتصادية الهامة في المدينة الاسلامية فكان يأوى اليها التجار الغرباء وبخاناتها يخزنون سلعهم قبل توزيعها وكان الفندق في غالب الأحيان بناء متواضعا للغاية يشتمل على غرف

خالية من الأثاث ، بحيث لم يكن المسافر ليجد أكثر من غطاء وحصير ٠ أما الدواب فكانت تربط في ساحة الفندق أو الخان ٠ ولاتزال في المدن الاسلامية آثار لذلك ٠ ففي القاهرة يوجد أثر جليل لخان الزراكشة الذى يعود تاريخه الى القرن ١٦ وهو غرب الجامع الأزهر ٠ وفي طرابلس آثار لخانات اسلامية مثل خان المصريين والخياطين وخان الصابون ٠ وفي صيدا خان الافرنج وكانت هذه تكثر في المناطق القريبة من المساجد بسبب كثرة المسافرين والرحالة

وكانت دور الصناعة من أركان المركز الاقتصادى بالمدينة الاسلامية في مدن السواحل وهي أبنية كانت تصنع فيها السفن والشواني والحراريق والاسلحة والآلات والمعدات الحربية البرية والبحرية ، ولها أسماء كثيرة مثل دور صناعة الانشاء ، ودور صناعة القطائع ودور صناعة الاسطول ٠ ومن مراكز الصناعة هذه برشلونة وبلنسية ، المرية ، طرطوشة ، مالطة ، أشبيلية ، قادس ٠ ومن كثرة هذه المدن يتبين ان شهرة المغرب والاندلس فاقت شهرة المشرق الاسلامي في هذا المجال ٠ اذ وجد في المغرب مراكز لها في المهدية والمنصورية وقلعة بني حماد وبجاية وسبتة وطنجة ٠

كما اشتهرت مصر بوجود دور لصناعة السفن في جزيرة الروضة والقلزم والمقس ودمياط وظلت دار صناعة الاسكندرية قائمة الى الآن ٠

وأما المراكز العمرانية الاجتماعية : فكانت دعامة الحياة العمرانية في المدينة الاسلامية ٠ اذ كان يحتوى على منازل للسكن ومؤسسات عامة مثل الحمامات والقناطر والقنوات وشبكات المياه والشوارع والطرق ٠

وكانت معظم شوارع المدينة ضيقة ومتعرجة ، تتشعب منها الدروب والأزقة الضيقة التي لاتدخلها الشمس لكثرة انحناءاتها وتقارب صفي الدور على جانبي الطريق ٠ أما المدن التي فتحها المسلمون فكانت تصبغ بالطابع الاسلامي

بسرعة ٠ فتتشعب من شوارعها المعتدلة أزقة ودروب ملتوية وزنقات ٠ وفي هذه الشبكة من الطرق والازقة كانت تظهر بين فترة وأخرى ساحة واسعة تساعد على كشف مظهر العظمة والجمال اللذين يكمنان في أبنيتها ٠

وكانت الدار أهم أبنية المركز العمراني الاجتماعي في المدينة ، وتكثر الدور كلما اقتربنا من وسط المدينة حيث المسجد ودار الامارة ، وكان المظهر الخارجي للدار بسيطا يخلو من النوافذ ويختلف عن المظهر الداخلي ، حيث في الداخل تتراكم الزخارف ٠ فكان الاهتمام منصبا على داخل الدور تزيّن جدرانها وتكسى بالتربيعات الجميلة وتزرع الاشجار في فنائها ٠ وكان لكل دار عليّة يشرف منها على المارين ، كما كانت أبواب الدور الواقعة في شارع واحد غير متقابلة منعا للمشارفة على دور بعضهم بعضا ٠

ومن المؤسسات الهامة في المدينة الاسلامية : الحمام ٠ فكانت تكثر الحمامات في هذه المدن حتى اعتبرت مظهرا بارزا في المجتمع الاسلا مي ٠ فكان الحمام مركزا للاجتماعات المرحة ومجالس الانس واللهو يجتمع فيه الشعراء للمساجلات الشعرية وتجد فيه النساء وفرصة للتسرية عنهن ٠ وكانت الحمامات في المدن الاسلامية تكثر بالقرب من المساجد الجامعة ٠ وكان الحمام في مدن الاندلس يحوى عدة غرف بعضها لخلع الملابس واستبدالها وبعضها الآخر يتفاوت بدرجة حرارة مياهه ٠

وكان للمدن الاسلامية أسوار تحيط بها وتمنع عنها الغارات ففي المشرق الاسلامي كانت الأسوار تتبع النظام الروماني أو الفارسي من حيث القوة والانتظام والاستقامة بينما كانت متعرجة في المغرب والاندلس ٠ حيث التعرج يساعد على قوتها ٠

وكانت أسوار المدن القديمة التي فتحها العرب مستطيلة الشكل لها أربعة أبواب في جوانبها مثل الاسكندرية وسرقسطة في أسبانيا ٠ وفي العصر

الاسلامي زاد عدد هذه الابواب لتسهيل الاتصال بين المدينة وأرباضها وسميت الابواب التي كانت تفتح باسم الوظيفة التي تؤديها مثل باب السر أو باب الغدر وباب الخوجة أو باسم الموضع المجاور للباب مثل باب البحر وباب العطارين وباب القنطرة ٠

أو أنها كانت تسمى باسم بعض الاشخاص : مثل باب عبدالجبار في قرطبة أو باب ادريس ويعقوب في سور بيروت ٠ كما كانت تسمى باسم القبيلة التي تسكن المنطقة مثل : باب زويلة في القاهرة ٠ أو باسم المدينة التي تفتح تجاهها مثل : باب البصرة وباب الكوفة في سور بغداد الى غير ذلك من الوظائف والمسميات ٠

وكانت كل مدينة تشتمل على خطط أوحارات تسمى كل منها باسم أكبر القبائل أو الاسر فيها أو باسم أحد أبنيتها المشهورة مثل : حارة مسجد الكهف في قرطبة أو باسم السوق فيها مثل حي العطارين أو غير ذلك ٠

وبالنسبة للأحياء الخارجة عن نطاق المدينة الاسلامية ٠ فكانت تسمى بظاهر المدينة أو خارجها ٠ وكانت تدخل أحيانا في نطاق المدينة بعد اتساعها وتصبح أحياء تحوطها أسوار خارجية ٠

وبالنسبة للمنتزهات فكانت عادة في ظاهر المدن ٠ أما المقابر فكانت أيضا خارج بوابات المدينة ليسهل على الناس زيارتها ٠ وعندما كانت المدن تتسع لتصبح المقابر في داخلها كانت المقابر تنقل الى خارج السور الجديد وتحول المقابر القديمة الى أماكن عامة ٠

الباب السابع

المظهر الاقتصادى

بيت المال :

الزكاه

الضرائب

الأراضي

بيت المـال :

هو الاصطلاح الذى أطلق على المؤسسه التي قامت بالاشراف على مايرد من الأموال ومايخرج منها في أوجه النفقات المختلفة ٠

وقد أطلق على الخزانة لفظة (بيت المال) وهي التسمية العامة التي نجدها في جميع المصادر ، كما سميت أيضا (بيت مال المسلمين) ٠

كانت الأموال في عهد الرسول (ص) في بيته وفي بيوت أصحابه ، وفي الغالب كان الفيء يقسم من يومه ٠ فقد كان ايراد الدولة قليلا ، وكان لكل شيء يحفظ في بيت الرسول (ص) أو أصحابه [١] ٠

واتخذ أبوبكر بيت مال بالسنح [٢] في ضواحي المدينة المنورة ثم انتقل الى المدينة المنورة وكان يصرف جميع مافيه على المسلمين ٠ وكان ايراد الدولة لايزيد عما كان عليه زمن الرسول (ص) ، وسار أبوبكر على سنة الرسول (ص) في انفاق كل مال في مصرفه ٠

وكان وزير ماليته أبوعبيدة عامر بن الجراح قال له أنا أكفيك المال [٣] .

ويذكر القلقشندي : ان عمر بن الخطاب كان على بيت المال من قبل أبي بكر وبهذا يكون قد سبق عمر في ترتيب بيت المال [٤] ٠

وفي عهد عمر بن الخطاب ازدادت واردات الدولة وتعددت المصالح كما تعددت بيوت المال ٠ وكان بجانب بيت المال العام بيوت مال في كل ولاية من ولايات الدولة ٠ وكان مايرد من الموارد في كل ولاية يصرف منه مايحتاج

---

(١) شوقي اسماعيل شحاته : بيت المال نشأته وتطوره ، ص ١٣ / بحث قدم في ندوة مالية ، الدولة في صدر الاسلام ٠

(٢) السنح : احدى محال المدينة ٠ كان بها ينزل أبوبكر الصديق وهي في طرف المدينة (معجم البلدان ، جـ٣ ، ص٢٦٥)

(٣) المرجع نفسه : ص ١٣

(٤) القلقشندي : صبح الأعشى : جـ١ ، ص ٤١٣ ٠

اليه مصارفها ومابقي منها يرسل الى حاضرة الخلافة ليصرف في الشؤون العامة بعد أن يدخر منه شيء للطوارىء في كل ولاية ، وكان عمر بن الخطاب أحيانا يختار للولاية وزيرا لماليتها غير واليها العام ٠ فقد عين عبدالله بن مسعود على العراق : وقال لأهلها " وقد جعلت على ماليتكم عبدالله بن مسعود وآثرتكم به على نفسي " وقد جمع عمرو بن العاص بين الولاية العامة وولاية المال [1] ٠

ومن دراسة الظروف التي أدت الى تدوين الدواوين في زمن عمر بن الخطاب وكيف تم ذلك يظهر ان فكرة تأسيس بيت لحفظ الأموال قد نضجت في عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب وأصبح للمسلمين بيت تحفظ فيه الأموال ريثما تقسم على الناس ٠

ويذكر ابن الجوزي ان عمر بن الخطاب كان يكسح بيت المال مرة في السنة عذرا الى الله تعالى [2] وأصبح لبيت المال أهمية سياسية ، حيث كانت تعقد فيه اجتماعات على غاية من الاهمية ، فعندما دفن عمر بن الخطاب اجتمع أصحاب الشورى في بيت المال للمناظرة في اختيار الخليفة الجديد [3]

وفي عهد عثمان بن عفان حدث تطور مهم بالنسبة للنظرة الى المال اذ أخذ على الخليفة عثمان أنه كان يعطي من بيت المال بشكل لم يألفه المسلمون في عهد الرسول (ص) وخليفته فجرت بين الخليفة والمعارضة معاتبات ومنافرات كانت بداية ظهور فتنة عظيمة أدت الى مقتله ٠ وان ماحصل بين أبي ذر الغفاري من جهه وعثمان ومعاوية من جهة أخرى خير دليل على ذلك [4] ٠

---

(١) المرجع نفسه : ص ١٣ ٠

(٢) ابن الجوزي : تاريخ عمر بن الخطاب : ص ١٠٦ ٠

(٣) البلاذري : أنساب الاشراف : جـ٥ ، ص ٢١

(٤) أنساب الاشراف : جـ٥ ص٥٢ ، ٥٣ـ الطبري جـ١ ،ص٢٨٣،ابن الاثير ، جـ٣،ص١١٤ ، ١١٥

وقد حاول علي ابن أبي طالب تجاوز الاحداث والسير بالمسلمين سيرة الرسول (ص) والشيخين أبوبكر وعمر . وأعاد المساواه بالعطاء ، كما كان يكنس بيت المال ويعمل فيه [1] ويذكر الاصطخري [2] أنه كان له بيت مال بالرقه أيام صفين [3] وكانت الخزانة العامة في عهد أبي بكر وعلي ملك للشعب [4] .

وفي عهد الامويين بقيت العراق والشام نتيجة لفتح أراضي شاسعة بدون مالك وهي الصوافي ، وقد صرف واردها في مصالح المسلمين عامة ، فلما جاء معاوية بن أبي سفيان قام بفصل الصوافي عن بيت المال وجعلها للخليفة وكذلك فعل بالشام والجزيرة واليمن . اذ استصفى لنفسه الضياع واقطعها أهل بيته ( ) .

وفي عهد عبدالملك بن مروان اتخذت التدابير الجديدة قصد بها زيادة الضرائب أو تعديلها بسبب اسلام الكثير من أهل الذمة وتوسُّع المسلمين في شراء الأراضي وانتشار الاقطاع وتوسُّعه حيث أكثر الخلفاء الامويون من اقطاع الاراضي لأنفسهم والمقربين اليهم [6] .

---

(1) السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ١٨٠ - خوله الدجيلي : بيت المال : ص ٣٩ .

(2) الاصطخري : المالك والممالك : ص ٥٤

(3) موضع بالقرب من الرقه على الفرات من الغرب - معجم البلدان ، ج٣،ص ٤١٤

(4) أبوعلي : مختصر تاريخ العرب : ص ١٦١ .

( ) انظر : دينيت : الجزية : ص ٦٥ - أدب الكاتب ، ص ٢١٩ - اليعقوبي : تاريخ ، جـ٢ ، ص ١٦٩ .

(6) الدوري : النظم الاسلامية : ص ١٤٥ .

وفي ولاية الحجاج في العراق وضع سياسة تهدف الى انقاذ الخزينة اذا أعاد فرض الخراج على العرب الذين اقتنوا أراضي خراجية وفرض الجزية على الاعاجم الذين أسلموا وظلوا في قراهم [1] ، وعندما تولى عمر بن عبدالعزيز الخلافة أمر عماله برفع الجزية عمن أسلم [2] بينما اعتبر الخراج ايجاراً للأراضي يدفعه كل من امتلك أرضا مسلما كان أم ذميا • وبعد عمر ابن عبدالعزيز عادة خلفاؤه الى سيرة الحجاج [3] •

ويبدو أن بيت المال أصبح تحت طائلة بني أمية والمقربين اليهم فتحولت الخلافة الى ملك موروث وعمد الحكام الى كسب الأعوان والانصار بطريق بذل العطاء واغداق الاموال دون رقيب أو حسيب وذلك في سبيل تثبيت دعائم دولتهم [4] •

ولما آلت الخلافة الى العباسيين حدث تطور مهم في بيت المال فقد وجهوا عنايتهم بشكل خاص الى السواد وفي عهد المنصور نبذ نظام المساحة واتبعت المقاسمة في جباية الخراج بسبب انخفاض الاسعار • وقد حدد المهدي حصة بيت المال من المقاسمة فجعلها النصف ان سقي سيحا وفي الدوالي على الثلث وفي الدواليب على الربع [5] •

وفرض المنصور على الحوانيت خراجا وأمر باخراج الاسواق من مدينة الى جهة الكرخ ووضع عليها الضريبة [6] •

---

(1) الطبري : جـ٢ ، ص ٣٨١

(2) الطبري : جـ٦ ، ص ٥٥٩ ـ ٥٦٩ ـ ابن الاثير : جـ٥ ، ص ٦١ ـ المقريزي الخطط : جـ١ ، ص ١٢٥ •

(3) ابن الاثير : جـ٧ ١٤٨ـ١٤٦ اليعقوبي : تاريخ ، جـ٢ ، ص ٤٨ •

(4) فؤاد حلمي : ص ٢٩٧

(5) الماوردي : ص ١٧٦ •

(6) الطبري : جـ٧ ، ص ٦٥٣ •

وفي عام ١٦٢هـ / ٧٧٨م أوجد المهدي دواوين الأزمة للاشراف على الدواوين المختلفة واستمر بجباية أسواق بغداد (١) .

وعندما سيطر الاتراك على الحكم وصار الخليفة ألعوبة بأيديهم أطلقت أيديهم في بيوت الاموال (٢) ومنذ سنة ٣٢١هـ تحولت السيطرة المالية في حقبة السنوات التسع الى أمير الامراء . ثم كان دخول البويهيين بغداد سنة ٣٣٤هـ / ٩٤٥م قد أدى الى سيطرة الامراء البويهيين على الامور ولم يبق للخلفاء أية سلطة وصار الامراء البويهيين يجبون الضرائب والجزية مما أدى الى خراب الاراضي الزراعية (٣) .

وكان يشرف على مايرد الى بيت المال من أموال ومايخرج منه من النفقات والاطلاقات ديوان بيت المال ويعتبر من أهم الدواوين في الدولة (٤) .

ولما كان الخليفة هو مصدر جميع السلطات وعنه تصدر جميع الأوامر الخاصة بشؤون الدولة (٥) . فقد كان له حق التصرف المطلق بأنواع الدخل . ويظهر هذا واضحا في أنواع الاسراف المفرط غير المقيد وفي الهبات التي تثير العجب (٦) . فقد منح أحد خلفاء بني أمية عبدالله بن جعفر حين وفد عليه خمسة ملايين درهم فقيل له : " فرقت ياأمير المؤمنين بيت مال المسلمين على رجل واحد ، قال : أنا فرقته على أهل المدينة " (٧) .

(١) اليعقوبي : تاريخ : جـ٣ ، ص ١١١ .

(٢) الطبرى : جـ٩ ، ص ٢٦٣ ـ القلقشندى : مآثر الاناقة : جـ١، ص ٢٤١ .

(٣) انظر بن الاثير : جـ٨ ، ص ٤٥٦ .

(٤) متز : تاريخ الحضارة الاسلامية : جـ١ ، ص ١٣١ .

(٥) سيد أمير علي : مختصر تاريخ العرب : ص ٣٤٩ .

(٦) سيديو : تاريخ العالم : ص ٢٢٣ .

(٧) ابن حجة الحموي : تقي الدين ثمرات الاوراق : ص ٣١٥ .

ومع ان هذا المبلغ مبالغ به وغير معقول الا انه يوضح المدى الذي وصلت اليه حرية الخليفة في التصرف بالاموال ٠

وقد أصبح لديوان بيت المال في العصور العباسية المتأخرة جهاز اداري يشرف عليه ويدير شؤونه ويسجل الاموال الواردة اليه والخارجة منه في أوجه النفقات المختلفة ٠ وقد شمل هذا الجهاز عدة وظائف كل منها تكون مسؤولة عن أمر من الامور ذات العلاقة وهي :

١ ـ صاحب بيت المال
٢ ـ مباشر بيت المال
٣ ـ الناظر
٤ ـ متولي الديوان
٥ ـ المستوفي
٦ ـ الناسخ
٧ ـ المعين
٨ ـ المشارف
٩ ـ العامل
١٠ـ الكتاب
١١ـ الجهبذ
١٢ـ الشاهد
١٣ـ النايب ٠
١٤ ـ الأمين

ويورد قدامة جعفر أغراض ديوان بيت المال فيقول [1]: " هذا الديوان ينبغي ان يعرف غرضه فان علم ذلك دليل على الحال فيه والغرض فيه انما هو محاسبة صاحب بيت المال على مايرد عليه من الأموال ويخرج من ذلك في وجود النفقات والاطلاقات ٠ اذا كان مايرفع من الختمات مشتملا على مايرفع الى دواوين الخراج والضياع من الحمول وساير الورود ومايرفع الى ديوان النفقات مما يطلق في وجوه النفقات فاذا أخرج صاحب دواوين الاصول وأصحاب دواوين النفقات مايخرجونه من ختمات ببت المال المدفوعة الى دواوينهم من الخلاف سبيل الوزير أن يخرج وذلك الى صاحب هذا الديوان ليمفحة ويخرج ما عنده فيه ومما يحتاج الى تقوية هذا الديوان به ليصح أعماله وينتظم أحواله

(١) قدامة بن جعفر : الخراج وصفة الكتابة ، ص ٢٠٤ ـ ٢٠٨ ٠

ويستقيم مايخرج منه ان يخرج كتب الحمول من جميع النواحي قبل اخراجها الى دواوينها اليه ليثبت فيه وكذلك ساير الكتب النافذة الى صاحب بيت المال من جميع الدواوين بما يؤمر بالمطالبة به من الأموال ويكون لصاحب هذا الديوان علامة على الكتب والصقال والاطلاقات يتفقدها الوزير وخلفاؤه ويراعونها ويطالبون بها اذا لم يجدوها لئلا يخطئ أصحابها والمديرون هذا الديوان فيختل أمره ولايتكامل العمل فيه • فان هذا الديوان اذا استوفيت أعماله كان مال الاستخراج بالحضرة والحمول من النواحي "

ويذكر الماوردي أغراض ديوان بيت المال فيحددها بمايلي :

١ ـ حفظ القوانين على الرسوم العادلة من غير زيادة أونقصان حتى لاتتضرر الرعية أوينقص حق الدولة •

٢ ـ استيفاء الحقوق من العاملين أو استيفاؤها من القابضين لها من العمال • اي قيام العمال بتحصيل الايرادات وقبضها ، وتنظيم كيفية التصرف في هذه الايرادات التي قبضها العمال إما توريدها الى بيت المال أو صرفها في وجوهها الى مستحقيها •

٣ ـ اثبات الرفوع وهي : نوع مساحة وعمل ورفوع قبض واستيفاء ورفوع خرج ونفقة • فأما رفوع المساحة والعمل : فان كانت أصولها مقدرة في الديوان اعتبر صحة الرفع بمقابلة الاصل وأثبت في الديوان • ان وافقها والمقصود نوع المساحة ومقدارها وأما رفوع القبض والاستيفاء ـ أي مقدارها ـ فيعمل في اثباتها على مجرد قول رافعها لانه على نفسه لا لها •

وأما رفوع الخرج والنفقه ـ أي مقدارها ـ فرافعها مدع لها فلاتقبل دعوات الا بالحجج البالغة •

٤ ـ محاسبة العمال على صحة مارفعوه من أموال الخراج ٠

٥ ـ تصفح الظلامات

وهذه الاغراض تدور بمجملها حول ضبط الدخل وضبط الخرج وحفظ المال ومراقبة تحصيل الايرادات ومراقبة الصرف وحفظ حقوق بيت المال وحقوق الرعية ٠

الزكاه :

هي احد أركان الاسلام وفريضة أساسية من فرائضه أمر بها الله تعالى في كتابه الكريم واعتبرها بمثابة تطهير لذنوب المسلمين وزكاة لأعمالهم (١) ٠ وهي واجبه على كل مسلم سواء كان صبيا أو معتوها أو امرأة (٢) " اذا ملك نصابا تاما وحال عليه الحول " فهي تنعقد بالحول والنصاب (٣) ٠

والزكاة لاتعتبر موردا ماليا للدولة بالمعنى الصحيح وانما هي مال يؤخذ من الغني ويعطى للفقير ولاتنفق الدولة منه على اصلاح مرافقها فهي بذلك ضريبة لاصلاح المجتمع فقط في حدود معينة (٤) ٠ وهي من الضرائب التي تؤخذ من المكلفين في مكان وتنفق على المستحقين من أهل ذلك المكان (٥)

وقد قبل عمر بن الخطاب ان يدفع بنو تغلب النصارى الصدقة المضاعفة بدل الجزية لانه أراه ان يتألفهم ويبقيهم في ديارهم بالجزيرة وذلك بعد أن

(١) الماوردى : ص ١٢٠ ٠

(٢) خوله الرجيلي : بيت المال ، ص ١٠٢ ٠

(٣) ابن مماتي : قوانين الدواوين : ص ٣٠٩ ٠

(٤) سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية في الشرق : ص ١٠٧ ٠

(٥) فؤاد علي : ص ٣٣ ـ ٣٤ ٠

هددوا بترك الاسلام أن فرض عليهم الجزية باعتبارها اذلالاً لهم [1] .

ومن تطورات الزكاة أيضا من ان والي الصدقة كان يأخذ زكاة الأموال الباطنة في عهد الرسول (ص) وخليفته . فلما كان عهد عثمان فوض أداءها الى أصحابها فكان ذلك بمثابة التوكيل لصاحب المال بآداء الزكاة [2] .

ومن ذلك نرى أنه من عهد عثمان لم تعد الحكومة تجني بنفسها زكاة الأموال الباطنة وانما تركتها لأصحابها يخرجونها عنها . وربما أدى هذا الى المماطلة في اخراجها أو الامتناع عنها نهائيا .

والصدقة زكاة والزكاة صدقة ولبس على المسلم حق غيرها فقد روى عن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : " ليس في المال حق سوى الزكاة " [3] .

والزكاة تجب في الأموال المرصدة للنماء . والاموال التي تجب فيها الزكاة نوعان :

ظاهرة وباطنة .

فالأموال الظاهرة مالايمكن اخفاؤها كالزرع والثمار والمواشي . والباطنة ماأمكن اخفاؤها مثل الذهب والفضة وعروض التجارة . ولايحق لوالي الصدقات أخذ زكاة الأموال الباطنة وأصحابها أحق باخراجها الا ان يبذلوها طواعية فتقبل منهم ، وعمله مقتصر على جباية زكاة الاموال الظاهرة حيث يأمر أصحابها بدفعها اليه [4] . وتؤخذ الزكاة من أربعة موارد :-

- المواشي : وهي الابل والبقر والغنم . وتجب زكاتها بشرطين : أحدهما أن تكون سائمة ترعى الكلاء والثاني أن يحول عليها الحول .

(١) فتوح البلدان : ص ٢١٦ - ٢١٨ - أبوعبيد : الاموال : ص ٧٢٢ - ٧٢٣ .
(٢) خولة الرجيلي : بيت المال ، ص ٣-١٠ .
(٣) الماوردى : الاحكام السلطانية ، ص ١١٣
(٤) الماوردى : ص ١١٣ - أبويعلي : ص ٩٩ .

- زكاة ثمار النحل والشجر : وزكاتها تجب بشرطين : أحدهما صلاحها واستطابة أكلها والثاني ان تبلغ خمسة أوسق (١) .

- زكاة الزروع : وتجب فيه بعد قوته واشتداده ودياسه وتصفيته اذ بلغ النصف فيه خمسة أوسق (١) .

- زكاة الذهب والفضة : وهما من الاموال الباطنة : وزكاتهما ربع العشر ونصاب الفضة مائتي درهم ولازكاة فيهما اذا نقصت عن مائتين .

أما الذهب فنصابة عشرون مثقالا (٢) . أما الركاز فهو كل مال وجد مدفونا من ضرب الجاهلية ويكون فيه الخمس (٣) .

وتقسم الزكاة على مستحقيها بحسب الآية الكريمة : " انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم . قال تعالى :

" انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها " . (٤)

فالواجب ان تقسم صدقات المواشي وأعشار الزروع والثمار وزكاة الاموال والمعادن وخمس الركاز على هذه الاصناف الثمانية . ولما كان القرآن قد سوى بين مستحقي الزكاة فيجب على عاملها بعد تكاملها ووجود جميع الاصناف المستحقة لها ان يقسمها على ثمانية أسهم متساوية (٥) وفي حالة عدم توفر بعض هذه الطوائف الثمان فان الزكاة تقسم على من وجد منهم ولو كان صنفا واحدا " ولاينقل سهم من عدم منهم في جيران المال الا اسهم سبيل الله في الغزاة فانه ينقل اليهم لانهم يسكنون الثغور في الاغلب " (٦)

وكان الرسول يقسم الزكاة حسب رأيه واجتهاده فتكلم في ذلك بعض المنافقين وطعنوا على الرسول فنزلت على اثر ذلك الآية الكريمة المحددة

(١) الوسق : يساوي ستين صاعا ويقدر بـ ٣٤٥٦ر٢٥٢ لترا .
(٢) الماوردى : ص ١١٤ - ١١٩ ، أبويعلى : ص ١٠٠ - ١٠٩ .
(٣) الماوردى : ص ١٢٠ . أبويعلي : ص ١١٢
(٤) سورة التوبه : آيه ٦١
(٥) الماوردى : ص ١٢٢
(٦) الماوردى : ص ١٢٤ .

لمعرفة الزكاة قد أوجب أن يكون عامل الصدقة رجلا عفيفا أمينا ثقة [1] عالما بما أوجبته تعالى على الناس في أموالهم من الزكاة ، ومتى يؤخذ ومقدار نصاب كل صنف من الاصناف [2]

ولايجوز اسناد ولاية الصدقة الى عمال الخراج لان مال الصدقة لايجمع الى مال الخراج لان الخراج فيء لجميع المسلمين ، بينما الصدقة محددة بمن سماهم الله تعالى في القرآن الكريم [3] .

ويجوز لعامل الصدقات ان يقسم ماجباه بغير اذن مالم ينه عنه لان مصرف الصدقة بنص القرآن [4] .

وقد أوجب الاسلام الصدقة مرة في كل عام ولاتجبى كل شهر وشهرين لما قد يلحق أصحاب الاموال من ضرر من جرائها [5] ، وكان الجباه يرسلون قبل بدء السنة الجديدة ويفضل أن يجبوها في المحرم [6] ، ولايحق لعامل الزكاة أن يأخذ منها شيئا الا مافرضه الله له ، فقد استعمل النبي رجلا على الصدقات ، ولما قدم قال : هذا وهذا أهدي اليّ ، فقام النبي على المنبر وقال : مابال العامل نبعثه على بعض أعمالنا فيقول : هذا لكم وهذا لي ؟ فهلا جلس في بيت أبيه أوبيت أمه فينظر أيهدى اليه أم لا ، فوالذى نفسي بيده لايأخذ أحد منه شيئا الا جاء به يوم القيامة يحمله على رقبته ان كان بعيرا له رغاء أوبقرة لها خوار أوشاة تيعر "[7] وقد أصبح للصدقات فيما بعد

---

(١) أبويوسف : الخراج : ص ٨٠

(٢) الحسن بن عبدالله : تاريخ الاول في ترتيب الدول : ص ٣٣

(٣) أبويوسف : الخراج : ص ٨٠

(٤) أبويعلى : ص ١٢٤

(٥) عبداللطيف بدوى : الميزانية الاولى في الاسلام : ص ١٢

(٦) الشافعي : الأم : جـ٢ ، ص١٧ .

(٧) أبوعبيد : الاموال : ص٣٧ ، الشافعي : الام ، جـ٢ ، ص ٥٨

بيت مال خاص بها تحفظ فيه الاموال وتصرف لمستحقيها . وفي بعض الأحوال تشح فيه لكثرة مصروفاته . فقد ذكر أحد الاشخاص لـ لخليفة المأمون أن الغارمين قد كثروا وليس في " بيت مال الصدقات درهم " [1] . ثم صار للصدقة ديوان ينظم شؤونها ويشرف على أوجه الصرف فيها سمي بديوان الصدقات والبر [2] وكان موقعه في الرحبة التي هي مقابل باب الكوفة [3] وكانت مهمة هذا الديوان ادارة ضياع الاوقاف الخاصة ويتولاه شخص يسمى (صاحب الصدقات) ، شروطه ان يكون مسلما عالما عادلا ملما بأحكام الزكاة ان كان من عمال التفويض وان كان من عمال التنفيذ جاز أن يكون من أهل العلم بها [4] . وكان بعض الخلفاء قد سيطروا على الصدقات ومنحوها لمن أرادوا . فقد ذكر ان الخليفة المأمون منح لمتولي الصدقة نصف صدقات البصرة طعمة له سبع سنوات [5] .

---

(١) التوحيدي : أبوحيان : أخلاق الوزيرين : ص ٤٤٨ .

(٢) مسكوية : تجارب الامم : جـ١ ، ص ١٥٢

(٣) اليعقوبي : البلدان : ص ٢٤٣

الزبيدى : العراق في العصر البويهي : ص ١٠٥

(٤) الماوردى : ص ١٢٣

(٥) خولة الرجيلي : بيت المال : ص ١٠٧ .

الضـرائب :ـ

وضع نظام الضـرائب الاول فـي عـهـد عمـر بن الخطـاب ، وبسبب اختـلاف التراث المحلـي والساسانـي والبيزنطي فقد اتخـذت لكل ولاية تدابير ضريبيـة خاصـة . وقد أفـاد عمـر من السوابق الاسلاميـة . مثـلا : تدابير الرسـول فـي الزكـاة وفي الجـزيـة وفي اعتبـار الاراضي العربيـة عشـرية وفي جعـل الحمـى لأغـراض الدولـة واباحـة المـاء والكـلاء والنـار . والتـزم عمـر بالمبـادىء الاسلامية مثـل عدم تقسيم الاراضـي واعتبارها فيئاً للمسـلمين واعتبـار العقيدة أساسـا لـفـرض الجزيـة أو الغائهـا [1] .

والغي الامتيازات الضريبية المحليـة . ومع ان عمـر أبقى علـى الاطـار العـام للتنظيمـات المحلية الا ان هذه طـوِّرت فصـارت الضرائب تدفع الـى الادارة مباشـرة الـى أشخاص محليين مثـل رؤسـاء الفـلاحين من العجـم في القرى الشرقية وعمـد القـرى ورؤسائهـا فـي مصـر . ومنـذ عهـد عمـر بن الخطـاب فرضت فـي الـولايات ضريبتان الاولـى علـى الرؤوس والثانيـة على الاراضـي (جزية وخراج) .

وفي العصر الاموي اتجه الحكـم نحـو تكويـن نظام ضريبي منسـق فـي الـولايـات . وفي خلافـة عبدالملـك واجهـت الدولـة أزمـة ماليـة فحاول اعـادة النظـر بالجزيـة ، وأعيـد فرض الخـراج على بعض الاراضـي الخراجيـة التي امتلكها عـرب وجعلوها عشريـة . وعرب الدواوين الماليـة مما جعـل في المقـدور فيمـا بعـد ايجـاد نظام عربـي ضريبي موحـد [2] .

وجـاء عمـر بن عبدالعـزيز فأعفـى من يدخـل الاسلام مـن الجزيـة واستمـر

(١) الدوري : تاريخ العراق الاقتصادي : ص ١٧٥

(٢) المرجع نفسه : ص ١٧٦ .

في وضع الخراج على الارض الخراجية (١) ، وذلك بمنع بيع هذه الارض للعرب كما ألغى الرسوم الاضافية وحاول تحسين أساليب الجباية (٢) .

وحاول العباسيون في العصر الاول اعادة النظر في بعض الضرائب وفي أساليب الجباية . ووضعت للخلفاء العباسيين كتب في الخراج أولها على يد أبي عبدالله بن معاوية ابن عبيد الله الكاتب وزير المهدي والثاني على يد أبي يوسف للخليفة هارون الرشيد . وذلك لوضع أسس ومبادىء سليمة (٣) . ورغم المحاولات للتخفيف من الخراج ومحاولة اصلاح أساليب الجباية فقد استمرت الاساليب القديمة وحصلت تطورات في الضرائب وفرضت رسوم وضرائب جديدة فيما بعد :

وكانت الدولة الاسلامية تستقي مواردها المالية في عصورها المختلفة من المصادر التالية :-

١ - الزكاة أو الصدقه :

وقد فرضها الله في القرآن الكريم على ذوى اليسار مجملة بقوله تعالى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ (٤)
وجبى في الأحوال المرصدة للنماء أما بنفسها واما بالعمل فيها وقد تولى الرسول (ص) بيان مقاديرها بقوله وفعله . كما عين القرآن مصارفها لقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ (٥)

---

(١) ابن عبدالحكم : سيرة عمر بن عبدالعزيز : ص ٩٩ - طبقات ابن سعيد جـ٥ ص٢٧٢
(٢) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي :جـ٢،ص٢١٦-ابن عبدالحكم :سيرة عمر بن عبدالعزيز ، ص٢٢٢ .
(٣) انظر الدورى : النظم الاسلامية - ضياء الدين الريس :الخراج - منذ الحضارة
(٤) سورة التوبة : آيه ١٠٣
(٥) سورة التوبة : آيه ٦٠

وأوضحت كتب الفقه تفاصيل مقاديرها وحددت نصابا خاصا تجبى على أساسه بشروط خاصة ٠ وكيفية صرفها في مصارفها ٠

ويقوم عمال الحكومة بجباية زكاة الاموال الظاهرة كالمواشي كالمنتوجات الزراعية أما زكاة الاموال الباطنة كالذهب والفضة فتترك الى الفرد [1] .

وتصنف الاموال التي تجب فيها الزكاه الى مايلي :ـ

المواشي : وهي الابل والغنم والبقر وتؤخذ زكاتها متى وصلت النصاب ٠ وكانت في ملكية صاحبها سنة واحدة على الاقل وتكون الزكاة فيها كما يلي :

في الابل : من ٥ ـ ٩ شاه جذعة (سنها ٦ أشهر) أوثنية من المعز (سنتان)

١٠ ـ ١٤ شاتان

١٥ ـ ١٩ ثلاث شياه ٠

في البقر والجاموس :

من ٣٠ ـ ٣٩ وفيها تبيع (عمره ستة أشهر) ذكر ٠

من ٤٠ ـ ٥٠ وفيها مسنة (عمرها سنة) أنثى ٠

من ٦٠ ـ وفيها تبيعان ٠٠٠ الخ

ومن الغنم : من ٤٠ ـ ١٢٠ جذعه أوثنية من المعز

من ١٢١ـ١٩٩ شاتان

من ٢٠٠ ـ ٣٩٩ ثلاث شياه الخ [2] .

---

(١) الماوردى : ص ١٠٩ ـ أبويعلي : ص ٩٩ ٠

(٢) الماوردى : ص ١١٠ ـ ١١١ ـ أبويعلي : ص ١٠١ ـ ١٠٢ ـ أبويوسف : الخراج ، ص ١٢٢ ٠

ب ـ الزروع والثمار :

وتختلف انواع الثمار التي يز كيها الفقهاء بين الثمر والعنب فقط كما يرى الشافعي وبين كل أنواع الثمر كما يرى أبو حنيفة ويجعل بعضهم الزكاة من الخضر والبقول وأنواع الحبوب ، في حين يجعلها آخرون على " ما يكال ويدخر "٠ ويشترط بعضهم حصول نصاب قدرة خمسة اوسق (الوسق في صدر الاسلام ٣ر١٩٤ كغم قمح) بينما لا يرى آخرون حاجة للنصاب [1].

وتقدر هذه بـ $\frac{1}{10}$ على ما يسقى بصورة طبيعية من المطر او القنوات وبـ $\frac{1}{20}$ ان كان يسقى اصطناعيا بآلة ٠ وتحسب القيمة بعد وزن الحاصل ويجيز بعضهم كالشافعي وابن حنبل تقديرها على الفواكه وعلى الاشجار [2].

جـ ـ الذهب والفضة :

ويبلغ نصابها مائتا درهم شرعي وزن كل درهم منه ستة دوانيق [3] وكل عشرة منها سبعة مثاقيل وعشرون مثقالا من الذهب ومقدار الضريبة $\frac{1}{40}$ [4].

---

(١) الدوري : تاريخ العراق الاقتصادي : ص ١٨١ ٠

(٢) يحيى بن آدم : ص ٨١ ، ص ٨٤ ـ الماوردي ، ص١١٢ وما بعدها ـ ابو يعلي ص ١٠٣ ، وما بعدها ٠

(٣) الدانق : كلمة فارسية الاصل معناها حبة : والدانق $\frac{2}{}$ ٨ حبة من الشعير ٠وقيل الدانق سدس الدرهم ٠ والدانق قيرطان ـ والدانق عند المسلمين $\frac{1}{3}$ ٢ حبة (المعجم الاقتصادي : ص ١٤٩، احمد الشرباصي) ٠

(٤) الماوردي : ص د١١، الصولي : ادب الكاتب ، ص ١٩٩ ، ابو يعلي: ص١٠٨ وما بعدها

د ـ أموال التجـارة :

وتوضع الزكاة على بضاعة التجار المسلمين بما فيها الدقيق $\frac{1}{40}$ من ثمنها [1]

وفيما يتعلق بتعديل المصارف فقد أسقط عمر بن الخطاب أسهم المؤلفة قلوبهم لقوة الاسلام وعدم الحاجة الى ممانعة الناس، وكان عمر قد ادخل تعديلا على الانواع التي تؤخذ عليها الزكاة اذ انه لما وجد ان تجارة الخيل غدت تجارة رائجة فقد فرض الزكاة على الخيل أسوة بما كان يفرض على اصحاب الابل والغنم وغيرها تبعا لتغير الاحوال [2] .

٢ ـ الغنيمة :

وهي كل ما يحصل عليه الجيش الاسلامي في ميدان الحرب من أموال ودواب وسلاح وأسرى من المحاربين . والسبي من النساء والاطفال . وبالجملة كل ما يغنمه الجيش من مال حقيقي او مقوم . وقد خصص من الغنيمة $\frac{4}{5}$ للمقاتلين والخمس الباقي يصرف بموجب الآية الكريمة : قال تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [3]

وفي توزيع اربعة اخماس من الغنيمة لا بد من المفاضلة بين الفارس والرجل.

---

(١) يحى بن أدم : ص١٢٦، الصولي: ادب الكاتب ص١٩٩ـ ابو عبيد : الاموال ص٤٦٣ وما بعدها .

(٢) عبد الفتاح شحاتة : نظم الحكم في الاسلام : ص١٠٤ .

(٣) سورة الانفال :آية ٤١ .

فيعطي الفارس ثلاثة اسهم منها سهمان لفرسه وسهم له والراجل سهما واحدا ٠ او يعطي الفارس على الاقل سهمين بينما يعطي الراجل سهما واحدا [1]٠ولا يجوز قتل السبي من النساء والاطفال ولا سيما اذا كانوا من اهل الكتاب ٠ ومن الممكن قسمتهم كما تقسم الغنيمة ٠ اما الارض المغنومة فتقسم بين الغانمين الا ان يطيبوا نفسا بتركها فتجعل وقفا على مصالح المسلمين ٠ ويدخل في الغنيمة ما يسمى بالسلب ، فيقسم كالغنيمة وربما اصبح ملكا لسالبه عملا بقول الرسول (ص) : " من قتل قتيلا فله سلبه " [2] وكان المراد بذلك تشجيع المجاهدين على البلاء الحسن في القتال ٠

---

(١) هذا رأي ابي حنيفة٠ اما الاول فهو لأبي يوسف (انظر : الخراج : ص٢١ ، ٢٥ ، ٣٥) ٠ وقال الشافعي : يعطى الفارس ثلاثة اسهم والراجل سهمان واذا حضر الواقعة بأفراس يسهم الاّ لفرس واحد ٠ وقال ابو حنيفة بسهم لاكبر من فرس واحد ٠

(٢) ابو يعلي : الاحكام السلطانية ص ١٣٤ ٠

٣ ـ الفيئ :

ويطلق على المال الذى أصابه المسلمون عفوا من غير قتال ولاايجاف بخيل ولاركاب . قال تعالى " (١)

﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ ۝٦﴾

وخمس الفيئ يقسم الى خمسة أسهم متساوية سهم للرسول ينفق منه على نفسه وبيته . وقد سقط هذا السهم بوفاته عليه السلام

أما أربعة أخماس الخمس : فسهم لذوى القربى من الرسول وسهم لليتامى وسهم للمساكين وسهم لابن السبيل وذلك عملا بقوله تعالى : (٢)

﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۝٧﴾

ويقول الرسول عليه السلام : " مالي مما أفاء الله عليكم الا الخمس والخمس مردود عليكم " . وكانت أربعة الفيئ الباقية تقسم في صدر الاسلام بين الجند في الاعمال الحربية لشراء الاسلحة والمعدات . وقد ظلت الحال على ذلك حتى دون عمر الدواوين وقدر أرزاق الجند (٣) . واعتبر عمر مافتح من الارضين عنوة فيئا ووقفة على المسلمين ومصالح الدولة وأبقى الاراضي بأيدى أهلها يدفعون عنها ضريبة الخراج . وبذلك ضمن للدولة موردا ثابتا للانفاق منه على الدفاع عنها ولحفظ حقوق الاجيال القادمة وقد دلل عمر بعمله هذا على عمق ادراكه لمصالح الدولة الاسلامية .

٤ ـ الجزية :ـ

وهي مقدار معين يوضع على رؤوس أهل الكتاب أي اليهود والنصارى ومن الحق بهم من المجوس (٤) الذين عرض عليهم الاسلام ولم يسلموا ولم

(١) سورة الحشر : آيه ٦ : الوجيف : سرعه السير أي لم تجر الركاب لتحصيله .

(٢) سورة الحشر : آيه : ٧

(٣) حسن ابراهيم : النظم الاسلامية : ص ٢٣٦

(٤) الماوردى : ص ١٣٩ ـ أبويعلي : ص ١٣٧ ـ ١٣٨ .

يقاتلوا ورضوا بالجزية . وهي تجبى مرة واحدة في العام . وكان اليونان قد فرضوها قبل الاسلام على سكان آسيا الصغرى حوالي القرن الخامس قبل الميلاد مقابل حمايتهم من الفرس وفرضها الرومان والفرس على الامم التي خضعت لحكمهم الا انها كانت سبعة أضعاف الجزية التي فرضها المسلمون . وقد فرضت الجزية بنص القرآن . قال تعالى :

﴿ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾ (٢٩) [1]

وقد فرض الشرع الاسلامي الجزية على كل الاشخاص الذين يجب عليهم الجهاد لوكانوا مسلمين لان كلتا الطبقتين تكافأتا في الحقوق وتساويتا في الواجبات [2] . فكان ذلك تحقيقا لمعنى التكافؤ بين المسلم والذمي وقد الحق الرسول المجوس بأهل الكتاب بقوله : " سنوا بهم سنة أهل الكتاب" ويكاد يتفق الفقهاء على أخذ الجزية من المشركين من غير العرب الحاقا لهم بأهل الكتاب على ضوء الحديث عن مجوس هجر . وبالنسبة لفرضها على العربي غير المسلم : يرى أبوحنيفة ألا تؤخذ من مشركي العرب لأن النبي منهم والقرآن بلغتهم ولان الرسول (ص) أوصى ألا يبقى دينان في جزيرة العرب لتتم وحدتها . وخالفه أبويوسف في ذلك وقال : تؤخذ من العربي كتابيا أوغير كتابي ويقول الشافعي : ان الآية عامة لم تمنع فروقا بين أهل الكتاب عربا أو غير عرب ولكنها لاتؤخذ من عبدة الاوثان ومشركي العرب ويرى مالك فرضها على كل كافر لايدخل الاسلام الا المرتد . وأما مقاديرها فقد كانت خاضعة لما

---

(١) سورة التوبه : آية ٢٩ .

(٢) أبويوسف : الخراج :ص٦٩ ـ ٧٢ ـ حسن ابراهيم : النظم الاسلامية ص ٢٢٩ ـ صبحي الصالح : النظم الاسلامية : ص ٣٦٣

يتفق عليه المجاهدون مع من يهزمونهم أيام أبي بكر وعهد عمر ثم ان عمر نظمها وقدرها ضمانا لتحقيق العدالة لأهل ذمة الرسول (ص) فقدّر ما يحصل من الفرد في الفرد وجعل التحصيل على أقساط فحددها بأربعين درهما من الفضة وأربعة دنانير من الذهب سنويا على كل قادر كاسب ثم عدلها فجعلها ثلاث درجات حسب الغنى والفقر : فجعل الدرجة الاولى ٤٨ درهما في العام والثانية ٢٤ درهما والثالثة ١٢ درهم · وعمم ذلك على ولايات الدولة ·

ويقضي الاسلام فيما يتعلق بطريقة أخذ الجزية بالتلطف معهم ولايضرب أحد من أهل الذمة في استيدائهم الجزية ولكن يحبسوا حتى يؤدوها [(١)] ·

وتختلف الجزية عن الخراج من حيث :

أ ـ ان الخراج ضريبة على الارض والعقار بينما الجزية على الرؤوس ·

ب ـ ان الخراج قد استنبطت أحكامه بالاجتهاد [(٢)] بينما الجزية فرضت بنص شرعي ·

جـ ـ ان الخراج لايسقط بالاسلام بينما الجزية تسقط بالاسلام ·

والاصل في فرض الجزية لايجاد التوازن في الدولة عن طريق التكافؤ فالمسلمون والذميون في الاسلام رعية لدولة واحدة ويتمتعون بحقوق واحدة وينتفعون بمصالح الدولة العامة بنسبة واحدة · ومن هنا فرضت الجزية على أهل الذمة مقابل فرض الزكاة على المسلمين حتى يتكافأ الفريقان ولذلك

---

(١) أبويوسف : الخراج : ص ١٢٦ ، ١٢٢ ـ الاموال لابي عبيد : ص ٦٤ ·

أوجب الله الجزية للمسلمين نظير قيامهم بالدفاع عن الذميين وحمايتهم في الاقاليم الاسلامية التي يقيمون فيها ٠

- الخراج :-

وهو ضريبة معينة من المال أوالحاصلات تفرض على أرض صالح أهلها المسلمين على قدر يؤخذ منها ٠ أوعلى أرض فتحها المسلمون بقوة السلاح عنوة وقهرا وتركوها لأهلها نظير استغلالهم لهذه الارض ٠ وهي غير الزكاه المقدرة في أموال المسلمين وغير أرض المسلمين التي يدفعون عنها زكاة عشر محصولها أونصف العشر حسب رأى الفقهاء ٠ وغير الجزية التي فرضت على رؤوس أهل الذمة وكانت ضريبة الخراج تجبى تارة نوعية وتارة أخرى نقدية ونوعية (١)

ويترك تقدير الخراج للامام بعد أن تؤخذ قابلية الارض بعين الاعتبار ويتوقف مقدار الخراج على خصب التربة ونوع الحاصل ونوع السقي طبيعيا أو اصطناعيا وقربها أوبعدها عن الاسواق ٠ وكان يراعى في وضع الضريبة العدل بين أهلها وأهل الفيء من غير زيادة تجحف بأهل الخراج أونقصان يضر بأهل الفيء ، ويلزم معاملة أهل الخراج باللطف وارجائهم في حالة عجزهم عن الدفع (٢) ٠ وكثيرا ماكان الخليفة يتنازل عن كل ضريبة في أيام قحط أو مجاعة ولهذا كان الخراج غير ثابت القدر ، فطورا يزيد وطور ينقص وهو حق معلوم على مساحة معلومة ٠

---

(١) انظر البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ٢٧٧ - ٢٧٩ - الماوردى ص ١٤٨ ٠

(٢) الماوردى : ص ١٤٣ - ١٤٤ - أبويعلي : ص ١٥١ ، ص ١٥٦ - أبوعبيد : الاموال ٠

وهناك ثلاثة أنواع من الاراضي لايفرض عليها الخراج وانما يدفع أصحابها عشر محصولاتها ٠ وتسمى أرضا عشرية : وهي :-

١ - الاراضي التي أسلم أهلها وهم عليها بدون حرب ، فهذه كانت تترك لهم على أن يدفعوا عنها ضريبة العشر كزكاة ولا يجوز ان يوضع عليها خراج ٠

٢ - الارض التي ملكها المسلون عنوة اذا قسمها الخليفة على الفاتحين فهي أرض عشرية تدفع عنها الزكاه ٠

٣ - الارض التي أخذت من المشركين عنوة ، فهذه تعتبر غنيمة تقسم بين الفاتحين بعد اخراج الخمس المقرر منها فيملكونها ويدفعون عنها العشر من غلتها ، وتكون أرض عشر وزكاه لايوضع عليها خراج [١] ٠

ولم يكن الخراج معروفا تماما في العصر الراشدى ، واختلف المؤرخون في تقديره ، فقدره بعضهم على جزية الرؤوس وقصره بعضهم على ضريبة الارض وقال أبويوسف [٢] : والفيء عندنا هو الخراج وذكر آيات سورة الحشر ٠

وكان الخلفاء يعينون عمالا مستقلين عن الولاه والقواد لجباية الخراج فيدفعون منه أرزاق الجند ، وينفقون على ماتحتاج اليه المصلحة العامة ومابقي يرسل الى بيت المال بدار الخلافة ليصرفه الخليفة فيما خصص له ٠

ويذكر أبويوسف للخليفة الرشيد الصفات الواجبة في عمال الخراج بقوله [٣] " ورأيت أن تتخذ قوما من أهل الاصلاح والدين والامانة فتولّهم الخراج ٠ ومن وليت منهم فليكن فقيها عالما مشاورا لاهل الرأى عفيفا لايطلع الناس منه على عورة ولايخاف في الله لومة لائم ٠ وماحفظ من حق وأدى من

(١) الماوردى : ص ١٤٦ - ١٤٧ ٠

(٢) أبويوسف : الخراج : ص ٢٣ ومابعدها ٠

(٣) شحاته : نظم الحكم في الاسلام : ص ١١١ ٠

أمانة احتسب به الجنة . وماعمل به من غير ذلك خاف عقوبة الله فيما بعد الموت بجوز شهادته ان شهد ولايخاف منه جور في حكم ان حكم "

وكان الخلفاء يشرفون بأنفسهم على جباية الخراج ويحاسبون الولاة والعمال ، مطبقين في حقهم دون تحيز مبدأ من ابن لك هذا ؟ وهذا النظام هو ماأصطلح على تسميته بنظام المقاسمة أوالمصادرة . وقد كان عمر بن الخطاب اذا أراد ان يولي واليا عمل احصاء دقيقا لثروته ، ثم عند اعتزاله العمل أو اقالته يدفع نصف الاموال التي جمعها أثناء ولايته اذا تبين ان راتبه لايسمح له بجمع مثل هذه الثروة . وعل هذا رد معاوية الى بيت المال نصف الثروة التي كان قد جمعها . كما قاسم عمرا ماله وفعل مثل هذا بغيرهما .

٦ ـ العشور :

يرجع نظام العشور الى عهد الخليفة عمر بن الخطاب . فقد فرض ضريبة على التجار الذين يتجرون في أرض المسلمين أوخارجها . فاذا كان التاجر ذميا معاهدا أخذ منه قيمة نصف عشر تجارته وان كان من رعايا الدولة أومسلما أخذ منه من كل أربعين درهم واحدا ولاشيء فيما دون المائتين .

فاذا بلغت قيمة التجارة مائتي درهم فأكثر دفع صاحبها خمسة دراهم (٢٥٪) . واذا كان التاجر حربيا فانه يؤخذ منه العشر أوقيمته . حيث ان المسلمين كانوا اذا وفدوا بتجارتهم الى دار الحرب الذين لـ يسر بينهم وبين المسلمين عهد يدفعون العشر عن تجارتهم . فعوملوا معاملة المثل على أنه يجوز للامام ان يزيد عن العشر أو ينقص عنه الى نصف العشر ، أو أن يرفع ذلك عنهم اذا رأى مصلحة في ذلك . ولايزيد على مايؤخذ على مره من كل قادم في كل سنه.ولوتكرر قدومه خلال السنه [١] . وتشبه هذه الضريبة الضرائب

(١) أحكام أهل الذمة : ص ١٦١ .

الجمركية في عصرنا الحاضر ٠

وباختصار فان الضرائب التي تفرض على تجار المشركين نوعان :

أ ـ الضريبة التي تفرض على تجار أهل الذمة وتبلغ ٢٠/١ من قيمة بضائعهم وتجبى مرة في السنة متى تجاوزت قيمة البضائع مائتي درهم [١] ٠

ب ـ الضريبة التي تفرض على التجار المشركين القادمين من خارج البلاد الاسلامية وتبلغ عشر قيمة بضائعهم ان زادت القيمة على مائتي درهم [٢] ٠

٧ ـ ضريبة الخمس : وتفرض على :

أ ـ الركاز : وهو كل مال وجد مدفونا في باطن الارض [٣] ٠

ب ـ المعادن : وقد اختلف الفقهاء في مقدار الضريبة على المعادن وهل تكون الخمس أو العشر ولكن العراقيين الفقهاء اتفقوا على ان تكون الخمس [٤] ٠

واختلف الفقهاء أيضا في أنواع المعادن التي تفرض عليها هذه الضريبة ففي المذهب الشافعي " تجب الضريبة في معادن الذهب والفضة خاصة ٠ بينما أوجبها أبوحنيفة في كل ماينطبع من ذهب وصفر ٠٠وأسقطها عما لاينطبع من مائع وحجر ٠

ويرى ابن حنبل انها تجب في جميع الخارج منها سواء كان مايطبع ٠٠٠ أو مما لايطبع [٥] ٠

(١) يحي بن آدم : ص ١٠ ـ ١١ ـ الماوردى : ص ١٢٢ ٠
(٢) يحي بن آدم : الخراج : ص ١١ ـ ١٢٦ ٠
(٣) أبويعلي : ص ١١١ ـ ١١٢ ـ الماوردى : ص ١٢٦ ٠
(٤) الصولي : أدب الكاتب : ص ١٩٩ ٠
(٥) أبويعلي : ص ١١١ ـ الماوردى : ص ١١٦ ٠

وهناك ضرائب كثيرة نشأت عن حاجات وظروف جديدة ولعبت دورا في السياسة المالية ٠ اذ توقفت الغنائم وتقلصت أراضي الخلافة واقتصر دفع الزكاة على المواشي والزروع تقريبا فحصل نقص في موارد الدولة مع بقاء الانفاق والموظفين كما هي الحال بل وزاد الانفاق وارتفعت الرواتب ٠ فكان من الضروري ايجاد مصادر جديدة ففرضت ضرائب جديدة أهمها :

١ ـ ضريبة الارث :

وهي من الضرائب غير المشروعة ومهمة ٠ ويبدو انها ظهرت لاول مرة في خلافة المعتمد سنة ٢٥٦ ـ ٢٧٩ هـ / ٨٧٠ ـ ٨٩٢ م [١] ٠ ثم أصدر عام ٢٨٣ هـ أمرا بالغائها ، والغاء ديوان المواريث وأمر باعطاء الارث الى الاقرباء [٢] ٠ ثم أعيدت هذه الضريبة واستمرت طيلة القرن الرابع الهجري وكانت موردا مهما للخزينة ٠

٢ ـ ضريبة النقل :

وكانت تجبى على البضائع المنقولة من منطقة الى أخرى برا ونهرا ففي البصرة كانت الضرائب على البضائع المحمولة في السفن والمجلوبة بحرا اليها وتسمى هذه الضرائب بالمكوس وتسمى محلات جبايتها " المراصد " [٣]

وقد بلغت ضرائب السفن القادمة مبلغ ٢٢ر٥٧٥ دينار [٤] وبلغ واردها سنة ٣٣٩هـ / ٩٥٠م مبلغ ٢٠٠ر٠٠٠ دينار [٥] ٠

(١) الصابي : الوزراء : ص ٢٤٨ ٠

(٢) ابن الاثير : جـ٧ ،ص ٣٣٤ ـ الذهبي : أول الاسلام ، جـ١ ، ص ١٣٤ ٠

(٣) الخوارزمي : مفاتيح العلوم : ص ٣٩ ٠

(٤) الدوري : تاريخ العراق الاقتصادي ، ص ١٩٥

(٥) مسكوية : تجارب الامم : جـ٢ ، ص ١٢٩ ٠

٣ ـ ضريبة الحوانيت والاسواق :

وكان المهدى أول من فرضها على الاسواق والحوانيت ويذكر أن وارد أسواق الغنم في بغداد وسامراء وواسط والبصرة والكوفة سنة ٣٠٦هـ ٩١٧٥ر١٦ دينار سنويا [(١)] . وكان مايقبض من الطواحين في نصيبين والضياع المقبوضة والمشتراه وغلات العقار من الخانات والحمامات والحوانيت والدور ستة عشر ألف دينار وذلك سنة ٣٥٨هـ / ٩٦٨م [(٢)] . مما يدل على ان الحمامات كانت تدفع ضريبة أيضا .

٤ ـ ضريبة الطواحين :

ففي بغداد كانت الرحى المعروفة برحى البطريق تدر مائة ألف درهم في السنة [(٣)] . وكان وارد الطواحين في المدينة وغير ها يشكل موردا هاما من موارد بيت المال .

٥ ـ ضريبة الدور والبنايات :

وكان واردها كثيرا في عهد المقتدر وكانت عبارة عن مستغلات تطلق على الضرائب التي تفرض على الدور والاسواق والطواحين التي بناها الناس على أرض حكومية [(٤)] . وذكر خرداذبة ان وارد مستغلات بغداد مع دار الضرب بلغ در ١ مليون درهم في سنة ٢٧ هـ /٨٨٥ م وبلغ وارد مستغلات بغداد حوالي سنة ٣٠٠هـ/٩١٢م [(٥)] ١٣ ألف دينار في السنه .

---

(١) الدورى : المرجع السابق : ص ١٩٥ .
(٢) ابن حوقل : ص ١٤٣ .
(٣) اليعقوبي : البلدان : ص ٢٤٣
(٤) الاصطخرى : ص ١٥٨ ـ ابن حوقل : ص ٣٠٣ .
(٥) الاصطخرى : الممالك والممالك : ص ١٣٥ .

وهناك ضرائب اخرى فرضت على بيع الاغنام والدواب والبقر والخضر والفواكه حتى بلغ الوارد منها في العراق سنة ٣٥٨هـ خمسة آلاف دينار[١]، كما فرضت ضريبة على الخمور ، كما فرضت ضرائب ايضا على بيع الخيول والحمير والجمال في جميع الاسواق[٢] .

وفرضت في الدولة الاسلامية ضريبة على المنسوجات الحريرية والقطنية وفي سنة ٣٣٠هـ/٩٤١م فرضت ضريبة على الزيت كما فرضت ضريبة كبيرة على الحنطة[٣].

وفي بعض الاحيان كانت تفرض ضريبة على المراعي[٤] . كما ظهرت في احيان اخرى ضريبة باسم مال الجهبذة . وصفت بأنها بلاء على الناس .

---

(١) ابن الاثير : ج٨ ، ص ٥١ .
(٢) مسكوية : ج٢ ، ص ٧٢ .
(٣) الصابي : الوزراء : ص٨٥ .
(٤) ابو شجاع : ذيل تجارب الامم : ص ٧١ ـ ٧٢ .

الأراضـــي :-

تعتبر المصدر الرئيسي لحياة الغالبية العظمى للسكان في العصر الراشدي وكانت الضرائب على الارض وعلى منتوجاتها الزراعية تشكل المورد الاساسي والثابت لخزانة الدولة الاسلامية . ولهذا فان أي تغيير في طبيعة ملكية الاراضي لابد أن يعطي مع الايام مردودا يتفق مع هذا التغيير على الصعيدين الاقتصادي والاجتماعي .

وقد انتهج الرسول صلى الله عليه وسلم اتجاهات عامة لمعالجة قضية هذه الاراضي تتلخص فيما يلي :

١ - مصادرة أراضي الاعداء وتقسيمها على المسلمين وذلك لموقفهم من المسلمين المعادي .

٢ - تقسيم الارض أو غلتها بين أصحابها وبين المسلمين لانها فتحت صلحا وبدون قتال .

٣ - ابقاء ملكية الارض لاصحابها واقرارهم عليها بعد ان يدفعوا ماعليهم من أموال . وهي التي فتحت عنوة أوصلحا أوبدون قتال .

ولما جاء العهد الراشدي جرى تغيير على الاراضي المفتوحة . فقد تم أول تغيير على يد أبي بكر وذلك عندما وزع صدقات النبي التي اعتبرت فيئا خالصا له بين المسلمين . واتخذ الخليفة عمر بن الخطاب عدة اجراءات منها أنه أمر باجلاء أهل الذمة عن أراضيهم في الجزيرة العربية ومن ثم قسمها بين المسلمين وذلك لأسباب كثيرة [1] : اما بسبب عبث اليهود وغشهم للمسلمين كما حدث في خيبر حتى قيل ان ابن الخليفة تعرض لأذاهم وقيل بسبب ظهور

(١) انظر فتوح البلدان . ص ٤٥ - طبقات ابن سعد جـ٢ ، ص ٢٤٢

الوباء بينهم كما في خيبر [1] ، أوتلبية لوصية الرسول (ص) ان يخرجوا المشركين من بلاد العرب [2] أو ان عمر حينما وجد توفر الايدى العاملة بين المسلمين لم يعد يرى موجبا لبقائهم بين المسلمين مادام المسلمون قادرون على زراعة الارض واستغلالها بأنفسهم [3] .

ويختلف نظام الاراضي في صدر الدولة الاسلامية باختلاف حيازة الاراضي ونوع الضريبة المفروضة عليها وتنقسم هذه الاراضي حسب حيازتها الى الاقسام التالية :

أ ـ الاراضي التي فتحت عنوة :

وهي الاراضي التي استولى عليها المسلمون بالقتال وكان دخولها نتيجة للجهاد المسلح في سبيل الدعوة [4] .

وأ كثر الاراضي التي فتحها المسلمون كانت عنوة : السواد والشام وبلاد الفرس ومصر وغيرها وهذه الاراضي التي يجبى عنها الخراج وهي الاراضي التي وضع عليها الخراج عمر [5] .

---

(١) فتوح البلدان : ص٣٧ .
(٢) طبقات ابن سعد : جـ٢ ، ص ٢٤٢ ـ صحيح مسلم جـ١٢٠ ، ص ٦٢ .
(٣) الاموال : ص٥٦ ، ص ٦٨ .
(٤) المغني : لابن قدامة : جـ٢ ، ص ٧٠٦ ـ يوسف القرضاوى : فقه الزكاه ص٤٠٧
(٥) محمد ضياء الريس : الخراج والنظم المالية للدولة الاسلامية ص١٢٧ .

ب ـ الاراضي التي جلى عنها أهلها خوفا :

وتشمل هذه الاراضي جميع الاراضي التي هرب أهلها عنها خوفا ابان الفتوحات الاسلامية في صدر الدولة الاسلامية ومنها أراضي كسرى وأهل بيته وأراضي قياصرة الروم الذين فروا من المعارك . ويكون في حكمها بقية الصوافي . ومنها أراضي من قتل من المحاربين واوقاف البريد وغيرها وقد اصطفاها عمر بن الخطاب وأصبحت ملكا للدولة الاسلامية وظلت هكذا حتى جاء عثمان بن عفان فوزعها على المسلمين (١) .

جـ ـ الاراضي التي استولى عليها المسلمون صلحا :

والمراد بها : الاراضي التي استولى عليها المسلمون بموجب عقد صلح أي بغير قتال مثل : أرض بني النضير وأرض بني قريظة وفدك ووادى القرى وأهل تيماء وتبوك ودومة الجندل ونجران ومجوس هجر وأهل الحيرة (٢) .

د ـ الاراضي التي أسلم عليها أهلها طوعا :

وهي الاراضي التي استجاب أهلها طوعا لدعوة الاسلام فآمنوا بالله ربا وبمحمد نبيا ورسولا وسواء كان ذلك عن طريق دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم ورسله لهؤلاء مباشرة أو عن طريق مقدم هؤلاء الى رسول الله أو خلفائه مثل المدينة المنورة واليمن والطائف ، جرش ، عمان ، البحرين اليمامة (٣) . وهذه الاراضي تكون مملوكة لأصحابه وهي أرض عشرية (٤) .

(١) انظر فتوح البلدان : ص ٢٧٢ ـ انظر : الزبيدى : الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الكوفة في القرن الاول الهجرى ، ص ١٤٤ .

(٢) انظر : فتوح البلدان ص ٤٨، ٧١، ٧٤، ٧٥ ـ محمد الريس: الخراج ص ١٠٣ ومابعدها

(٣) انظر : فتوح البلدان ص ٢١، ٢٢، ٧٩، ٨٧، ٨٠، ص ٩٧ ـ انظر محمد الريس : الخراج والنظم المالية ، ص ١٠٠ ومابعدها .

(٤) الماوردى :ص ١٤٧ ـ ابن قيم الجوزبة ، زاد المعاد ، جـ٢ ، ص ٧٦

هـ ـ صدقات الرسول صلى الله عليه وسلم : وهي ثمان :

١ ـ الصدقة الاولى : وهي أول أرض ملكها الرسول وصية مخيريق اليهودي لرسول الله صدقة عليه ٠

٢ ـ الصدقة الثانية : أرضه من أموال بني النضير بالمدينة وهي أول أرض أفاءها الله على رسوله ٠

٣ ـ الثالثة والرابعة والخامسة : ثلاث حصون من خيبر ٠

٤ ـ الصدقة السادسة النصف من فدك :بعد فتح خيبر جاءه أهل فدك فصالحوه على نصف أرضهم ونخلهم ٠

ـ الصدقة السابعة : الثلث من أرض وادي القرى لان ثلثها كان لبني عذره وثلثها لليهود فصالحهم الرسول على نصفه ٠

٦ ـ الصدقة الثامنة : موضع سوق بالمدينة ٠

و ـ أرض الموات :

وهي أرض ليست من مرافق البلد ولامملوكه لأحد ولاحقا خاصا له وكانت خارجة من البلد سواء كانت قريبة منه أو بعيده [١] وقيل الموات مالاينتفع به من الاراضي لانقطاع الماء عنه أو لقلبه الماء عليه أوماأشبه ذلك مما يمنع الزراعة [٢] .

وعند المالكية هي الارض التي لاعمارة فيها ولايملكها أحد [٣] .

وعند الشافعية : هي كل مالم يكن عامرا ولاحريما لعامر ، وان كان متصلا بعامر [٤] .

(١) محمد حسن يحي : الاراضي في صدر الاسلام ، ص ٦٩ ٠
(٢) العبادي : الملكية في الشريعة الاسلامية ٠
(٣) القوانين الفقهية : ص ٢٢٢ ٠
(٤) الماوردي : ص ١٧٧ ٠

وعنـد الحنابلة : هي أرض الخراب الدارسة تسمى ميته ومواتـا وموتانا [1]

ومما سبق يتبين ان هذه التعريفات متشابهة من حيث المعنى واختلف المبنى والعبرة للمعاني وليس للألفاظ .

ز - الاراضي الموات الواقعة في أرض العنوة أو الصلح أو التي أسلم عليها أهلها أو من جلوا عنها هربا :

اختلف الفقهاء في نظام هذه الاراضي ، فبعضهم يقول ان هذه الاراضي تملك بالاحياء وهم فقهاء المسلمين [2] ودليلهم في ذلك قول الرسول (ص) " من أحيا أرضا ليست لأحد فهو أحق بها " [3] .

وفريق آخر يقول : ان الموات في أرض العنوة يكون مملوكا لكافة المسلمين فلا يملك بالاحياء وهو قول الاوزاعي والثورى [4] .

ودليلهم في ذلك : ان اناسا جاؤوا أبابكر بعد وفاة الرسول (ص) وقالوا له : ان بأرضنا رسوما قد كانت ارحاء على عهد أهل عاد . فان أذنت لنا حفرنا آبارها وعملناها فأصبنا منها معروفا وانتفع بها الناس فارسل الى عمر بن الخطاب بعدما كتب لهم كتابا فقال عمر : ان الارض فيء للمسلمين فان رضي جميع المسلمين بهذا فاعطهم والا فليس أحد أحق بها من أحد وليس لهؤلاء ان يأكلوها دونهم [5] .

وفريق يرى : ان موات الارض اذا قاتل عنه الكفار ولم يحيوه ثم ظهر

(1) محمد حسن يحي : نظام الاراضي في صدر الاسلام ، ص ٦٩ .
(2) ابن رجب : الاستخراج ص ٥٩، ٦١ - أبويوسف : الخراج : ص ٥٩ ، ٦٣ .
(3) أبوعبيد : الاموال : ص ٣٦٣ - وبنص آخر " من عمّر أرضا ليست لأحد فهو أحق بها " - سنن البيهقي جـ٦ ، ص ١٤٢ - ١٤٧ - الشوكاني : نيل الاوطان جـ٥ ص ٣٤٠ .
(4) ابن رجب : الاستخراج لأحكام الخراج ، ص ٥٨ ، ٥٩
(5) المرجع نفسه : ص ٥٩

المسلمون عليه يكون مملوكا للغانمين ولايجوز تملكه بالاحياء . وهو رأى الشافعية .

ويرى آخرون : ان أرض الصلح اذا صولح أهلها على أن تكون مملوكة لهم وللمسلمين خراجها فلايملك مواتها بالاحياء وهذا قول الشافعي وابي يعلى ومن بعده من الحنابلة (١) .

ومما سبق يتبين ان موات الارض يملك بالاحياء اذا توفرت شروطه وسواء أكانت الارض عنوة أم أرضا جلى عنها أهلها ، وسواء أكانت أرض صلح أم أرضا أسلم عليها أهلها . وذلك لما استدل به أصحاب هذا القول من أدلة تدل بعمومها على ان موات الارض يملك بالاحياء دون تفرقة بين أرض وأخرى .

نظام حمى الاراضي :

وضع الرسول صلى الله عليه وسلم قواعد حمى الاراضي في عهده ثم سار عليها الخلفاء من بعده . والحمى موضوعه أرض الموات .

وحمى الموات : هو المنع من احيائه آملاكا ليكون مستبقي الاباحة لنبت الكلأ ورعي المواشي (٢) .

والحمى ثلاثة أنواع :

١ـ حمى رسول الله صلى الله عليه وسلم : وهو جائز لنفسه ولصالح المسلمين ولم يحم الرسول لنفسه وانما حمى للمسلمين ، وحمى النقيع ودليل ذلك ان عمر بن الخطاب قال : حمى رسول الله صلى الله عليه وسلم النقيع وهو موضع معروف بالمدينة لخيل المسلمين (٣) .

(١) ابن رجب : ص ٦١ ـ الشافعي : الام جـ ٢ ، ص ٢٦٨ .
(٢) الماوردى : ص ١٨٥ ـ أبويعلى : ص ٢٢٢ .
(٣) أبوعبيد : الاموال : ص ٣٧٦ . وفي رواية البقيع : الماوردى : ص ١٨٥ .

٢ ـ حمى الأئمة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقد حمى أبوبكر الصديق بالربذة لأهل الصدقة واستعمل عليه مولاه أبا سلامة . وكذلك فعل عمر بن الخطاب فقد حمى من السرف مثل ماحماه أبوبكر بالربذة ، كما حمى عثمان واشتهر في ذلك الصحابة ولم ينكر عليهم منكر (١) .

٣ ـ حمى الواحد من أعوام المسلمين : لايجوز هذا النوع من الحمى واذا فعل ذلك فحماه مباح للمسلمين لانه اذا حمى لنفسه فقد تحكم وتعدى ، واذا حمى للمسلمين فليس هو من أهل الولاية عليهم ولامعن يؤثر اجتهادهم (٢) .

فقد أخرج الشيخان عن أبي هريرة : " لاتمنعوا فضل الماء لتمنعوا به الكلأ " (٣) .

و لمسلم "لايباع فضل الماء ليباع به الكلأ " (٤) . وللبخاري : " لاتمنعوا فضل الماء لتمنعوا به فضل الكلأ " (٥) .

---

(١) ابن قدامة : المغني : جـ٥ : ص ٥٨١ ـ محمد حسن يحي : نظام الاراضي في صدر الاسلام الدولة الاسلامية ، ص ٨٣ .

(٢) محمد حسن : نظام الاراضي في صدر الدولة الاسلامية : ص ٨٥

(٣) الشوكاني : نيل الاوطان : جـ٥ ، ص ٣٤١ .

(٤) الشوكاني : نيل الاوطان : جـ٥ ، ص ٣٤١ .

(٥) المصدر نفسه : جـ٥ ، ص ٣٤٣ .

نظـام الاراضي المسترفق بهـا :

وضع الرسول صلى الله عليه وسلم نظام الاراضي المسترفق بهـا ثم سـار عليه الخلفاء من بعده .

والمراد بالارفاق : ارتفاق الناس بمقاعد الاسواق وأفنية الشوارع وحريم الامصار ومنازل الاسفار [1] .

وينقسم الى ثلاثة أقسام :

١ ـ مايختص بالصحارى والفلوات . مثل منازل الانصار وحلول المياة .

وحكمه ان لانظر للسلطان له فيه لبعده عنه وضرورة السابلة اليـه قال الماوردى " والذى يختص السلطان له من ذلك اصلاح عورته وحفظ مياهه والتخلية بين الناس وبين نزوله " [2] .

وكذلك يكون السابق الى المنزل أحق بحلوله فيه من المسبوق حتى يرتحل عنه لقول النبي " منىً مناخ لمن سبقه " [3] .

٢ ـ مايختص بأفنية الدور والاملاك :

وحكمها ان كان مضرا بأربابها منع المرتفق منها الا ان يأذنوا بدخول الضرر عليهم فيمكنوا .

٣ ـ مااختص بأفنية الشوارع والطرقات :

وحكمه أنه موقوف على نظر السلطان . فهو اما ان يكون نظره مقصور على منعهم من التعدى ومن الاضرار ثم الاصلاح بينهم وليس له ان يجلس واحدا ويمنع آخر والسابق الى المكان أحق به من المسبوق . وأما ان يكون نظره مجتهد

(١) الماوردى : ص١٨٧ ـ أبويعلي : ص ٢٢٤ .
(٢) الماوردى : ص١٨٧
(٣) المناوى : فيض القدير : جـ٦ ، ص ٢٢٤ .

فيما يراه صلاحا في اجلاس من يجلسه ومنع من يمنعه وتقديم من يقدمه كما يجتهد في أموال بيت المال واقطاع الموات .

الاقطاع :

الاقطاع لغة : مشتقة من أقطع يقطع أي أعطى قطعة ، وأقطعه قطيعة أي طائفة من أرض الخراج [1] .

والاقطاع اصطلاحا : هو مايخص به الامام بعض الرعية من الارض الموات ، فيختص به ويصير أولى باحيائه ممن لم يسبق الى احيائه .

والاقطاع : تسويغ الامام من مال الله شيئا لمن يراه أهلا لذلك وأكثر مايستعمل في الارض وهو ان يخرج منها لمن يراه مايحوزه اما بأن يملكه اياه فيعمره واما بأن يجعل له غلته مده [2] .

والاقطاع في الدين الاسلامي شرع للمصلحة تعود على الامة الاسلامية عموما وعلى الاسلام ذاته بالخير . وذلك بأن يكون المقطع أهلا للاقطاع ، أما لما يقدم للاسلام من خدمة أو مايدفع عنه من ضرر فيكون للمؤلفة قلوبهم ليثبت قلوبهم أولدفع شرهم أو لمن يقوم بعمل مجيد للاسلام من انفاق في اصلاح أوتقديم خدمة جماعية [3] .

لقد حدث الاقطاع في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ثم في عهد الخلفاء الراشدين ومن تبعهم من الخلفاء المهديين .

---

(١) مختار الصحاح : ص ٥٤٣ .

(٢) فتح البارى مع صحيح البخارى : جـ٥ ، ص ٤٧ .

(٣) محمد بن على السمبح : ملكية الارض فى الشريعة الاسلامية : ص ١٦٢ .

ففي المدينة المنورة وضع الرسول (ص) قواعد الاقطاع ثم سار على هذه السنة الخلفاء الراشدون ومن سار على سنتهم .

فقد روى عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما ان الرسول أقطع الزبير بن العوام بخيبر أرضا من أموال بني النضير .

وروى ان عمر بن الخطاب أقطع العقيق أجمع للناس حتى جازت قطيعة أرض الزبير فقال أين المستقطعون منذ اليوم فان يكن فيهم خير فتحت قدمي قال خوات ابن جبير اقطعنيه فاقطعه اياه [1] .

واقطع عثمان بن عفان رضي الله عنه لعبدالله بن مسعود في النهرين ولعمار بن ياسر استينا (قرية بالكوفة) واقطع خبابا صفاء ، واقطع سعد ابن مالك قرية هرمزان قال : فكل جار قال : فكان عبدالله بن مسعود وسعد ابن مالك يعطيان أرضهما بالثلث والربع [2] .

كما أقطع عثمان بن عفان واليه على الشام معاوية بن أبي سفيان من الارض التي للمسلمين بعد الفتوح الاسلامية ثم أقطع عبدالملك بن مروان أرض الخراج التي باد أهلها .

وأقطع الوليد بن عبدالملك جند انطاكية أرض سلوقية على الساحل وأقطع مسلمة بن عبدالملك قوما من ربيعة قطائع في انطاكية [3] .

واقطع مروان بن الحكم قرية زملكا في غوطة دمشق الى حفص بن عمر الازدي وكتب له كتابا [4] .

(١) أبويوسف : الخراج : ص ٦١
(٢) أبويوسف : الخراج : ص ٦٢

(٣) محمد صالح : النظم الاقتصادية في مصر والشام في صدر الاسلام : ص١٣١

فتوح البلدان : ص ١٥٤ .

(٤) النظم الاقتصادية : ص ١٣٢ .

وفي مصر أقطع عمر بن الخطاب ابن سندر منية الاصبغ ، فحاز منها لنفسه ألفي فدان ثم اشتراها الاصبغ من عبدالعزيز بن مروان .

وأقطع معاوية بن أبي سفيان عقبة بن عامر قطعة أرض مساحتها ألف ذراع في ألف ذراع ليسترفق بها عند قرية بمصر [1]

وأقطع عثمان بن عفان في الكوفة مجموعة من الصحابة التابعين وبعض قادة قريش تقديرا منه لـ خدماتهم الكبيرة وجهادهم في الاسلام ورغبة منه في اسكانهم منطقة الكوفة وبذلك يكون عثمان قد خالف القاعدة التي وضعها عمر بن الخطاب بجعل سواد العراق ملكا لكافة المسلمين .

وينقسم الاقطاع الى ثلاثة أنواع هم :

١ ـ اقطاع تمليك : وهو أن يعطي الامام من يراه أهلا مواتا يحييه ويتصرف فيه تصرف المالكين .

٢ ـ اقطاع الاستغلال : وهو ان يعطي الامام من يراه أهلا مواتا أوعامرا من الخراج أو من غيره ليستغله وينتفع به بزرع أوغرس أوسكن أواجازة ويبقى الاصل للمسلمين سواء أجعل الامام على المقطع عوض من النتاج أو كان اقطاع استغلال بلاعون وللامام ان يستروه اذا رأى المصلحة في ذلك أيضا .

ولايجوز للامام ان يقطع أحدا الا مالم يتعلق به حق لاحد ومالم يوقع شحناء بين المسلمين وحكمه جائز لفعل النبي صلى الله عليه وسلم .

وروى أن النبي (ص) أقطع رجلا من الانصار يقال له سليط . وكان يذكر من فضله أرضا قال فكان يخرج من أرضه تلك فيقيم بها الامام ثم يرجع فيقال له . ـــد

---

(١) النظم الاقتصادية : ص ١٣١ ـ ١٣٢ .

نزل بعدك من القرآن كذا وكذا وقضى الرسول في كذا وكذا قال : " فانطلق الى رسول الله فقال : يارسول الله : ان هذه الارض التي اقطعتها قد شغلتني عنك فاقبلها مني فلاحاجة لي في شيء قد يشغلني عنك فقبلها النبي منه فقال الزبير يارسول الله اقطعنيها . قال : فأقطعها اياه . [1]

فكان رسول الله قد اقطعه للمصلحه وقبل ردها ايضا للمصلحة .

٣ - اقطاع الارفاق :

ويسمى اقطاع امتاع وانتفاع : وهو ان يقطع الخليفة أو من يقوم مقامه مكانا يرتفق به دون ان يملك رقبته ويكون أحق به من غيره سواء نقل صناعته أو لم ينقله . وقد يدخل الارتفاق فيما يسمى الاستغلال لكن هذا في الغالب يختص بأماكن البيع والشراء في الاسواق وعلى الطرقات

أى انه اقطاع مقاعد السوق والطرق الواسعة ورحاب المساجد التي للسابق اليها الجلوس .

ويجوز للامام ان يقطعها لمن يجلس فيها لانه في ذلك اجتهادا من حيث انه لايجوز الجلوس الا من لايضر بالمادة . فكان الامام يجلس فيها من لايرى انه يتضرر بجلوسه ولايملكها المقطع بذلك بل يكون احق بالجلوس فيها من غيره بمنزلة السابق اليها من غير اقطاع سواء الا في شيء واحد وهو أن تقل مناعة عنها فلغيره الجلوس فيها لان استحقاقه لها يسبقه اليها ومقامه فيها فاذا انتقل عنها زال استحقاقه [2] .

---

(١) أبوعبيد : الاموال : ص ٣٨٦ .

(٢) محمد حسن أبويحي : نظام الاراضي في صدر الاسلام (ندوة مالية الدولة في صدر الاسلام) .

وأما اقطاع المعادن : فتتمثل في المعادن الظاهرة والباطنة [1]

فأما المعادن الظاهرة : فهي ماكان جوهرها المستودع فيها بارزا كمعادن الملح والقار والنفط . وهذه المعادن لايجوز اقطاعها والناس فيها سواء . يأخذها من حصل عليها . ووجه ذلك ماأخرجه أبوعبيد عن عمر ابن يحي ابن قيس المازني عن أبيه حدثه عن أبيض بن جمال المازني : أنه استقطع رسول الله الملح الذى بمأرب فقطعه له فلما ولى قيل يارسول الله أتدري ماقطعت له ؟ انما اقطعته الماء العد قال : فرجعه منه [2] .

أى ان الرسول (ص) ارتجعه منه لان الماء شركه بين الناس فلايجوز اقطاعه .

وأما المعادن الباطنه : فهي ماكان جوهرها مستكنا فيها لايوصل اليه الا بالعمل كمعادن الفضه والذهب والحديد والصفر . فالحنابلة لايجيزون اقطاعها كالمعادن الظاهرة وكل الناس فيها شرع [3] .

وأما الشافعية فان أحد أقوالها تجيز فيه اقطاعها أسوة بما فعله الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه أقطع بلال بن الحارث معادن القبلية جلسيها وغوريها [4] وحيث يصلح الزرع من قدس [5] ولم يقطعه حتى مسلم [6]

---

(١) الماوردي : ص١٩٧ ـ ١٩٨ ـ أبويعلي : ص ٢٣٥ ـ ٢٣٦

(٢) الاحكام السلطانية لابي يعلي : ص ٢٣٥ / الهامش .

(٣) هامش الاموال لابي عبيد : ص ٣٥٨ .

(٤) الجلسي والغوري تأويلان : أحدهما انه أعلاها وأسفلها والثاني ان الجلسي بلاد نجد والغوري بلادتها به (الاحكام السلطانية للماوردى ص ١٩٨) .

(٥) قدس : جبل في نجد : هامش الاموال لابي عبيد ص ٣٤٨)

(٦) هامش الاموال لابي عبيد : ص ٣٤٨ .

وبناء على هذا يقول الماوردي : فعلى ان يكون المقطع أحق بها وله منع الناس منها • وفي حكمه قولان : الاول : انه اقطاع تمليك يصير به المقطع مالكا برقبته المعدن كسائر أمواله في حالة عمله • وبعد قطعه يجوز له بيعه في حياته وينتقل الى دور ورثته بعد موته •

والقول الثاني : انه اقطاع ارفاق لايملك به رقبة المعدن ويملك به الارتفاق بالعمل مدة مقامه عليه • ونفس الاحداث ينازعه فيه ماأقام على العمل • فاذا تركه زال حكم الاقطاع عنه وعاد الى حال الاباحه • فاذا أحيا مواتا باقطاع أو غير اقطاع وظهر فيه معدن ظاهر أو باطن ملكه المحيي

وهناك ضياع الخليفة والاحباس والصوافي • فضياع الخليفة : هي أرض خاصة للخليفة • فكان لمعاوية ضيعة بالبلقاء ورثها عن أبيه ولسليمان ابن عبدالملك مزرعة تعرف بالسليمانية • كما كان لهشام بن عبدالملك ضيعة تعرف بالهني والمرى نسبة لنهرين حفرهما في الرصافة التي سميت باسمه وكذلك كانت له ضياع في الاردن (١) •

وأما الاراضي الاحباس : فهي الاراضي المحبوسة لمنفعة طائفة معينة من المسلمين كالفقراء مثلا • ففي مصر كانت الاحباس في أيدي أهلها وأحبائهم فوضعت الدولة يدها عليها حفاظا لحق الفقراء وأنشأت ديوانا للاحباس وفي الشام : حبس معاوية من أراضي الصوافي التي كانت في يده

(١) محمد صالح : النظم الاقتصادية في مصر والشام في صدر الاسلام : ص ١٣٣ •

على الفقراء ٠ وفي انطاكية وقف مسلمة بن عبدالملك أرضا له بفراس في سبيل الخير وكذلك كان الخليفة عثمان قد وقف سلوان وهي بحلة في ربض مدينة القدس على ضعفاء البلاد [1] ٠

والصوافي : هي الاراضي التي اصطفاها بعض الخلفاء من الاراضي التي قتل أهلها أو هربوا أو من أراضي كسرى أو عائلته أو قادته كما سبقت الاشارة عند الحديث عن الاراضي التي هرب أهلها خوفا من القتل ٠ وكانت في يد معاوية أرض الصوافي التي كان ينفق منها ويخرج عطاياه ٠ وقد اتخذ له عامله على فلسطين من كورة عسقلان بعد ان أمره الخليفة باقامة الضياع له [2] ٠

واتخذت القطائع أشكالا مختلفة أهمها :

- خدمة النفع العام : فقد اقطع عمر أقواما يقدمون خدمات عامه للدولة
- احياء الارض واستصلاحها ٠
- لمن كان له غناء في الاسلام : وهذه قليلة ولم ترد الا اشارة واحدة لهذا الشكل من القطائع ٠
- تألف البعض رؤساء القبائل : فقد اقطع عمر قوما من اشراف دمشق كابن يحدل ٠
- وكثرت القطائع في عهد عمر لغايات السكن فقد اقطع الناس دورا في الكوفة والبصرة والمدائن والموصل والحدثية ومدن الشام والفسطاط [3]

(١) البلاذري فتوح البلدان : ص ٢٧١ ـ أبوعبيد : الاموال ص ٦١٦ ـ النظم الاقتصادية في مصر والشام ص ١٣١ ٠

(٢) النظم الاقتصادية : ص ١٣٣

(٣) فتوح البلدان : ص ١٣٧ ، ٢٧٤ ، ٣٤٧ ٠ الطبرى جـ١ ص ٢٠،٢١،٤٥ ٠

وهناك شروط للقطائع استمدها الفقهاء من خلال الممارسات العملية في عهد الرسول (ص) والخلفاء الراشدين وصاغوها بمعايير فقهية تمثلت بما يلي :-

- لايجوز للامام ان يقطع ماكان تابعا لبعض القرى كالمراعي والمحتطب حيث اعتبرت من حق أهل القرية . والحد الفاصل ان يسمع صوت الرجل من أدنى الارض المملوكة له مما لم يسمع صوته فيه فهي ليست تابعة لقريتهم (1)
- ان الاقطاع لايكون الا فيما ليس له مالك . ومن عفو البلاد التي لاملك لاحد عليها ولاعمارة توجب ملكا لاحد سواء كان ذلك من المسلمين أو المعاهدين (2) .
- ان يكون المقطع اليه مسلما : اذ لايحق احياء الكافر الذي في دار الاسلام لانه نوع تمليك ينافيه الحربي . فنافاه الذمي كارث من المسلم ولكن يجوز الاختطاب والاحتشاش (3) .
- لايجوز اقطاع المال الظاهر العين الحاضر النفع كالشجر والنخيل ويجوز في الارض البيضاء .
- لايجوز اقطاع ارض الخراج لان رقابها وقف وخراجها أجره . فتمليك الوقف لايصح باقطاع ولاهبه ولابيع (4) .
- يرى البعض ان الارض بمنزلة المال فيحق للامام ان يجيز في بيت المال مـ

(1) القطائع في صدر الاسلام : محمد خريسات : ص ٢٩ / بحث ندوة مالية الدولة في صدر الاسلام .
(2) أبوعبيد : الاموال : ص ٣٩٤ بقدامة بن جعفر : الخراج : ص ٢٠٤
(3) الحصني : كفاية الاخبار في حل غاية الاختصار جـ ١ ص ٣١٦ / محمد خريسات ص ١٩٣
(4) الماوردي : ص ١٩٣ .

كان له غناء في الاسلام ومن يقوى به على العدو • ويعمل بالذى يرى انه خير للمسلمين وأصلح لامرهم •

- ان يقوم المقطع اليه بعمارة في الارض فاذا امتنع عن عمارتها كان حكمها الى الامام •

- تستوفي على القطائع ضرائب كما تستوفي على الارض الاخرى (1)

---

(1) انظر : أبويوسف : الخراج : ص ١٧٣ - فتوح البلدان : ص ٨ - الخوارزمي مفاتيح العلوم : ص ٣٩ •

الباب الثامن

مميزات الحضارة العربية الاسلامية

مميزات الحضارة العربية الاسلامية ومكانتها

بين الحضارات

الحضارة العربية الاسلامية هي ذلك التراث العربي الضخم للامة العربية والذى أنتجته خلال العصر الذهبي للامة العربية (الاموى + العباسي) ، والذى أصبح عنوان مجدها ، ورمز مدنيتها ودليلا صادقا على مبادئها الاسلامية التي أمدتها بكل مقومات الحياة الحرة الكريمة ·

وأهم ميزات الحضارة العربية الاسلامية :ـ

أولا : الاصالة :

لغة من أصل وهي أخذ الشيء بأصله · لذا فالاصالة ممتدة في حضارتنا ، وأول دعامتها في حضارتنا العربية الاسلامية الفهم الصحيح لعقيدتنا الحقة ومبادئنا السامية ، وقيمنا الخالدة ، لنحرره من أخلاط الثقافات المسمومة ورواسب الغزو الفكرى الدخيل ، وحتى يكون عطاؤه حقا خالصا ، وعلما نافعا ، وابداعا حضاريا في ركب الحق والعدالة والحرية ·

وتبدأ الاصالة " التأصيل " لحضارتنا ، بالفهم الصحيح لكتاب الله وسنة رسوله (ص) ، والاحاطة الشاملة بالاسلام عقيدة وعبادة وتشريعا وخلقا · (1)

ولا كتمال الاصالة في حياتنا يجب التفريق في علاقاتنا مع الغرب بين الاشياء والافكار ، والتمييز بين المظاهر والحقائق ، ووعي الغايات من خلال الوسائل والحذر من السقوط في أحضان الحضارة الغربية . فهذا مما يفقد الامة العربية أصالتها في الميدان الحضارى ·

---

(1) عمر عودة الخطيب : لمحات في الثقافة الاسلامية ، ص ١١١ ، ١١٢ ·

وتبدو الأصالة العربية واضحة المعالم فيما يلي :

١ - الانتاج العلمي للفكر العربي خلال العصور :

ايجاد نظريات جديدة في الرياضيات : الهندسة ، الجبر ، والمثلثات والفلك .

وتصحيح وابتكار في الطب : وبخاصة في الادوية ، وطرق العلاج ، وبناء المستشفيات ، وكليات الطب ، وتدوين المعاجم الطبية ، وكذلك الأمر بالنسبة للكيمياء والصيدلة والبيطرة والجراحة .

٢ - العلوم الانسانية :

ابتكر العرب المسلمون علوما لم يقتبسوها من غيرهم أملتها علومهم الشرعية كالفقه والحديث ، وعلوم القرآن وعلوم الكلام ، والتاريخ والجغرافيا ، فقد كان الاسلام السبب الأول في ايجادها .

أما العلوم اللسانية من أدب ونحو وصرف وبلاغة وتاريخ أدب وسِيَر للشعراء والكتاب،فقد ولد بالجزيرة ونما مع الاسلام ، فهذه علوم من خصائص العرب في الجاهلية والاسلام ، يضاف اليهم من نبغ فيهم ومن تحول العربية الذين دخلوا في الاسلام ودولوا بالعربية .

٣ - الفن العربي في العمارة ، وبناء المدن :

فقد تم بناء العديد من بناء المدن (الكوفة ، البصرة ، الفسطاط والقيروان ... الخ) والمساجد ، والقصور والجامعات ، مما يدل على مكانة عالية في فن العمارة والهندسة ، فالقصور الصحراوية في الاردن ، (المشتى ، هشام ، عمره) لايزال ينطق بعظمة وعراقة فنهم .

٤ ـ وضع النظم الاسلامية لدولتهم مدة حكمهم :

وهي تؤلف جوانب حضارية مهمة أهمها :

أ ـ **النظم الدينية** : وتهدف الى دعم فكرة التوحيد بالعبادة ، والدفاع عن العقيدة بالجهاد ، وتأسيس المساجد والمدارس ، ونشر القرآن وعلومة والسنه ·

ب ـ **النظم المالية والاقتصادية** : وترمي الى ايجاد موارد ثابتة للدولة للانفاق باستمرار على المشروعات الاجتماعية والعلمية والدينية والمصالح العامة كالضمان والمرض والجهل ، والجهاد في سبيل الله ·

جـ ـ **النظم الثقافية** : وتهدف الى نشر العلم ، وبث الفضيلة والاخلاق وانشاء دور العلم والمعاهد والمساجد،والعناية بأهل العلم بصرف النظر عن أديانهم ومذاهبهم ·

د ـ **النظم العسكرية** : والغرض منها توفير السلام ودفع أذى الحرب بايجاد قواعد للسلم والحرب واحترام الاسلام والمعاهدات والمواثيق ·

هـ ـ **النظم الادارية** : والهدف منها ادارة الدولة العربية والبلاد الاسلامية بواسطة الولاة والدواوين ، والمؤسسات الادارية المختلفة ، كالبريد والحسبة والشرطة ·

و ـ **النظم القضائية** : ويراد بها البحث في أحوال القضاء واستقلالهم عن الولاه ، واستحداث منصب قاضي القضاة في الدولة ·

ز ـ **النظم السياسية** : وهي قواعد الحكم في البلاد الاسلامية ، وتشمل نظام الخلافة ، وطريقة الانتخاب ، والوراثة ، والوزارة ، والحجابة ، والعلاقات الدبلوماسية بين العرب في حالة السلم والحرب مع غيرهم ·

ح - **النظم الاجتماعية :** وتظهر فيها القواعد العامة التي وضعها الاسلام للمحافظة على الافراد، ورفع مستواهم في المأكل والمشرب ، والعناية بهم صحيا وخلقيا وثقافيا .

٤ - **تكريم الاسلام للانسانية بانقاذه البشرية من الرق والعبودية والضلال وغرس الفضيلة والكرامة والعزة والكرامة في النفوس ، وبث الحرية والعدالة الاجتماعية والاخاء والمساواه بين الناس :**

قال تعالى : " ونزعنا مافي قلوبهم من غل اخوانا على سرر متقابلين " (١) .

وقوله تعالى : " ولاتجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ، ربنا انك رؤوف رحيم" (٢)

٥ - **التوازن في النظرة الشاملة الى الدنيا والدين :** ان من مقومات الحضارة العربية نظرية الاصولية الشمولية المتوازنة بين الدين والدنيا ، فقد نظر الاسلام الى المادة والروح أو العلم والدين على أنهما أمران متلازمان لايفترقان ، فجمع بين مطالب الدنيا والآخرة ، فدعا الانسان الى ان يعمل في الحياة الدنيا ويستفيد من طيباتها وخيراتها ، وأن يتزود فيها للآخرة من التقوى والعمل الصالح .(٣) قال تعالى :" ..... وتزوّدوا ، فان خير الزاد التقوى " (٤) .

وقال : " وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولاتنس نصيبك من الدنيا " (٥) .

---

(١) سورة الحجر : آيه ٤٧ .

(٢) سورة الحشر : آيه ١٠ .

(٣) ناجي معروف : أصالة الحضارة العربية : ص ١٦٣ - ١٦٧ .

(٤) سورة القصص : آيه ٧٧ .

(٥) سورة البقرة : آيه ١٩٧ .

ثانيا : الشمول :

وهو من طبيعة الحضارة العربية الاسلامية ومميزاتها ، وقد يكون هذا (أي الشمول) من مدنية العرب قبل الاسلام ، ومن جوهر عقيدة الاسلام ، ومن مقتبسات المسلمين من حضارات الأمم الأخرى ، وقد قام العرب بافراغ هذا المزيج في قالب خاص تمثلت فيه النزعة العلمية والميل الى البحث والاستقصاء ، وتمثل فيما بعد في الابتكار والابداع والتجديد لا التقليد والجمود .(١)

ولاشك أن الاسلام قد أوجد العلوم الشرعية كعلوم القرآن ، والحديث والفقه ، وعلم الخلاف ، وهو الفقه المقارن ، وهذه العلوم لم تسبقهم اليها أمة من قبل . فهم ابتدعوا الكثير في المجالات العلمية الأخرى : الطبيعية ، والطبية ، والرياضية ، والفلكية ، والكيميائية ، والفنون والآداب ، وأنتجوا بحوثا في العلوم الانسانية واللسانية تمتاز بطابعهم الخاص وعقليتهم الفذه ، وذهنيتهم الوقادة ، وكلها حضارة أصيلة ، وتم توجيهها لخدمة البشرية واسعادها ، وقد فاقت الحضارة العربية جمبع الحضارات التي سبقتها ، وأثرت في الشرق والغرب ، وأثرت في أوروبا علما ومعرفة وثقافة .

وقد عنيت الحضارة العربية بالانسان ، واعتبرته كائنا محترماً ، بل انه سيد الكائنات جميعها ، وأغلاها وأعظمها ، وأن مافي الكون من أجزاء وتفصيلات ومركبات مسخر أصلا للانسان لينتفع به وبمحتوياته فيما يحقق له الخير والراحة والسعادة . قال تعالى : " ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ

(١) ناجي معروف : أصالة الحضارة العربية ، ص ١٧٤ .

﴿بِأَمْرِهِۦ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾﴾ (١)

لقد رعت الحضارة العربية الانسان من المهد الى اللحد ، فوضعت القواعد لتربيته وتنشئة وتوجيهه ليكون عنصرا نافعا في الحياة ، وعنيت بتثقيفه وتعليمه مكارم الأخلاق في الكتاب والمسجد والمدرسة والجامعة ، وأشرفت على تأديبة وعلى تصرفاته في المجتمع حتى في المخاطبة ، والجلوس وأثناء تناول الطعام والشراب والملبس والمسكن ٠

والدولة ترعى وتتكفل المواطن ذكرا أم أنثى بحمايته ورعايته والمحافظة على روحه وماله وعرضه وحريته : وبذلك شملت الراعية النواحي الدينية والسلوكية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية الجنائية والمدنية والعسكرية والعلاقات الدولية والأنظمة المالية الى العناية بالروح والجسد والعقل والدفاع عن النفس والعقيدة الى ازالة الأذى عن الطريق والتوفيق بين الدنيا والأخرة ٠

وقد وفق فلاسفة المسلمين بين الدين والأخلاق من جهة والعلم من جهة أخرى ، وأعتبروا الدين والدولة متلازمان لا ينفصلان عن بعضهما ، وبذلك بلغت الحضارة العربية أعلى المراتب بتوحيدها بين الدين والدولة ، وتلك هي رسالة الاسلام ، وأول من فعل ذلك رسول الله (ص) ٠

ومن شمولية الحضارة العربية عنايتها وتهذيبها للعقل،فهي تنظر للعقل الأنساني أساس التفكير وعماد الحياة ومركز الكون ، فالفكر العربي في الحضارة العربية يمثل جميع من كتب ودوّن باللغة العربية وتكلمهم بها دون النظر الى لونه أو أصله،فالعربية كما يقول الرسول (ص) " ليست بأب ولا أم انما العربية اللسان " ٠ (٢)

(١) سورة ابراهيم ، آية ٣٢ ، ٣٣ ٠

(٢) ناجي معروف : أصالة الحضارة العربية ، ص ١٧٦ ٠

وشمولية الحضارة هي شمولية الاسلام الذى يتناول بتشريعاته وقوانينه الحياة بما فيها من عبادة ، وجهاد ، وأعمال بر لخدمة الانسانية ، وطلب علم وحث على العمل وسعي في طلب الرزق وما الى ذلك دون كلل ولا ملل ٠

ثالثا : - التسامح : -

التسامح في اللغة مصدر سامح اذا أبدى السماحة ، فهي صيغة التفاعل ، والمراد بها المبالغة في الفعل ، وأصل السماحة السهولة في المخالطة والمعاشرة وهي لين في الطبع[1] ٠ قال رسول الله (ص) : رحم الله رجلا سمحا اذا باع ، سمحا اذا اشترى ، سمحا اذا اقتضى "٠

والتسامح من أهم مميزات الحضارة العربية أنها تهدف الى احترام الانسان في العالم ، لان رسالة الاسلام التي بشّر بها الرسول (ص) وحملها العرب الى العالم كافة تتمثل فيها النزعة الأنسانية القائمة على التسامح ، وهي ثابتة بوضوح في الكتاب والسنة وأعمال الصحابة والخلفاء وأولي الأمر من المسلمين ٠

والتسامح وما يرافقه من النزعة الأنسانية ، لم يكن دخيلا على العرب والمسلمين وانما هو نزعة أصيلة في العرب ، ورسالة خاصة أوصاها اليهم القرآن الكريم ، وسنة الرسول (ص) ، وتمثل بها المسلمون الأوائل فأصبحت جزءا من مكوناتهم ، وبشروا بها في كل مكان ، وتأثرت بها الأمم ونهلت منها الشعوب الأخرى ٠

واذا تفحصنا القرآن الكريم سنجد كلمات كثيرة وألفاظ عديدة لا تخص العرب والمسلمين وحدهم بل هي عامة : بني أدم ، الناس ، العالمين الأنسان العباد ، ٠

(١) محمد الطاهر عاشور : أصول النظام الاجتماعي في الاسلام ، ص ٢٢٦

فالاسلام يساوي في المخاطبة : قال تعالى (﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ ﴾ (١)

وقوله تعالى :

﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ ﴾ (٢)

وقد جاء ذكر الانسان ومشتقاته في ٧٣ آيه ، وذكر الأنس في ١٨ آيه ، وذكر العالمين في ٧٣ آيه والخلق والعبادات في أكثر من ١٠٠ آية،وكلمة الناس ٢٤١ مره وهذا يوضح عن نظرة الاسلام الى الانسان دون النظر الى دينه أو لونه أو ثروته أو جنسه .

ويتجلى التسامح في حضارة الاسلام في تحديد الاسلام عقوبة الاعدام للانسان بجريمة واحدة هي جريمة القتل العمد ، وقد جعل القرآن لولي المقتول حق التسامح أو عدمه ، ولكن على ألا يسرف في القتل .

ويظهر سمو الحضارة العربية وعنايتها في التشريعات الرائعة : فيسمح الاسلام للمسلم زيارة قبر حمية المشرك (٣)، والصلاة على ما وجد من المسلم ولو انه ظفر أو شعر ، ويغسل ويكفن ، وان وجد عضوا آخر ، غسل وكفن ودفن ثانية .(٤)

وتسامح الاسلام بالصلاة على كل مسلم برا أو فاجرا ، مقتول في حد أو في بغي ، وحتى على المبتدع ما لم يبلغ الكفر ، وعلى من قتل نفسه ، أو غيره ، فطالما يقول " لا اله الا الله ، فهو في أشد الحاجة الى الصلاة

(١) الاعراف : آيه : ٢٦
(٢) سورة الاعراف : آيه : ٣١
(٣) ابن حزم : المحلى ، جـ ، ص ١٥٩ - ١٦٠
(٤) ابن حزم : المحلى ، جـ ، باب الجنائز

والدعاء[1]

وهل هناك أكثر تسامحا وحنانا ورحمة وحبا من قول النبي (ص) " " الخلق كلهم عيال الله ، فأحبهم اليه ، أنفعهم لعياله " .

ومن أقوال النبي (ص) : " أفضل الصدقة اصلاح ذات البين " ورأس العقل بعد الدين ، التودد الى الناس ، واصطناع المعروف الى كل بار وفاجر " و : " أفضل الفضائل أن تصل من قطعك ، وتعطي من حرمك وتصفح عمن ظلمك " و " بر الوالدين أفضل من الصلاة والصدقة والصوم ، والحج والعمرة والجهاد في سبيل " .

و " بر أمك وأباك واختاك وأخاك ثم أدناك فأدناك " وقال رجل من بني سلمة : " يا رسول الله هل بقي عليّ من برّ أبويّ شيء أبرهما بعد وفاتهما قال : " نعم الصلاة عليهما والاستغفار لهما ، وأنفاذ عهدهما ، واكرام صديقهما ، وصلة الرحم التي لا توصل الا بهما .[2]

فهل هناك تسامح أكثر مما قدّمته الحضارة العربية الاسلامية الى الشعوب كافة ومما أوجدته من مبادىء وقيم سلوكية عامة ، فقد رسخت نزعة التسامح وأقامتها على أسس ثابتة من الايمان الصحيح والاستقامة ، مما جعلت الأمم التي خضعت لحكمهم ، تندمج في حضارتهم ، وترضى به ، على الرغم مما حاوله الشعوبيون من تجريدهم من كل فضل على البشرية ، وبث المبادىء العربية والافكار الهدامة التي تهدم أسس هذه الحضارة العربية ، وتعمل على التفريق بين العرب وغيرهم من المسلمين كما تعمل على افساد التعاليم الاسلامية وتجريدها من قيمها الروحية والأخلاقية .

---

(1) المصدر نفسه : ص ١٦٩ - ١٧١ .

(2) راجع الغزالي : احياء علوم الدين ، جـ٢ ، ص ١٩٦، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢١٦ ، ٢١٧ .

رابعا : الوحدانية : الاسلام ، العروبة

عزة العروبة بالاسلام ، وعزة الاسلام بالعرب

بعد أن أسلم العرب ، اعتز العرب باسلامهم ، فأصبح الاسلام المبدأ الشامل للعرب والرسالة العظمى لهم التي نشرها بلسان عربي مبين ، وقد مكّن الاسلام العرب من فرض احترامهم على العالم ، وغدا الاسلام هو الحرية والاخاء والمساواة والمثل السامية ،التي بشرّ بها العرب المسلمون لانقاذ البشرية من الضلال والعبودية،وتطهير الانسان من ادران عبادة الاشخاص والاجرام السماوية ومظاهر الطبيعة .. ورفعه الى الدرجة التي تليق بالانسان أن يتبوأها كانسان عاقل مفكر .

والعرب والاسلام توآمان ، لذلك لا غرابة اذا وجدنا عدم التفريق بينهما ، لان الدور الأساسي في الحضارة العربية كان للعرب ، أما الشعوب الاسلامية التي دخلت في الاسلام فلم يكن لأكثرها حضارة ، والبعض الآخر انهارت حضارتها أمام حضارة العرب كالحضارة الفرعونية والعراقية والفارسية ، والاغريقية وغيرها ، وغدت حضارتها أطلالاً دارسة لا يعنى بها سوى علماء الآثار والمنقبين ، وأصبحت أديانها ولغاتها وفنونها ذكريات تاريخية ، بينما الأمة العربية لا تزال حية ، ولها مكانتها على الرغم من تفرقها في الاقطار العربية .

والحضارة العربية لا تزال قائمة لأنها تعتمد على الاسلام ، وتستند الى لغة القرآن ، اللغة العربية ، التي اليها يرجع الفضل الأكبر في وحدة الأقطار العربية كافة ، والعرب أنفسهم ، ووحدة ثقافتهم .

والحضارة العربية تعتمد على العرب الذين أخذوا يسعون لاسترداد أمجاد الاسلام القديمة ، ومكانته بين الأمم ، واذا أضفنا وحدة الدين والدنيا

في الحضارة العربية ، وصبغ وكسا التشريعات الدنيوية ثوبا دينيا من اقتصاد وثقافة وفنون وتربية ، نجد ان الأمة العربية تأخذ طريقها نحو المجد .

وعاش العربي في عزة ومنعة بين قبيلته وفي مجتمعه قبل الاسلام ولما جاء الاسلام أعز اتباعه ، وجعل للمسلم حرمة وكرامة لم تكن لهم من قبل ، فقد غير الله ما شاء من أحوالهم ورفع من شاء منهم بعد الذلة التي أصابتهم على أيدي الساسانيين والفرس والبيزنطيين في فترات سبقت الاسلام . وأعزّ الله العرب المسلمين فقلب الموازين ، فجعلهم سادة في الفرس وبيزنطة .

وقد عرف الرسول (ص) عزّة العرب وأنفتهم ، فكان لا يولّي - بوجه عام - اماما على قبيلة عربية الاّ منها لنفور طباع العرب من يتقدم على القبيلة أحد من غير أهلها . وسار على هذا النهج الخلفاء والولاة بعد الرسول (ص) ، في المحافظة على كرامة العربي المسلم وحرمته ، لان عزة الفرد من عزة الأمة .

فالحضارة العربية في الاسلام تمثل عزّة السلطان ، وعزّة العقيدة وعزّة الأمة ولعل من صور العزة :

ماكتبه أبو بكر الى الأمراء الأجناد الذين أرسلهم لمحاربة المرتدين : ان يرفقوا بهم في السير والمنزل ويتفقدوهم ، ويستوصوا بهم في حسن الصحبة ولين القول .

وقد بذل عمر بن الخطاب جهده لتكون للعرب حرمة وكرامة،فكان يخاطب الناس : أيها الناس ، اني لم أبعث عمالي عليكم لتصيبوا من أبشاركم[1]

(١) الابشار : البشرة : وهي ظاهرة جلد الانسان .

ولا من أموالكم ، وانما بعثتهم ليحجزوا بينكم ، وليقسموا فيئكم ، فمن فعل به غير ذلك فليقم " ثم يعود فيؤدب الرجال لئلا يداخلهم غرور فيذلوا الأمة • وكان يقول لعماله : " انما استعملتكم عليهم لتقيموا بهم الصلاة ، وتقضوا بينهم بالحق وتقسموا بينهم بالعدل ، ولا تجلدوا العرب فتذلوهم ، ولا تجمروها[1] فتفتنوها • وكتب عمر الى أبي موسى الأشعري : " عد مرضى المسلمين ، واشهد جنائزهم ، وافتح لهم بابك ، وباشر أمورهم بنفسك ، فانما أنت رجل مثلهم غير أن الله جعلك أثقلهم حملا •

وقد وعى الولاة توجيهات الخلفاء ، فاعتنوا باخوانهم من العرب واعتزوا بهم ، وكانوا لا يفرطون في أحد منهم •

خامسا : التفاعل الحضاري بين التراث العربي والتراث الانساني وبين النزعة العلمية والعقلية :-

ويتم ذلك باستيعاب الحضارات مع حضارة الأمة الأصيلة وتقديم الحضارة الجديدة بثوب جديد فيه الأصالة المتفاعلة مع الحضارات السابقة •

ويتم ذلك على مراحل :-

١ - وعي الحضارة الأصيلة بعمق •

٢ - نقل وترجمة حضارات الأمم الأخرى •

٣- قبول ما يتناسب مع الحضارة الأصيلة

٤ - شرح وتعليق على الحضارات السابقة •

٥- مزج الحضارات والخروج بحضارة واحدة جديدة •

عرف العرب قبل الاسلام شيئا ، من النقل ، فقد كانت وفود العرب تفد الى بلاد فارس والي بلاد الشام ، فتنقل مما ترى ولو شفوى على الأقل •

(١) تجمروها : تؤخروها في دار الحرب •

وقد اجتاح الأسكندر بلادنا (٣٣٣ - ٣٢٣ ق٠م) انتشرت الثقافة الهيلينية في بلاد الشام ومصر والعراق وفارس ، ونشأت المدارس الفلسفية في فارس : في جنديسابور للطب حيث تعلم فيها الحارث بن كلدة ، وابنه النضر ٠ واهتم السريان بالمنطق وعلم النفس وعلم ما وراء الطبيعة ، فنقلوا كتب أرسطوا ، ونقل الشروح عليها ٠ والغالب أن نقول السريان لم تكن سوى ملخصات لكتب فلاسفة اليونان والشروح لتلك الكتب في الأكثر، كما أن النقل لم يكن يخلو من الأخطاء والحذف والتبديل في المعاني[1].

ولعل بواعث النقل للغة العربية كثيرة أهمها :

١ - احتكاك العرب بغيرهم من الأمم ، فقد أدرك العرب أهمية ثقافة الأمم وضرورة الافادة منها ٠

٢ - حاجة العرب الى علوم ليست عندهم ، فقد جاء الاسلام بفرائض الصيام والصلاة والحج وهذه تحتاج الى حساب وتقويم مما دعا المسلمون الى نقل كتب الرياضيات والفلك خاصة ، ثم احتاجوا الى الطب في أول أمرهم ، لان الطب العربي كان مبنيا على الاختبار وحده العلم والاختبار معا ، وكان يصيب أحيانا ، الا ان المعالجة به لم تكن دائما ذات نتائج سريعة ٠

٣ - حث القران الكريم على التفكير : فهناك العديد من الأيات التي تحث على التفكير في خلق السموات والأرض وفي تركيب جسم الانسان ، هذا بالاضافة الى رغبة الانسان الطبيعية في البحث عن المجهول.

ان حث القرآن للمسلمين على التفكير كان باعثا قويا على طلب العلم ، وأحد أساليبه هو النقل ٠

---

(١) عمر فروخ : تاريخ العلوم عند العرب ، ص ١١١ - ١١٢

٤ - العلم من توابع ازدهار المدنية ، فعندما تزدهر البلاد سياسيا واقتصاديا ويكثر فيها الترف تتجه النفوس الى البحث العلمي والى التفكير ، ولم يشذ العرب عن الأمم ، فعندما اتسعت دولتهم واستقرت ، شعروا بحاجتهم الى ما عند الأمم من العلوم ، فنقلت كتب الفلسفة الى اللغة العربية ٠

وقد بدأ النقل منذ العصر الأموي،فهم يذكرون أن خالد بن يزيد بن معاوية(المتوفي سنة ٨ هـ/٧٠٤م) ، لما يئس من الخلافة انقلب الى العلم ودرس الكيمياء على يد راهب اسكندراني اسمه مريانوس[(١)] وترجم عبد الله بن المقفع (ت ١٤٢ هـ - ٧٢٩ م) كتاب السلوك من الفارسية الى العربية في عهد أبي جعفر المنصور ٠ ومنذ هذا العهد أصبح النقل في رعاية الدولة ، وعلى ذلك سار هارون الرشيد وولده المأمون فاتسعت حركة النقل [(٢)].

نقل العرب كتاب بطليموس الفلكي المعروف باسم المجسطي ، ثم حققوه ونفذوه ، وترجموا كتاب اقليدس الهندسي " الأصول " ونال عناية العرب تحقيقا وتحريرا ونقدا ، وحلا لمسائله وتمريناته ، وكذلك كتاب جالينوس في الطب الذى كان مرجعا للعلماء العرب ينهلون منه [(٣)].

هكذا نقل العرب أسس علمهم عن الشعوب التي سبقتهم ، فنقلوا التراث الاغريقي الى اللغة العربية ثم أضافوا اليه وزادوا عليه ، وتميزت كتابتهم بالسهولة والوضوح والاحاطة والشمول الى جانب ابتكاراتهم العلمية

(١) عمر فروخ : تاريخ الفكر العربي ، ص ، ٢٧١

(٢) المرجع نفسه ، ص ، ٢٧٢

(٣) عبد الحليم منتصر : تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدمة ١١

لقد امتزج علم التأصيل عند العرب مع العلوم الحديثة التي ترجمها العرب ، وبفضل العقلية التي تميز بهم العرب فقد قدّموا تراثا كبيرا في سجل الحضارة الانسانية .

فقد نقل العرب نظام الترقيم الى أوروبا والخوارزمي أول من استعمل الأرقام الهندية في مؤلفاته ، وهو أول من ألف في علم الجبر وهو واضع هذا العلم الى جانب علم الحساب ، وقد توصل العرب الى حل معادلات من الدرجة الثالثة ووضعوا أسس الهندسة التحليلية ومهدوا لاكتشاف اللوغاريمتات والتفاضل والتكامل وعرفوا المتواليات العددية والهندسية ولهم بحوث في النسبة العددية والهندسية والتأليفية [1].

والعرب بفضل التفاعل العلمي توصلوا ووضعوا أزياجا وعملوا أرصادا وأقاموا المراصد وسجلوا ارصدات ، وعرفوا محيط الأرض ، وقدروا أبعاد النجوم ، والكواكب ، وقالوا باستدارة الأرض وحسبوا طول السنة الشمسية ورصدوا الاعتداليين وكتبوا عن البقع الشمسية وعن الكسوف والخسوف ، ووضعوا أسماء كثير من الكواكب والكوكبات .

وأضاف علماء العرب في الطب والتشريح والكيمياء والمعادن والحيوان المئات من الاراء النظريات :

فقد قالوا بالتطور قبل دارون ، وفي الجاذبية قبل نيوتن ، وفي انكسار الضوء (الحسن بن الهيثم) قبل ديكارت ، وفي الدورة الدموية (ابن النفيس) قبل هارفي .

وقال العرب بمنهج البحث العلمي القائم على التجربة ثم المشاهدة ثم الاختبار ثم النتيجة وهذا ما قال به بيكون [2].

(١) انظر قدرى طوقان : تراث العرب العلمي (في الرياضيات)

(٢) عبد الحليم منتصر : تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدمه ،ص١٥ -١٧ .

وهكذا مهد التفاعل الطريق الى التقدم الحضاري العربي بحيث أصبحت الحضارة العربية المثال والملاذ الذي يحتذى به ، وكانت اللغة العربية هي لغة العلم في العصور الوسطى .

سادسا : الحيوية : -

والحضارة العربية قوية حيويتها ، عربية في بيئتها ولغتها ودينها وعقليتها وطراز تفكيرها وفي كثير من عناصرها ومبتكراتها ، والدور الرئيسي كان للعرب باعتبارهم أبدعوا في العلوم والآداب ، وابتكروا ألوانا من المكتشفات العلمية القيمة في العلوم الرياضية والطبيعية ، وضروبا من النظم الاقتصادية والمالية والسياسية .

وتناولت حيوية الحضارة العربية البحث حتى الأمور النفسية والجنسية منها ، والغرض من ذلك ، التسامي بالانسان والارتفاع به الى أعلى درجات التقدم والرقي ، وان هذه الحضارة قد أثرت بالتالي في المدنية العالمية ، وفي نقل تراث الآمم القديمه ، وكان لها أثر فاعل في الشرق العربي ، كما كانت من عوامل النهضة الأوروبية الحديثة ، فالنهضة الأوربية مدينة الى العرب كما يقول غوستاف لوبون .

وقد وردت آيات كثيرة في القرآن الكريم ، أعطت الاسلام صفة الحيوية المستمرة . قال تعالى :

﴿ قُلْ إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١)

وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٢)

(١) سورة آل عمران آية ٢٩ .
(٢) سورة لقمان ، آية ٢٧ .

ويستنكر الله جل جلاله في القرآن الكريم خلود الانسان الى الحياة الدنيا والاطمئنان اليها ونسوا الحياة الآخرى، فلهم النار : قال تعالى

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ (١)

ويرى البعض في عقيد القضاء والقدر أنها تمثل الكسل والتواكل باعتبار أن المسلم يتطلع دوما لما يأتي به الغيب ، والمراد بما في القرآن أن كل شيء يجري بحسبان وعلى سنن ونواميس كونية معلومة ، وأنظمة محكمة ، وهي في غاية الحيوية لانها تحث الناس على معرفتها لان الناس غير مجبرين على اتباع طريق بعينه كا يتبين ذلك من الآيات الآتية :

قال تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴾ (٢)

وقال تعالى :

﴿ ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴾ (٣)

وقال تعالى : ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾ (٤)

وبعد أن بانت السبل للناس بعد توضيحها من قبل الرسل ، فالانسان هو صاحب الخيار في الاختيار أحد الطريقين ، ويختار أحد السبيلين ، فهو يعمل بمشيئته واختياره وارادته ، قال تعالى :

﴿ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ (٥)

---

(١) سورة يونس : آيه ٧ ، ٨

(٢) المؤمنون : آيه ، ١٨

(٣) سورة الرعد : آيه ، ٨

(٤) سورة الفرقان آيه ٢

(٥) سورة الانسان آيه ٣

وقال تعالى : ﴿ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَن كَثِيرٍ ﴾ (١)

وقال تعالى : ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ (٢)

وبناء على ما تقدم ، فالقدر في الاسلام يدل على الحيوية التي تنبض بها الحضارة العربية الاسلامية ، فهو يخلق في الانسان الشجاعة وعدم الخوف من الموت أو المرض أو الفقر ويدفع بالانسان ليعمل بقوة وشجاعة وينظر الى الحياة نظرة المتفائل المطمئن (٣)

---

(١) سورة الشورى : آيه ٣٠

(٢) سورة فصلت : آيه ، ٤٦

(٣) ناجي معروف : أصالة الحضارة العربية ، ص ، ١٦٨ - ١٧٣ ٠

الباب التاسع

أثر الحضارة العربية الاسلامية على حضارة الغرب

- مراكز انتقال الحضارة
- صقليه
الأندلس
التجارة
البعثات العلمية

مراكز انتقال الحضارة العربية الاسلامية الى الغرب

انتقلت الحضارة العربية الاسلامية الى الغرب بأساليب وطرق كثيرة ، لكن هناك مراكز اشعاع حضارية تفاعلت فيها الحضارة ومنها انتقلت الى أوروبا حيث كانت صاحبة دور فاعل في تقبل وتأسيس حضارة غربية وأهم هذه المراكز :

أولا : صقلية :-

نزل حبيب بن أبي عبيدة ، حفيد عقبة فاتح افريقية سنة ١٢٢ هـ أرض صقلية ومعه أبنه عبد الرحمن وفي نيته فتح الجزيرة كلها ، غير أن قيام ميسرة السقاء بثورة في أفريقيا اضطرة الى العودة وأحبط سعية فحوّلت جهودهم عن صقلية ، مما أدى الى تنبيه الروم لمكانة الجزيرة وجعلها قاعدة حصينة .(١)

واستعان أحد أهالي صقلية وأسمه فيمي ببني الأغلب ، وكان قد ثار على قسطنطين بطريق صقلية ، ولكن كيف لوالي افريقيا زيادة الله أن ينقض الصلح مع الجزيرة ؟ فجمع وجوه أهل القيروان وفيهم أسد بن الفرات وسحنون الفقيه ولم يجد مخرجا الاّ عندما علم بأن لديهم أسرى من المسلمين وهذا مخالف للصلح ، فجهز اسطولا قوامه مائة مركب بقيادة أسد بن الفرات وأقلع من سوسة في شهر ربيع الأول سنة ٢١٢ هـ ، وتتفق المصادر بأن الجيش كان مكوّنا من أشراف العرب والجند وأهل العلم والبصائر (٢)، ولم يرتح أسد لاشتراك فيمي وأصحابه معه في القتال فأمرهم أن يعتزلوا المسلمين (٣).

وتمكنت الحملة من الاستيلاء على عدة حصون ، لكن الوباء تفشى بين المسلمين

(١) ابن الأثير : الكامل جـ٥، ص ٨٩ .
(٢) ابن عذارى : البيان المغرب في تاريخ أخبار الاندلس والمغرب . ص ٣٥٥
(٣) ابن الأثير : الكامل جـ ٦ ، ص ١٣٧

ولما رأى المسلمون شدة الوباء رحلوا الى بلادهم .

ان فتح صقلية كان عنادا مستمدا من القوة النفسية التي خرج معها أسد فاتحا أكثر من كونه سعيا وراء غنيمة أوكسب [1] ، ولما أصبح في مقدور زيادة الله أن يمدهم بالجند فتحوا بلرم سنة ٢١٦هـ ، وقد فتحت الجزيرة وبقيت المنطقة الشرقية غير معترفة تماما لسلطان المسلمين الى آخر أيامهم (سنة ٣٥١هـ) في الجزيرة ووجهوا همهم الى الفتح في جنوب ايطاليا والى صد الروم عن الحاح محاولتهم للاستيلاء على الجزيرة .

وعندما فتحت صقلية الاسلامية،عين أسد بن الفرات واليا وقاضيا ، ثم أصبح الوالي والقاضي شخصيتين متمايزتين ، والمعتقد أن الصبغة الادارية في الجماعة كانت تزاول مهمتها ، فكثيرا ماكان الجيش ينتخب الوالي دون ان ينتظر مجيء وال جديد من افريقيا . [2]

وكانت الوظائف الحكومية ينهض بها أصحابها ، فللقضاء كتبة ودار خاصة في بلرم منذ عهد مبكر ، وهناك الدواوين المتعددة ، (ديوان الخمس والصناعة ، والخاصة ، والانشاء) .

وأهل هذه الدواوين ديوان الانشاء الذى كان لايتولاه الا أجل الكتاب ملائمة وعلاقته بالوالي متينة ومن أصحابه في صقلية : ابن الطوبي ، وابن الوداني وغيرهما . [3]

والفتح العربي خط قوى عميق يكاد يفصل بين صقلية في كل ماعرفت من حضارات وبين صقلية الاسلامية ، لانه الحركة الخارجية التي استطاعت ان تقر النظم الاجتماعية وتبسط على الجزيرة قيما جديدة ودينا جديدا ، وكان لهذا أثره في الهيئة الاجتماعية الاصلية في الثقافة وفي الحياة العمرانية . [4]

(١) احسان عباس : العرب في صقلية ، ص ٣٥

(٢) المرجع نفسه : ص ٥٠

(٣) المقريزى : المواعظ والاعتبار ، جـ٢ ، ص ٢٤٢ .

(٤) احسان عباس : العرب في صقلية : ص ٦١ .

وقد قام علماء صقلية فانتجوا انتاجا منوعا بالفقه والحديث واللغة والطب والهندسة والنجوم قد تأخر الى أواخر القرن الرابع وأوائل الخامس ووجدنا النبات العلمي قد نما في صقلية وأثمر في الخارج .

ومن أهم الشخصيات العلمية في صقلية في زمن ابن حوقل (٣٦٥-٣٩٥هـ) ابن أبي خرسان في النحو والقراءات ، وعلي بن حمزة في اللغة والشعر ، والبرادعي في الفقه المالكي ، ومحمد بن الحسين المروزي (٢٩٣هـ) (وفي القرن الرابع أبوعبدالله محمد عيسى بن مطر والسمنطاري . [1]

وفي العهد النورماني مضت صقلية تستورد الكتب من الخارج فاستحضرت الكتب الجغرافية المؤلفة بالعربية أوالمترجمة مثل كتاب العجائب للمسعودى وكتاب الجيهاني وابن خرداذبة ، والعذرى واليعقوبي ، وابن المنجم وغيرهم وترجمت هذه الكتب في عهد الملك غليالم الاول .

ويعود الفضل في هذه النهضة العلمية الى التشجيع الذى كان يقوم به الملك ورجاله نحو العلماء ، فكانوا يغدقون الاموال ويكتنفونهم بالاحترام ويرفعون مراكزهم الاجتماعية في الوظائف والالقاب لاغرائهم بالقدوم الى صقلية ويرى الصفدى أن الملك روجر كان محبا لاهل العلوم الفلسفية [2] وان الادريسي كان يجيء اليه راكبا بغله فاذا صار عنده تنحى له عن مجلسه فيجلسان معا . [3] وكذلك كان ابنه غليالم الاول وابنه غليالم الثاني فقد وصفه ابن جبير - " وله الاطباء والمنجمون وهو كثير الاعتناء بهم ، شديد الحرص عليهم ، حتى أنه متى ذكر ان طبيبا أومنجما اجتاز ببلده ، أمر بامساكه ، وأدر له أرزاق معيشته حتى يسلبه وطنه " [4] .

---

(١) ابن عذارى : البيان المغرب : ص ٢٦٤
ابن حوقل : صورة الارض : جـ١ ، ص ١٢٧

(٢) الصفدى : الوافي بالوفيات : جـ٤ ، ص ٦٥٧

(٣) المصدر نفسه : ص ٦٥٨

(٤) ابن جبير : رحلة ابن جبير ، ص ٣٢٥ .

وفي عهد غليالم الثاني ازدهرت حركة الترجمة الى اللغة اللاتينية من العربية واليونانية ، وقد ترجم الامير يوجيين البلرمي من العربية فترجم كليلة ودمنة ، مما يدل على سعة اطلاعه ٠

وقد كان نصيب العلماء والمسلمين في الحركة العلمية كبيرا ، فقد ساهم الشريف الادريسي كرئيس للدائرة الجغرافية في بلرم ، وقام برسم صورة الارض في دائرة من الفضة ووضع أقسام الاقاليم عليها ، وألف كتابة " نزهة المشتاق في اختراق الآفاق " ٠

والملك غليلم الاول ألف كتابا آخر سماه " روض الانس ونزهة النفس[1] " وشارك الشريف في علوم أخرى كعلم النبات وله كتاب " الجامع لاشتات النبات " ٠

ومن العلماء المسلمين الذين اشتهروا في صقلية : محمد بن عيسى بن عبدالمنعم من أصحاب العلم بعلمي الهندسة والنجوم ، وهو مذكور ومشهور ويعتبر من الحكماء في هذين العلمين ٠ [2]

وتناولت الحركة العلمية ظاهرتين :

١ ـ قيام الحركة العلمية على التجربة والمشاهدة في بعض الاحيان كما هو الحال في الجغرافية التي قامت على المشاهدة والمعاينة فزاروا البلاد وقاموا بالتقصي والاستيعاب وأثبت ذلك الادريسي ٠

٢ ـ **الظاهرة الثانية :**

الاستفادة من الحركة العلمية في الحياة العلمية كما هو الحال في الهندسة المعمارية وعمل الآلات ، وبخاصة في صنع آلات الحصار كالمجانيق وآلات الرصد ، وساعة تعرف بها أوقات ساعات النهار عن طريق رمي بنادق

---

(١) القفطي : أخبار الحكماء ، ص ١٨٩ ٠

(٢) القفطي : أخبار الحكماء ، ص ١٨٩ ٠

على الصناج . [1]

هذه الحركة العلمية سواء في التشجيع عليها ، والتهيئة لاسبابها أدت القيام على الترجمة من ناحية أو المشاهدة أدت الى قيام حركة نهضة علمية.

ولايزال أثر العرب موجودا في صقلية واللغة الايطالية ، فقد بقي الكثير من عاداتهم حتى اليوم ، وتركوا ألفاظا كثيرة تحمل أسماء عربية ولاسيما أسماء القلاع والمراسي والشوارع ، وتبدأ أسماء القلاع (فلتا) أي قلعة ، ومنها ماأصبح أسماء مدن مثل قلعة النساء ، قلعة الحسن ، وقلعة البلوط وكذلك كلمة مرسى ، ورأس ....

وكان تأثير العرب واضحا في جزيرة صقلية بعلمهم أكثر من مبانيهم فهناك كلمات عربية تفوق الحصر دخلت اللغة الايطالية في مظاهر الحياة المختلفة وبخاصة في لغة العلم حتى اضطرت جنوة سنة ١٢٠٧ أن تؤسس مدرسة لتعليم اللغة العربية . [2]

وكانت صقلية أزهر الممالك الاوروبية في الزمن الذى كان يرعى فيه جانب العربي والرومي ، ويؤخذ بأيديهما ، وقد بقيت اللغة العربية شائعة في الجزيرة الى أواخر القرن التاسع للهجرة ، حتى ان نصارهم استخدموها لغة التخاطب والكتابة بعد خروج العرب بمدة طويلة ، وأرخوا بالتاريخ الهجرى . [3] فلاعجب اذا وجدنا أن سياسة روجر الثاني (١٠٣٠-١١٥٤م) - سياسة سلمية نحو المسلمين ، بدليل تبادل الخطابات مع الخليفة الحافظ الفاطمي (٥٢٤ . ٥٤٤هـ) (١١٣٠ - ١١٤٩م) ، فقد كان النورمان يتذوقون الحضارة الاسلامية ، ويتوجون أنفسهم بعبارة : لا اله الا الله ، ويتخذون علامة

---

(١) القزويني : آثار البلاد ، ص ٣٧٣ .

(٢) محمد كرد علي : الاسلام والحضارة العربية ، جا ، ص٢٨٧ .

(٣) محمد كرد علي : المرجع نفسه ، ص ٢٩١ .

ملوك الاسلام " الحمد لله حق حمده " ويلبسون العمائم مثل العرب ، ويسلكون في قصورهم طريق ملوك المسلمين [1] ، وكان بلاطهم يعج بالعلماء المسلمين ومن هنا تم نقل علوم ومعارف المسلمين الى الايطالية الدارجة التي كانت قد بدأت في الظهور [2] ، مما كان له أعظم الأثر في نقل الحضارة العربية وبذلك تكون صقلية تمثل مصيرا حضاريا ذو أهمية بالغة وفعاله في نقل تراث المسلمين الى دول غرب أوروبا [3] .

ثانيا : الاندلس .

فتح العرب المسلمون أسبانيا (٩٢هـ / ٧١١م) ، ولم يكد يتموا فتحها حتى بدأوا يقومون برسالة الحضارة فيها فاستطاعوا أن يحيوا الارض الميتة ويعمروا خراب المدن ، ويقيموا أفخم المباني ، ويوطدوا وثيق الصلات التجارية بين الامم ، ثم شرعوا يتفرغون لدراسة العلوم والآداب ، ويترجمون كتب اليونان واللاتين وينشئون الجامعات التي ظلت زمنا طويلا مركز الاشعاع الثقافي في أوروبا .

وقد بدأت حضارة الاسلام في الاندلس تنهض مع عبدالرحمن الداخل الذى أعلن الخلافة في الاندلس سنة ٧٥٦ م . فغدت قرطبة في عهده أرقى مدن أوروبا ولمدة ثلاثة قرون .

وما أن استقر في الاندلس حتى أخذ يسعى لجعل أسبانيا وطنا حقيقيا له وللعرب ، فأنشأ جامع قرطبة الذى يعتبر من عجائب الدنيا ، وأخذ ينفق من بيت المال ويصلح البلاد ويتفنن في توطيد الأمن ونشر الاسلام ، ووقف

(١) ابن جبير : رحلته ، ص ٣١٥

(٢) عبدالمنعم ماجد : تاريخ الحضارة الاسلامية ، ص ٢٨٠ ـ ٢٨١ .

(٣) عبدالفتاح الغنيمي : الاسلام والثقافة العربية في أوروبا ، ص ٢٠٣ .

العدوان ، وسار خلفاؤه من بعده على سنته ٠

وقامت الحضارة العربية الاسلامية في بادىء الامر في توجه العرب الى الفنون والآداب والعلوم ، مما دعاهم لانشاء المدارس والمكتبات والمختبرات وثم انتقلوا لمرحلة الترجمة ، فأخذوا يترجمون كتب اليونان ، فدرسوا العلوم الرياضية والفلكية والطبيعية والكيماوية والطبية ٠ (١)

ونشط العرب في الاندلس في الصناعة والتجارة ، فصنعوا الاسلحة والمنسوجات والجلود ، واستخرجوا المعادن ، وصدروها الى أوروبا وأفريقيا وزرع العرب قصب السكر والتوت والارز ، والقطن والموز ، وأصبحت أسبانيا جنة واسعة بفضل أساليب العرب الزراعية وبراعتهم في أعمال الـــري وأكثروا من انشاء الطرق والجسور والفنادق والمشافي والمساجد في كل مكان.

وأصبحت عاصمة الخلافة دارا للعلوم والفنون والصناعة والتجارة وكانت مكانة الحياة الثقافية والاجتماعية مستمدة من قوة الدولة التي أنشأت المحاكم للمحافظة على الأمن وحقوق الرعية ، والجيش للمحافظة على الثغور من هجوم الأعداء ٠

وبذلك تمكن العرب المسلمون من تحويل أسبانيا ماديا وثقافيا وان يجعلوها على رأس أوروبا ، فقد قدموا لأوروبا الى جانب ماتقدم التسامح والحلم ، وهل هناك أكثر من أن يسمحوا للاساقفة بعقد المؤتمرات الدينية كمؤتمر أشبيلية النصراني الذى عقد سنة ٧٨٢ م ومؤتمر قرطبة ٠

ومن صفات العرب الفروسية ، وكان الفارس العربي يرحم الضعيف ويترفق بالمغلوب ، ويساعد المحتاج ، وهذه من جوهر الدين الاسلامي وكانت تؤثر في نفوس الناس تأثيرا عميقا (٢)

---

(١) عز الدين فراج : فضل علماء المسلمين ، ص ١٥٣ ٠

(٢) المرجع نفسه : ص ١٥٥ ٠

وقد تشبع سكان الاندلس بالحضارة العربية ، بحيث أنهم هجروا لغتهم ليتكلموا اللغة العربية ، وأخذوا لغة العرب وملابسهم واندرجوا في غمارهم بدور هام في نقل الحضارة الاسلامية عن طريق الترجمة أو الانتقال الى بلاطات النصارى الأوروبيين كما كان النابهون من الاوروبيين يأتون الى مراكز الحضارة الاسلامية في الاندلس ، للدراسة ونقل علوم المسلمين الى الاسبانية ٠ (١)

وهكذا يتبين لنا أن الاسبان عرفوا ما للمسلمين من نظم سياسية ودينية وثقافية ، فتعلموا في الجامعات العربية ، وتتلمذوا في المكتبات الغنية بكافة أنواع المعرفة ، ولما تم التهجير والتنصير القصرى لمسلمي الاندلس بدأت مظاهر الترجمة تظهر في أسبانيا ، فقد ظهرت في طليطلة مدرسة المترجمين (٢) التي قامت بنقل العلوم الاغريقية بالاضافة الى الشروح وتعليقات العرب ٠

وأهم الترجمات كانت مؤلفات ابن سينا ، (النفس) و (الطبيعة) وآثار الغزالي (مقاصد الفلسفة) وكتب الخوارزمي ، ومن أشهر المترجمين الاسقف دومينيكوس غوند الطليطلي وقام غيره بترجمة فلسفة الكندى وابن رشيد ٠ وقد بلغ الاهتمام بنقل آثار العرب (٣) وفي عهد الفونسو العاشر أنهم ترجموا كتب الحكم والالغار وذاعت بينهم ترجمات في الحكمة والقصص مثل السندباد وألف ليلة وليلة (٤) .

فمنها تم تقديم خلاصة الفكر الاسلامي في العلوم والفنون والآداب والفلسفة ، فضلا عن تعرفهم بالكثير من تراث الاغريق ، فأخذت تنهل

(١) عبدالمنعم ماجد : تاريخ الحضارة الاسلامية : ص ٢٧٩ ٠

(٢) غوستاف لوبون : حضارة العرب ، ص ٥٦٧ ٠

(٣) شحادة الناطور ورسلاه : تاريخ الدولة العربية ، ص ٢٣٩ ٠

(٤) محمد عبدالرحمن مرحبا : المرجع في تاريخ العلوم عند العرب ، ص ٥٧١ ٠

منه حتى النهضة الاوروبية ٠ [1]

فمن الاندلس تسربت الاشعة الفكرية الى أوروبا فأنارت الطريق نحو الحضارة الغربية ٠

ثالثا التجارة :

لم تكن علاقة العرب المسلمين علاقة حربية مع أوروبا ، فالاسلام مشتق من السلام ، لذلك وجدت علاقات سلام ، فقد وجدت بين شارلمان ٧٦٨ ـ ٨١٤ والرشيد علاقة صداقة وتبادل الهدايا ، فأرسل الرشيد الى شارلمان فيلا وساعة دقاقة وخيمة مطرزة بالقصب ومفاتيح كنيسة القيامة) [2] زهي تدل على الحرية الدينية في فلسطين من ناحية وتسهيل التجارة بين الشرق واوروبا ٠

وكذلك قامت علاقات سياسية بين عبدالرحمن الناصر مع ملوك شمال أسبانيا وامبراطور الدولة البيزنطية قسطنتين السابع (٩٠٥ ـ ٩٥٩م) وامبراطور الدولة الرومانية المقدسة أوتو الكبير [3] (٩٣٦ ـ ٩٧٣م) وهي انما تدل على مكانة الناصر من نشاط في حوض البحر المتوسط الى درجة جعلت كلا من امبراطور بيزنطة وامبراطور الدول الغربية يتوسط لدى خليفة قرطبة أن يتم بين بلديهما التعاون ، ولاشك أن هذا التعاون يشمل نواحي عدة يبدأ سياسيا ثم اقتصاديا ، ثم ثقافيا ، ولما كانت الاندلس متقدة فكريا وحضاريا ، فلابد أن تتجه اليها أنظار الطلاب من كافة أنحاء أوروبا وهكذا لم يقف نشاط العرب

---

(١) عبدالفتاح الغنيمي : الاسلام والثقافة العربية في أوروبا ، ص ٢٠٤

(٢) عبدالعزيز سالم : دراسات في تاريخ العرب ، ج٣ ، ص ٧١ ٠

(٣) أحمد مختار العبادى : في تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٢١٦ ٠

عند حد معين ، فمنذ تم اجتياز جبال الألب الشمالية ودخلوا سويسرا وامتد نفوذهم من شواطيء بحيرة كنستانس شمالا الى جنوة ومرسيليا ونيس جنوبا [1] وعمل العرب بجانب نشر تجارتهم نشر ثقافتهم الاسلامية وفي مقدمتها اللغة العربية التي كانت اللغة العالمية ولغة العلم في العصور الوسطى وحتى أننا لانزال نرى اسم الحي العربي في أحد أحياء مدينة نيس . [2]

والعلاقة الاقتصادية بين مسلمي الاندلس وأوروبا كانت طيبة وأخذت عدة مظاهر وفي مقدمتها : طرق النقل التجارية ، والتبادل التجاري ، ثم وسائل المعاملات المالية وفيما يتعلق الطرق ، فقد عرفت ثلاث طرق :

الطريق البري الذي يعبر جبال البرانس الى بلاد الفرنج ، فكل الطرق البرية لابد أن تعبر هذه الطريق فمن الجزيرة الخضراء الى أشبيلية الى بلاد الفرنج أو من مرسية الى بلنسية الى المرية الى غرناطة أو من مالقة الى قرطبة [3]

فكل هذه الطرق البرية تسلكها القوافل التجارية لابد أن تمر من ممرات جبال البرانس لتلتقي بموانيء جنوب فرنسا الشهيرة بحي بروفانس وسبتمانيا [4] .

وهنالك الطرق البحرية ، فكانت السفن التجارية تفرغ حمولتها في مرسيليا أو ناربون ، حيث كانت أهم المراكز الرئيسة للتجارة ، ثم تنقل عبر الطرق النهرية في فرنسا ، كالراين والدانوب والسين والرون أي الى جميع أنحاء اوروبا [5] ، ولم تكن هذه الطرق البحرية الوحيدة ، فهنالك الطريق البحري عبر

---

(١) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام ، جـ٣ ، ص ٢٤٢ .

(٢) المرجع نفسه .

(٣) ياقوت : معجم البلدان ، جـ١ ، ص ٢٦٣ ـ ٢٦٤ .

(٤) أرسلان : تاريخ غزوات العرب ، ص ٨٨ .

(٥) منى حسن محمود : المسلمون في الاندلس ، ص ٢٢٥ .

ساحل أسبانيا الغربي المطل على المحيط الاطلسي ، وقد استعمل هذا الطريق منذ عهد عبدالرحمن الاوسط [1] ، أما الطريق البحرى الاخير فيمر عبر الساحل الشرقي المطل على البحر المتوسط من الجزيرة الخضراء الى مالقة ثم المرية ثم الى قرطاجنة ثم دانيه ثم بلنسية الى طوكونة الى برشلونة الى أريونة [2] الى البحر المتوسط ثم عن طريق الممرات عبر منافذ جبال البرانس عن طريق الموانيء الجنوبية لفرنسا .

أما من ناحية التبادل التجارى فقد لعب أهل بلاد الشام بالنصيب الأكبر من عبء التجارة في البحر المتوسط ، فكانت لهم جاليات متاجرة في كل موانيء البحر [3] ، وأقامت هذه الجاليات في ثغور بريطانيا وغاله (فرنسا) وأسبانيا مع الثغور النهرية على الدانوب [4] ، وكان أكبر مركز رئيسي لهم في مرسيليا وانتشروا في حوض الرون وشمال باريس وكليرمونت وتور وبورج أر ل.وقد نشطت حركة التبادل التجارى بين أسبانيا وفرنسا مع بلاد الشام ومصر ، وظلت فرنسا تستورد البردى والتوابل وغيرها من منتجات الشرق ، واحتفظت مرسيليا كميناء هام وكان يرد اليها زيت الزيتون الذى كان يستعمل للطبخ والانارة فكان يستورد بكميات كبيرة من بلاد المغرب خاصة [5] ، وكانت السفن تعود محملة بالدقيق والفراء من روسيا ، والرقيق الذى كان يجلبه التجار اليهود لمسلمي الاندلس ، وكان المسلمون يعاملونهم أحسن معاملة ، كما كانوا يمثلون حلقة الوصل الاقتصادية بين المسلمين

---

(١) أحمد مختار العبادى : دراسات في تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٢٥١ .

(٢) ياقوت : معجم البلدان ، جـ١ ، ص ٢٦٣ .

(٣) أرشبالد لويس : القوى البحرية في البحر المتوسط ، ص ١٢٠ .

(٤) P. Christin Frester : Merovingian Royalty, P.156.

(٥) أرشيبالد لويس . القوى البحرية ، ص ١٣٠ ـ حسين مؤنس ٠ المسلمون في حوض البحر المتوسط ، ص ٥٣ .

والعالم المسيحي (١) .

وقد التصق اسم اليهود بالتجارة خلال القرن التاسع الميلادى فكانوا يركزون في تجارتهم على ماخف وزنه وغلا ثمنه من السلع والمصنوعات فنقلوا المنسوجات الحريرية الدقيقة الاندلسية الصنع ، ويحضرون البخور للكنائس والتوابل وبخاصة الفلفل ، وقد سماهم المسلمون التجار اليهود باسم الرادانيون (٢) .

وكان من عوامل نشاط التجارة وجود عملة يتبادل التجار السلع على أساسها ، وقد سكت العملة الاندلسية تحت ضغط الحاجة الملحة لاستخدامها في التجارة التي اتسعت آفاقها في كل الحكم الاسلامي . ويرجع تاريخ سك النقود الاسلامية في الاندلس الى موسى بن نصير في سنة ٧١٣ م . وصار يتعامل بها الى جانب النقود الرومانية القديمة فسك موسى بعد دخولة طليطلة نقودا عليها نقوش لاتينية تحمل عبارة التوحيد . (٣) ، كما سكت عملات على هيئة العملة المستخدمة في الشرق الاسلامي (٤) فكان لعبدالرحمن بن معاوية عملة خاصة باسمه ، وكانت له دار لضرب العملة في قرطبة ، ولم تختلف هذه العملة عن بلاد الشام ، فكانت تشبهها من حيث الشكل والوزن والنقوش وكانت تصنع من الذهب الخالص . ( )

وكانت العملة المتداولة في بلاد الفرنج هي العملة الذهبية الميروفنجية التي كانت واسعة الانتشار (٦) ، وفي عهد شارلمان بسط سلطته

(1) Pirenne : Mohmmed and Charlemagnc, P. 174

(٢) حسين مؤنس : المسلمون في حوض البحر المتوسط جـ٢ ، ص ١٤٨ .

(٣) منى حسن محمود : المسلمون في الاندلس ، ص ٢٣٣ .

(٤) عبدالحميد الشرقاوى : الحالة الاقتصادية في الاندلس في القرن الرابع الهجرى ص ١٣٥ . ارشيبلد لويس : القوى البحرية ، ص ٢٦١ .

(٥) عبدالرحمن فهمي محمد : دراسة لبعض التحف الاسلامية ، ص ١٩٩

(٦) ارشيبلد لومي : القوى البحرية ، ص ١٣١ ، ١٣٢ .

على دار السكة ، فكان لايسمح بالسك الا تحت اشرافه ٠

وبفضل العلاقات التجارية ، وواقع الوجود السياسي للمسلمين في أسبانيا وصقلية ، تسربت الى أوروبا الغربية ، تدريجيا الحضارة العربية اليها ٠ التي تتلخص في عدد من التحسينات على القاعدة المادية وفي اضفاء مظاهر الرقة والاناقة عليها ٠ كما أفادوا من الحياة الجميلة عند العرب والأدب الذى رافقها مما حفز الخيال الاوروبي ٠

ولعبت التجارة دورا مهما أثناء الحروب الصليبية التي استمرت (١٩٦) سنة (١٠٩٥ ـ ١٢٩١م) ، فقد قام الاوروبيون بنقل كثير من النباتات والعقاقير والاصباغ والتوابل الشرقية ، كما كثر استعمال الاقمشة التي تصنع في البلدان الشرقية كالموسلين (نسبة الى الموصل) والدماس (نسبة الى دمشق) ، هذا الى جانب اقتباس بناء القلاع واستخدام الدروع للفرسان والخيول وتقاليد المأكل وآداب الحكم ٠ [١] فانتشرت التجارة وتبادل البحارة بين الشرق والغرب لم يتوقف ففي العهد الفاطمي كان المشرق مركز سياسيا وتجاريا وثقافيا مهما، بل من الدرجة الاولى بعد سقوط الخلافة في بغداد على أيدى المغول ، فقد أصبحت مصر والشام كعبة الحضارة العربية في عهد المماليك فبرزت فيهما العلوم والفنون بسبب رحيل العلماء والادباء والفنانين طلبا للسلامة ، ويرى ابن خلدون أن مصر هي أم العالم في ذلك الوقت ، وايوان الاسلام ، وينبوع العلم والصنائع [٢] ، وقد ساعد على نقل الحضارة من المشرق الى أوروبا نشاط الحركة التجارية بين مدن أوروبا وقتذاك مثل : بيزا ، وجنوا ، والبندقية ، ونابولي وفلورنسا ، وقد نشطت هذه المدن وأقامت علاقات تجارية مع مصر والمشرق

---

(١) عبدالفتاح الغنيمي : الاسلام والثقافة في أوروبا ، ص ٢٠٢ ٠

(٢) ابن خلدون : المقدمه ، ص ٣٤٤ ٠

والمدن المذكورة هي التي ظهرت فيها حركة النهضة الاوروبية والتي مهدت للحضارة الاوروبية الحديثة في أوروبا .[1]

ويكفي أن التجارة قد كسرت حاجز الخوف عند الاوروبيون ، وجعلتهم يضطلعون على بلاد جديدة ، مما جعلتهم يتعرفون على غرائب الكائنات والموجودات ، ومع التجارة كثرت قصص التجارة والرحالة وهي التي قادت أوروبا الى الاستكشافات الجغرافية التي قادتهم الى الاميركتين [2] .

رابعا :

البعثات العلمية ودورها في انتقال الحضارة العربية الى الغرب :

لقد حفلت بلاد الاندلس بعدد كبير من المدارس والجامعات لمختلف العلوم والآداب والفنون ، وكان في جميع المدارس والجامعات دور للكتب ولم تخل واحدة من مكتبة قط ، أما خزائن الكتب فقد زخرت بالمؤلفات المصنعة أو المنقولة باعتبارها أحد ضرورات الدراسة .

ونافست قرطبة في عظمتها العلمية القيروان وبغداد والقاهرة وبخارى ودمشق وأصبحت قبلة الشعراء والكتاب والفنانين والعلماء ، وكانت قرطبة أشبه ماتكون بالعاصمة الكبرى لاسبانيا ، يفد اليها الملوك والسفراء وطلاب العلم يقدمون فروض الطاعة والولاء للدولة ويستجيرون بها ويستظلون بسلطانها.

وفي عهد عبدالرحمن الثالث (٩١٢ - ٩٦١) ، تم اجتذاب العلماء للبحث والدرس والتأليف ، فأصبحت الاندلس موطنا للعلوم وأصبح فيها عدد ضخم من المستشفيات والاطباء والصيادلة والكيماويين وعلماء النبات والرياضيين والفلك والفلسفة .

---

(١) عبدالمنعم ... : تاريخ الحضارة الاسلامية في العصور الوسطى ، ص ٢٨٢ .

(٢) عبدالحليم منتصر : تاريخ العلم ودور العلماء العرب ، ص ٢٨٩ .

وكانت حاجة قرطبة تحمل مشعل العلم والمعرفة في غرب أوروبا لمركز للعلوم والبحث والترجمة من اليونانية والهندية الى اللغة العربية وقد بلغت عدد الكتب في مكتبة جامعة قرطبة في عهد الحكم الثالث (ابن عبدالرحمن الثالث) نصف مليون كتاب وكلها مفهرسة لطلاب العلم والمعرفة وقلد أمراء المقاطعات الاندلسية العاصمة قرطبة فكانت هناك جامعات في غرناطة وطليطلة وأشبيلية ، وسرقوسة ومدريد وكان يدرس في كل جامعة علوم الطب والصيدلة والكيمياء .

وأتسم عهد عبدالرحمن الداخل ، وعبدالرحمن الثالث ، والحكم بالمحبة والسلام والسكينة والاستقرار والعلم ، وهي كانت جديرة بخلق بيئة ثقافية وعلمية متقدمة [1].

وقد لعب التسامح العربي الذى لم يسمع بمثله في العصور الوسطى [2] ذورا مهما في اكتساب الاوروبيين العلوم العربية الاسلامية في الجامعات العربية .

والتسامح نزعة أصيلة عند العرب المسلمين ورسالة أصيلة أوصى بها القرآن الكريم ودعت اليها السنة النبوية ، وهو يفصح بصراحة الى عدم التمييز في احترام الانسان وتقديره واتاحة الفرص العلمية أمام الجميع دون النظر الى لونه أو دينه أو ثروته أوجنسه ، ومن هنا نجد أن الامم والشعوب الاوروبية التي خضعت للمسلمين اندمجت في المجتمعات الاسلامية ونهلت من علوم جامعاتها بحيث أصبح هؤلاء العلماء هم رواة الفكر في بلادهم .

---

(١) أحمد علي الملا : أثر العلماء المسلمين في الحضارة الاوروبية ، ص ١٣٠

(٢) متز : الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجرى ، جـ١ ، ص ٣٨٤ . (ترجمه د . محمد أبوزيد)

ان تعايش الناس ذوو العقائد المختلفة والاجناس المتباينة متجاورين يسودهم الامن والسلام ، فان تجاور المسجد والكنيسة والمعبد في كل قطر بل في كل مدينة كان تقليدا زمانا طويلا ينمو روح الاخاء والتسامح ، فقد ربوا النفوس التي تؤمن بهذا التعايش والامتزاج، ووجدت المساجد الاسلامية التي يدرس فيها الرهبان واليهود جنبا الى جنب مع المسلمين ، فعندما أغلقت جامعة أفلاطون في أثينا سنة ٥٢٩م قامت مساجد أسبانيا وصقلية بفضل العرب وعملهم بحمل مشعل العلم والفقه والفلسفة ، وظل العرب قرونا متطاولة يحملون رسالة العلماء والخبراء والصناع على الارض الاندلسية وجنوب ايطالية وصقلية ٠

لقد استمر العرب زهاء ثمانية قرون (٩٢هـ/٨٩٧ هـ - ٧١١ - ٤٩٢ م) يقدمون للعالم العلم والنور والحضارة ، واستمر ذلك حتى بعد اجتياح الاندلس من قبل الاسبان ، فقد بقي فيها من المسلمين (الموريسكيين) حتى القرن السابع عشر في هبه الجزيرة الاسبانية ، يقدمون الحضارة العربية الى أوروبا ٠ (١)

ويعود فضل العرب في أسبانيا في دورين بارزين : أحدهما الى القارة الاوروبية وهي فتح أبواب الجامعات ثم ترجمة آداب وعلوم العرب الى اللغات الأوروبية ٠

أما الناحية الثانية فهو الى القارة الامريكية ، فيعود الفضل في رحلة كولمبوس ماكتبة الرحالة العرب ، وايمانه بكروية الارض ، وعرف الكثير عن رحلات العرب شرقا وغربا ، فكسرت في نفسه حاجز الخوف مما شجعه على القيام برحلته ٠

---

(١) عبدالحليم منتصر : تاريخ العلم ودور العلماء العرب ، ص ٢٨٢

وهكـذا يتضـح لنـا دور البعثـات العلمية يقوم علـى نهـل العلم بالدراسة في الجامعـات العربيـة ، ثم بترجمتها الى اللغـات الاوروبيـة ، ولعل هـذا عائد الـى الروح العلميـة التي تمتـع بهـا العـرب والقائمة على التسـامح .

الباب العاشر

أثر الحضارة العربية الاسلامية

في الغرب في الحركة العلمية وانبعاث النهضة الاوروبية

أثر الحضارة العربية الاسلامية في الغـــرب
ودورها في حركة انبعاث النهضة الاوروبيـــة

للحضرة العربية أثر واضح في حركة انبعاث النهضة الاوروبيـــة لاينكره الا كل جاحد ، فالحضارة الغربية قامت على الفلسفة الاسلامية ، التي جمعت بين قوة الايمان والترغيب في العلم ، وآمنت بروح العدل والانصـاف لكل مواطني الدولة الاسلامية ، فالتسامح والحرية التامة والاخاء والمـــودة عناصر ساعدت كل طالب علم على نهله ، وبذلك كانت الحضارة العربيـــة الاسلامية حضارة عالمية كمبادىء الاسلام للناس كافة ، بدأت باحترام التراث البشرى القديمة اليونانية ، والمصرية والفارسية فرعته واعتنت به ، فقامت بترجمته بادىء الأمر ، لينتهوا الى الابداع في شتى العلوم والآداب والفنـــون فوصلت حضارتهم مستوى لاينافسهم فيه أحد ، وأصبحت بلادهم مراكز الاشعاع الفكرى في العالم (١) ، فتوجه طالبوا العلم والمعرفة للمعاهد والجامعات العربية ، ينهلون من علوم العرب ، دراسة وترجمة ، ونقلوا علوم العرب من مراكز فكرية من بلاد الشام ز ومن الاندلس وصقلية بجانب العلاقـــات السياسية والاقتصادية ، ويتضح أكثر الحضارة العربية الاسلامية في حركـــة انبعاث النهضة في الأمور التالية : المنهجية العلمية والدراسة في المعاهـــد الاسلامية ، ونقل علوم ومعارف العرب ٠

أولا : المنهجية الاسلامية في الفكر والبحث العلمي : (٢)

يتردد في الغرب أن منهج البحث العلمي قد وضع أصوله الاغريق وأ كملـه

---

(١) شحادة الناطور :وزميله ، تاريخ الدولة العربية ، ص ٢٣٨ ٠

(٢) شحادة الناطور : بحث أعد لندوة واشنطن ، دى سي آب ١٩٨٦ ٠

فرنسيس بيكون في العصور الحديثة ، وهم بذلك يقفزون من عصور ماقبل التاريخ الى العصور الحديثة ، دون الاشارة الى منهج البحث العلمي عند المسلمين .

والسؤال الذى يطرح : هل عرف المسلمون منهج البحث العلمي ؟ ومن أين استمدوا أصولة وأركانه ؟ والى أى مدى نجح العلماء المسلمون تطبيق هذا المنهج ؟ وهل كان لمنهج العرب المسلمين في الامم اللاحقة ؟

ان العرب والمسلمين يؤمنون بقدسية القرآن ، لأنه كتاب الله المقدس فمنه استمدوا منهجهم العلمي ، فهو الذى مهد لكل ثورة فكرية ، وآخى بين العلم والدين ، وجعل العلم سبيلا لكمال الدين ، وبذلك نفي الصراع بينهما ،. فالاسلام رفع العلم مالم يفعله دين آخر ، فقد جعله عبادة وسبيلا الى معرفة الله .

ويقوم منهج التفكير في الاسلام على الاركان التالية :

١ ـ الدعوة الى التعليم :

فهناك العشرات من الآيات المقدسة التي تدعو الى التعليم دون التمييز في اللون والجنس والعنصر ، وأول آيه أنزلت في القرآن قوله تعالى:

﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ (١)

فالتعليم قوة دافعة للانسان الى المعرفة ، وكلما زاد المرء معرفة تعمقت نظرته نحو البحث ، فالاسلام دعا الى العلم والتعلم وكرم المتعلمين ورفع درجاتهم بقدر علمهم : قال تعالى :

﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٩ (٢)

---

(١) سورة العلق : آيه ١ ـ ٣

(٢) سورة الزمر : آيه ٩ .

وطالما ان الله رعى أهل العلم ، فعلينا أن نحيطهم بالحب والتقدير والرعاية والتكريم لهم حتى يخلصوا في عملهم ويتقدموا في انتاجهم ٠

٢ ـ طلب العلم فريضة في الاسلام :

والفريضة في الاسلام ، مافرضها الله ، ويعاقب تاركها ، وقد قرن الاسلام طلب العلم بعبادة الله ، والعلم في نظر الاسلام هو التأمل في آيات الله العديدة واكتشافها والاستفادة منها ، ولاتكون الا خالصة لوجه الله ، قال تعالى : ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ (١) قال النبي (ص) " طلب العلم فريضة على كل مسلم " (٢)

٣ ـ العلم في الاسلام لايكون الا لوجه الله " أى العلم للعلم " :

فالعالم المسلم هدفه تقصي الحقيقة والوصول اليها بكل تجرد ونزاهة فلايصدر حكما الا بالعدل والقسطاس ، أى مايعرف بالحياد المطلق ٠ قال تعالى : ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ (٣)
وقوله تعالى ، ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾ (٤)

٤ ـ التعليق المستمر :

وهذا المبدأ مهم في أصول البحث العلمي ، حتى لايصاب العالم بالغرور لما وصل اليه من فن ومعرفة وعلم ، فالاسلام ثبت في نفوس المسلمين أنه مهما

(١) سورة طه : آيه ١١٤ ٠

(٢) رواه البيهقي وابن عبدالبر ٠

(٣) سورة الشعراء : آيه ١٨٢ ٠

(٤) سورة الاعراف : آيه ٢٩ ٠

وصل من علم فهناك الكثير مما يجهله وعليه العمل الدؤوب للوصول الى المستجدات بشكل دائم . وجاء في القرآن الكريم قوله تعالى :

﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾﴾ (١)

وقوله تعالى : ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ (٢)

٥ ـ العلم في الاسلام ماسطر بالعلم :

وهو كتاب الكون المفتوح المملوء بآيات الله وبذلك ربط التفكير بظواهر الكون ، والعالم الباحث يتدبر ويبحث ويفسر هذه الآيات والظواهر فحدد هدف البحث العلمي ونفى عنصر العبث والتفكير أو العمل واستبعد الترف الفكري . قال تعالى : ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ﴿٥٤﴾﴾ (٣)

وقوله تعالى :

﴿إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾﴾ (٤)

وقوله تعالى : ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ (٥)

٦ ـ يقوم البحث العلمي في الاسلام على البرهان " أي الدليل "

قال تعالى : ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١١﴾﴾ (٦)

وقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾﴾ (٧)

---

(١) سورة البقرة : آيه ٣٢
(٢) سورة الاسراء : آية ٨٥
(٣) سورة الحج : آيه ٥٤
(٤) سورة الجاثية : آيه ٤
(٥) سورة يوسف : آيه ١٠٥
(٦) سورة البقرة : آيه ١١١
(٧) سورة النساء : آيه ١٧٤

ونهى الاسلام أتباعة الخوف فيما لايعلمون ، أى العلم الذى يقوم على الظن . قال تعالى " وان الظن لايغني عن الحق شيئاً " (١)

٧ - الاعتماد على العقل والحواس في البينة " الدليل " :

فالمنهج الاسلامي في البحث العلمي يقوم على العقل والسمع والبصر لان العقل لايستطيع الاستغناء على الحواس ، فمن فقد حسا فقد عاملا مهما في أمور البحث العقلي الاستنتاجي . قال تعالى :

﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ (٢)

وشبه الله الغافلين الذين لايستعملون عقولهم وحواسهم بقوله تعالى :

﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ (٣)

ودعا القرآن الى استعمال العقل واعتبر الاحساس والملاحظة محور العملية العقلية ، فبدون الحواس لايحصل الادراك أوالفكر السليم فتتعطل الحواس سبب لغياب العقل .

وهكذا ومن خلال المعطيات السابقة . نجد أن الاسلام قد حدد أسس البحث العلمي بدعوته الى نهل العلم وتشجيعة ، بحيث اعتبره واجبا مقدسا على كل مؤمن أن يتعلم ، وأن يكون هذا العلم بعيدا عن الأهداف المادية الذاتية ، ولكن وجه الله أى منفعة اللانسانية عامة .

واعتبر الاسلام أن العلم واسع بحيث لايستطيع الانسان أن يلم به كله ومهما نال ، فلن يصل الا الى القليل ، لذا فعليه السعي في طلب المزيد ، واسلوبه

(١) سورة الحجرات : آيه ٢٨

(٢) سورة الاسراء : آيه ٣٦

(٣) سورة الاعراف : آيه ١٧٩

في الطلب يعتمد على النزاهة والحياد والتجرد والاستمرار في البحث والتجربة والتفكير وأن تكون النتائج دائما بلامبالغة ولازيادة والا وقع في الاثم ٠

ويعد جابر بن حيان (توفي سنة ٨١٥م) من رواد البحث العلمي ، فقد نقل علم الكيمياء من طور الاوهام والغموض الى طور العلم التجريبي ، فهو أول من وضع قواعد علمية لعلم الكيمياء ، كما وضع أرسطو علم المنطق ٠

قام الاساس في البحث عند جابر على المشاهدات التي تجيء بالتجربة المؤيدة فهو يقول " انا نذكر في هذه الكتب خواص مارأيناه فقط بعد أن امتحناه وجربناه ، مما صح مأأوردناه ، ومابطل رفضناه ، ومااستخرجناه نحن أيضا ، وقايسناه على أقوال هؤلاء القول " (١) ، وأجاز لنفسه قبول النتائج العلمية عن غيره ، كما جعل القيام بالتجارب شرطا أساسيا للعالم الكيماوى ٠ وهو يرى أن العالم المتدرب يحذق وغير المتدرب يعطل ، وتتمثل خطوات البحث عند جابر فيما يلي :

١ ـ تحديد الغرض من التجربة

٢ ـ اعداد الوقت الكافي للتجربة

٣ ـ اختيار الزمان المناسب للتجربة ٠

٤ - يستوحي العالم مشاهدته من فرضيات يفرضها لتفسير الظاهرة المرادة ٠

٥ ـ استنباط النتائج من الفرضيات ٠

٦ ـ لابد من تطبيق النتائج لمعرفة مدى صدقها ، فان صدقت تحولت الى قانون علمي ٠

٧ ـ يحذر جابر من الملل ، ويدعو الى التحلي بالصبر والمثابرة من أجل تحقيق النجاح العلمي ٠ (٢)

---

(١) كتابة الخواص (مختارات كراوس) ، ص ٢٦٢ ٠

(٢) عز الدين فراج : فضل العلماء المسلمين على الحضارة الاوروبية ، ص ٥٩ ٠

رفض استجابة على

فرضية ← تجربة ← نتائج ⟨ ← ⟦ ← قانون علمي

قبول نفس الظاهر

ان هذا الاسلوب العلمي في البحث هو ماأصطلح عليه رجال المنطق بالاستقراء والاستنباط [1]

وكان أبوبكر محمد الرازى (ت ٩٢٤م) مولعا بالبحث العلمي التجريبي ، يبحث بأسلوب علمي رصين ، يجمع بين التجارب العلمية والاستنباطات النظرية الصحيحة ، وقادة أسلوبة لمعرفة طرائق متعددة في العمليات الكيماوية (كالتصعيد ، والتقطير ، والتكليس ، والتبلور والصهر والترشيح ، والتنقية وغيرها) لاتزال مستعملة حتى اليوم ، والعرب هم واضعوا أساس علم الكيمياء .

وتدل كتابة الحسن بن الهيثم (توفى ١٠٣٩م) على استقلالة الفكرى الذى قام على أسلوب علمي في البحث يعتمد على المشاهدة والتجربة وكانت نتائجها متفقة مع الواقع الملموس للمشاهدة والاختبار ، وقد أخذ بأساس الاستقراء والقياس ، وقدم الأول على الثاني . وحدد غرضه طلب الحقيقة وهو يرى أن يبدأ بالعلم بالشك حتى يوصله التجربة الى الحقيقة / أي اليقين وقد توصل في كتابة المناظر الى بحوث رفيعة في الضوء وبخاصة في انكسار الضوء وتشريح العين وكيفية تكوين الصور على شبكة العين ، استفاد منها كبار علماء أوروبا مثل : روجر بيكون وكبلر [2] ونسبوها لأنفسهم .

والبحث العلمي عند علماء المسلمين يقوم على الاسس التالية :

١ ـ **فكرة الشك** : وهذه الفكرة تعود الباحث على الابداع ، فالشك يتطلب من الباحث اليقين ، الحقيقة عن طريق البحث العلمي المنظم كما حصل مع ابن

(١) زكي نجيب محمود : جابر بن حيان ، ص ٥٩

(٢) عمرو فردخ : عبقرية العرب في العلم والفلسفة ، ص ٥٩ .

الهيثم .

٢ ـ كشف أسرار العلم وغوامضه :

فكل علم مملوء بالغوامض والاسرار ومن أسباب ودوافع البحث لدى الخوارزمي : كشف أسرار وغوامض العلم ليقدم مايلزم الناس من الحاجة [(١)] .

٣ ـ تنزية نفس الباحث عن العوارض :

فالعالم والباحث الحقيقي لابد أن ينزة نفسه عن العوارض لاينحامل ولايتسامح في سبيل غرضه العلمي للوصول الى الحقيقة ، فقد ورد عند ابن الهيثم : " تنزية النفس عن العوارض الردية الأكثر الخلق ، والاسباب المعمية لصاحبها عن الحق ، كالعادة المألوفة والتعصب والتظافر واتباع الهوى والتغالب بالرئاسة وأشباه ذلك " [(٢)] .

٤ ـ دراسة العلم بالاسلوب والطريقة التي يحتاجها :

" فالعلم اعتقاد الشيء على ماهو ان كان محسوسا ، فالحس وان كان معقولا ، فالبعقل والحس ، والعقل أصل ماترد اليه العلوم ، فما قضى باثباتة ثبت ، وماقضى بنفيه انتهى " [(٣)].

٥ ـ اعتبار العلم والبحث والملاحظات الحسية مكملة لبعضها :

وقد أخذ بذلك كل من جابر بن حيان ، والرازى وابن الهيثم والبيروني.

٦ ـ افتراض فرضيات لتفسير الملاحظات الناتجة من الاستقراء :

التأكد منها بالتجربة وقام بذلك البيروني وابن الهيثم ، وجابر .

(١) الخوارزمي : الجبر والمقابلة ، ص ١٥ ، ١٦ .

(٢) الخوارزمي : الآثار الباقية ، ص ٤ .

(٣) المقدسي : البدء والتاريخ ، جـ١ ، ص ١٩ .

٧ ـ استمرار القيام بالتجارب وبصورة دؤوبة متواصلة ٠

وبناء على المعطيات المتقدمه رأينا أن منهج البحث الاسلامي يقوم على الاستقراء ، الذى يعتمد على التجربه والممارسه العمليه . فالتجربه هي اساس المنهج الاسلامي ، وهي وسيلة كشف الروابط والعلاقات بين الأشيا ، وبذلك حقق العلماء النظرة الموضوعية الى الظواهر الطبيعيه والاجتماعيه على السواء ٠

وقد عرفت أوروبا المنهج الاسلامي في البحث ، بعد قرون من معرفة العرب ، ومن كتابات علماء العرب والمسلمين واعتنقته فئه من علمائهم بعد أن تعلموه عن المسلمين والعرب ٠

وقد أعلن روجر بيكون أنه انما تلقى هذا المنهج عن المسلمين ويعد روجر بيكون واضح الفكر الحقيقي للفكر الاوروبي في القرن الثالث عشر ، فهو الذى نادى بمنهج العرب والمسلمين في البحث العلمي الذى يعتمد على التجربة العلمية على نحو مابدأ باستخدامها مع الاستعانة بالعلوم الرياضية ٠

لقد بدأ تحرر أوروبا ونهضتها بالتماسهم منهج الاستقراء التجريبي الذى أخذوه عن الفكر العربي الاسلامي ٠ (١)

ثانيا : الدراسة في المعاهد والجامعات الاسلامية :

لاشك أن احتكاك الاوربيون بالعلماء العرب بما لديهم من تقاليد علمية كانت دافعا لهم لتطوير علومهم وتقدمها ٠

وقد قام عدد من الاوروبيون بالدراسه في الجامعات العربيه . فقد عرف

(١) أنور الجندى : أخطاء المنهج الغربي الوافد ـ ص ٨ ٠

عن هربرت الاورياكي (الذى أصبح فيما بعد البابا سلفستر الثاني ٩٩٩-١٠٠٣م ، بأنه ارتحل الى كاتالونيا حيث أمضى ثلاث سنوات ، ثم وصل الى قرطبة لدراسة العلوم على يد أحد المعلمين المسلمين ، واستطاع هذا تجاوز معاصريه قاطبة بنقل معارفه النظرية الى مجال التطبيق العملي ، كما استطاع اعداد وسائل مدرسية متنوعة ، واليه يعود الفضل بوضع نظام جديد للحساب ونظام العد العربي [1] .

وتمكن قسطنطين الافريقي أن يتحول من بائع متجول بين تونس جنوب ايطاليا الى طالب علم في البلاد الاسلامية حيث أمضى بقية حياته في أحد الاديرة ، ينقل الى اللاتينية طب العرب وبخاصة كتاب كامل الصناعة الطبية لعلي بن العباس [2] .

ويبرز جيرارد الكرموني (ايطالي) : الذى غادر بلاده الى طليطلة وعمل هناك سنوات على تعلم اللغة العربية حتى أتقنها وينسب اليه ترجمة مئة كتاب .

ومن المدارس الطبية الباكرة كانت مدرسة مونبلييه ، فهي تعود الى عام ١١٣٧م ، وكان في هذه المدرسة عدد لايستهان به من المعلمين العرب حتى أوائل القرن الثالث عشر والذين ارتبطت أسماؤهم بالطب العربي وتعاليمه وتقاليدة في جنوب أسبانيا ، وبفضل هذه المدرسة انتقل كثير من الطب العربي الى أوروبا . [3]

وأقام العرب صناعة الورق في الاندلس ، ومنها انتقلت الى ايطاليا

---

(١) مونتغمرى واط : أثر الحضارة العربية على أوروبا ، ص ١٢٢ .
(٢) المرجع نفسه : ص ١٢٤
(٣) المرجع نفسه : ص ١٢٤

وألمانيا في القرن الرابع عشر وبعدها ظهرت في فرنسا وبريطانيا [(١)] ، ولايخفى على أحد أهمية الورق لنقل العوم والآداب .

وأدخل العرب في جزيرة صقلية صناعة الحرير والسكر وشجعوا النسيج الحرير والكتان حتى أصبحت صقلية مركز مرموقا لهذه الصناعات واستمر انتاجها حتى بعد زوال الحكم الاسلامي .

أما في أسبانيا فقد قدم الاوروبيون لنعلموا الصناعة على يد الصناعة المسلمين المهرة ، فنقلوا عددا من الصناعات كازجاج والورق والسكر ، الى بلادهم . [(٢)]

ثالثا : نقل علوم ومعارف العرب والمسلمين :

بدأ اختلاط العرب بالأمم اللاتينية ، اختلاط قتال وحروب حينا ، ثم اختلاط تجارة واقتصاد ، وكذلك اختلاط حضارة وثقافة ، ومن هنا بدأ التأثير والتفاعل الحضارى ثم انتقال التراث العربي .

وعرف الأوربيون مكانة العرب العلمية في العصور الوسطى ، فأدركوا حاجتهم الماسة لعلومهم ومعارفهم ، فتوجهوا نحو تراث العرب العلمي والفكرى ، لنقله الى اللغة اللاتينية ، ومن ثم الى لغاتهم المحلية ، مما كان له أعظم الاثر في نهضة أوربا فيما بعد .

وكان الطب العربي متقدما ، فقد عرف أساليب الرعاية الصحية واعتمد على التجربة والخبرة ، وأقام العرب أول المستشفيات والصيدليات للعلاج وهم الذين اكتشفوا الدورة الدموية (ابن النفيس) [(٣)] ، وأول من أقام الامتحانات لممارسة الطب ، وأول من استخدم الابر تحت الجلد للتخدير

---

(١) عز الدين فراج : فضل العلماء المسلمين على الحضارة الاوروبية ، ص ٩٤ .

(٢) فراج : فضل العماء المسلمين ، ص ١٠١ .

(٣) هونكه : شمس العرب تسطع على الغرب ، ص ٢٦٦

وقاموا بربط الشرايين (الزهراوى) [1] (ت ١٠١٣) .

وعرفت طبقات وأصناف من الاطباء ، فهناك الجراحون والفصادون والكحالون (أطباء العيون) والاسنان ، والطب النساشي ، والطب النفسي .

وعرفوا العمليات الجراحية ، واكتشفوا البنج ، واستخدموا الكاويات في الجراحة ، وعالجوا خلع الكتف ، والنزيف ، وأشاروا الى تفتيت الحصاه في الكلية [2] ، ووصفوا الجدارى ، والحصبة ، وعلاج استخراج ماء العين (الكتاراكتا) [3] .

وكتب العرب الموسوعات الطبية فالحاوى في الطب للرازى عشرة أجزاء ، والشفاء في ثمانية وعشرين مجلدا لابن سينا ، عدا عن القانون في الطب والتصريف لمن عجز عن التأليف ثلاثين جزءا للزهراوى .

وهكذا ، وصل العرب قدراً كبيراً من التقدم الطبي ، بحيث لم يكن في العالم المتحضر مابين القرن الثامن والقرن الخامس عشر علم طبي يعادل ماكان عند العرب والمسلمين وماكان عند غيرهم لم يكن الا منقولا منهم ولم يشك أحد من أهل القرون الوسطى في تفوق العرب الطبي ، وكان تقدمهم بموازاة تقدمهم الفكرى بحيث يسمح لهم باستيعاب كل هذه العلوم [4] فلاعجب اذا كان الطب في أوروبا تابعا من الناحية العلمية وتبدو جلية في قوائم الطب المطبوعة ، وفي مقدمتها شروح الجزء التاسع للرازى الذى ترجمه فيرارى دي غرادو من مدينة بافيا ، ونشر كتاب القانون لابن سيناء سنة ١٤٧٥ ، الذى ظهرت

---

(١) عبدالفتاح الغنيمي : الاسلام والثقافة العربية في أوروبا ، ص ٢٢٩
(٢) هونكه : شمس العرب تسطع على الغرب ، ص ٢٦٦ .
(٣) ر يسلر : الحضارة العربية ، ص ٢٠٧ .
(٤) وط : أثر الحضارة العربية ، ص ١٣٥ . اسيديو : تاريخ العرب العام ص ٤٤٥ _ ٤٤٩ .

منه الطبعة الثانية وطبع حتى عام ١٥٠٠ ست عشر طبعة [١]

وتبين الاحصاءات أن كمية الاستشهادات والاقتباسات من المؤلفات الطبية العربية الى اللغات الاوروبية زاد عددها على الثلاثة آلاف من ابن سينا ء ومن الرازى وجالينوس ألفاً لكل منهما . فالعلوم الطبية الاوروبية كانت في القرنين الخامس عشر والسادس عشر مجرد تطور بسيط للعلوم الطبية العربية [٢]

لقد كانت حركة الترجمة شاملة ، ولاأحسب كتابا ذا قيمة في الطب الا وقد ترجم ، فما بالك بالكتب الشهيرة ، فلاعجب اذا تخصص عدد من المترجمين بترجمة الكتب الطبية أمثال : قسطنتين الاغريقي وجيرارد الكرموني . واسطفان البيزاني الانطاكي الذى ترجم خلاصة كتاب على عباس [٣] وترجم بارافاكي كتاب التيسير للزهراوى سنه ١١٨١ وطبع عده طبعات [٤] .

وبينما كان العرب يمارسون الجراحة حتى الماء الأزرق في العين نجد أن مقررات الجراحة ممنوعة في الغرب لغاية عام ١١٦٣ ، وقد دخلت المناهج بعد أن أصبحت تراجم الكتب الطبية العربية وفيرة بين أيديهم ، وبعد خبرة عملية عن الطب الاسلامي بجانب التدريب العملي في المستشفيات ، فكانت المدارس العربية مراكز يقصدها طلبة العلم من كل أرجاء العالم [٥]

لقد نشطت حركة الترجمة والنقل في صقلية وأسبانيا بادىء الامر بحكم اتصال هذين البلدين بالعرب ، وتمرسهم بثقافاتهم وأفكارهم وأخذت هذه

---

(١) واط : أثر الحضارة العربية ص ١٣٥، اسيدبو : تاريخ العرب العام ص ٤٤٥-٤٤٩
(٢) وط : أثر الحضارة العربية ، ص ٩١ - ١٣٥
(٣) المرجع والصفحة ، ص ١٣١٠
(٤) خودابخش : حضارة الاسلام ، ص ١٤٧
(٥) خودابخش : حضارة الاسلام ، ص ١٤٩ .

الأفكار تتسرب الى أوروبا ، ابتداء من القرن الحادى عشر ، وتسابق الرجال من ذوى العقول النيرة الى بلرم وطليطلة لتعلم اللغة العربية ، ودراسة العلوم العربية ، ولم يظهر في أوروبا آنذاك كتاب واحد الا وقد ارتوت صفحاته بالينابيع العربية ، واستمد منها الوحي والالهام ، وظهرت منه بصمات الفكر العربي واضحة جلية من حيث المعنى أوالمضمون .[1]

استخدم العرب المنهج التجريبي في الكيمياء الذى يشبه من حيث الجوهر المنهج المعاصر وتقف مجموعة المؤلفات جابر بن حيان [2] المتوفي ١٩٨هـ/٨١٣م والتي تنقل لنا معلومات كثيرة في مجالات العلوم الكيماوية كعلم قائم على التجربة ، ويستخدم طرقا وأدوات مختلفة في معالجة المواد الكيماوية ،

تصف لنا هذه المجموعة طريقة الحصول على مواد مختلفة ، وطريقة تكريرها وتفكيرها والتي ترمز الى المواد الكيماوية والاواني المخبرية ، وقد انتقلت في مجموعة جابر هذه الى اللغات الاجنبية [3] .

وقد وصف الفيلسوف باكومه جابر بن حيان ، أول من علّم العالم الكيمياء [4] . ، وتعد المستشرقة زيغريد هونك أن الرازى أحد الاوائل الذين جعلوا من الكيمياء علما حيا [5] .

وقد توصل البيروني (توفى سنة ١٠٤٨م) الى قياس ومعرفة الوزن النوعي لكثير من المواد بدقه كبيرة .[6]

(١) مرحبا : المرجع فى تاريخ العلوم عند العرب ، ص ٥٧١ .
(٢) لجابر رسائل جمعها بول كراوس (مختارات) ونشرتها مكتبة الخانجي القاهرة سنة ١٩٣٥
(٣) وط : أثر الحضارة العربية ص ٩٣
(٤) فراج : فضل العلماء المسلمين ، ص ٥٣
(٥) هونكة : شمس العرب ، ص ٢٥١
(٦) وط : أثر الحضارة العربية ، ص ٩٣ .

ولعلم النبات اهتمام كبير عند العلماء العرب ، باعتباره تابعا لعلوم الطب والصيدلة ، فأغلب العقاقير المستعملة في العلاج تؤخذ من النباتات .

وقد وصف ابن سيناء في كتابه القانون (الجزء الثاني) دراسة النباتات ، ووصف اربعمائة نبات واعتمد في وصفه للنباتات على الطبيعة (١)

ويعد كتاب ابن البيطار (المتوفي سنة١٢٤٨م) مساهمة قيمة في علم الادوية والاغذية فقد وضع دراسات طويلة لأكثر من ١٥٠٠ عقار نباتي وحيواني ومعدني ، وكان منها (٣٠٠) عقارا جديدا ، وقد وضع كتابه " الجامع لمفردات الادوية والاغذية على طريقة المعجم ، وسجل أسماء الادوية به بسائر اللغات بحيث لايدع لاى تحريف .

وقد ترجم كتابه هذا الى اللاتينية والفرنسية والالمانية ، واعتمد عليه علماء الغرب وأخذوا عنه الكثير . (٢)

واشتهر داوود الايطالي بكتابه الضخم " تذكرة أولي الالبباب والجامع العجاب " فذكر مواطن النبات وزمان قطفه ، ووصف مئات النباتات وفائدة استعمالها .

وهناك عبداللطيف البغدادى المعاصر لصلاح الدين ، والقزويني صاحب كتاب " عجائب المخلوقات وغرائب الوجودات " الذى وصف النباتات والمحاصيل والخضروات ، وكذلك ابن سيده في كتابه المخصص " والادريسي والديتورى والغافقي والصوري ، الذين وصفوا آلاف النباتات ، وفائدتها . وقد ترجمت كتبهم الى أوروبا ..

ولابن العوام (أبوزكريا ، يحي محمد أحمد العوام عاش في أواخر القرن الثاني عشر الميلادى في أشبيليا) كتاب الفلاحة ، الذى تناول فيه ، اصلاح الاراضي

(١) عبدالفتاح الغنيمي : الاسلام والثقافة العربية في أوروبا ، ص ٢٢٤ .
(٢) فراج : فضل العلماء المسلمين ، ص ٦٣ . وط: ثر الحضارة العربية : ص ٩٤.

وغراسة الاشجار ، والحبوب ، وعلاج الارض ، والاسمدة وأثرها ، والمياه وتجهيز التربة ، ومعالجتها •

ولقد لفت المؤلف المذكور نظر علماء أوروبا ، وترجموا الكتاب في عصر ميكر ، فنشر سنة ١٨٠٢ (١)

وعرف العرب في الرياضيات الارقام الهندية (٣،٢،١) والارقام العربية (3،2،1) وأوجدوا طريقة الاحصاء العشرى ، وتوسعوا في بحوث النسبة العددية والهندسية والتأليفية •

والعرب هم أول من أطلق علم الجبر على العلم المعروف بهذا الاسم وسهم أخذ الافرنج ، وكان الخوارزمي أول من ألف فيه " الجبر والمقابلة " في عهد المأمون وعرفوا فيه المعادلات الجبرية ، وحلوا من المعادلات من الدرجة الثانية بطرق هندسية ، ووضعوا حلولا جبرية وهندسية لمعادلات ابتدعوها واستعملوا الرموز في المعادلات الرياضية ، فسبقوا بذلك ستيفن وديكارت وكذلك حلوا المعادلات الدرجة الثالثة ، وجمعوا بين الهندسة والجبر ، فهم واضعوا أسس الهندسة التحليلية ، ومهدوا لنشأة التكامل والتفاضل (٢) •

وعرف العلماء العرب الجذور الصماء ، وأول من استعملها الخوارزمي ومهدوا لاكتشاف اللوغاريتمات وعرف ابن حمزه ببحوثه في المتواليات العددية والهندسية ، ومهد لاكتشاف اللوغاريتمات ، ويعد علم المثلثات علما عربيا وكانت كتب العرب معينا لاينضب للغربيين أفاد منها كل من جوري وسارتون •

وتتجلى مؤلفات العرب الهندسية في التطبيقات العملية في شؤون حياتهم ، والنسبة بين محيط الدائرة الى قطرها المعروفة بالنسبة التقريبية (ط) (٣) •

(١) فراج : فضل علماء المسلمين ، ص ٦٨
(٢) عبدالحليم منتصر : تاريخ العلم ودور العلماء العرب ، ص ٤٩
(٣) منتصر : تاريخ العلم ، ص ٩٨

وقد أخذ العالم الايطالي جيرولامو كاردان (عاش في القرن السادس عشر) عن ثابت بن قره طريقته المبتكرة في حل المعادلات التكعيبية ومعادلات من الدرجة الثالثة (١)

وترجم جيرار الاسباني ماتوصل اليه جابر بن أفلح الاشبيلي المولد والقرطبي الوفاة (في النصف الثاني من القرن الثاني عشر) ماتوصل اليه في حساب المثلثات من أن جيوب المثلثات مناسبة لجيوب الاضلاع المقابلة لها ونشر ذلك في نورمبرج سنة ١٥٣٢م .

وترجم ابيليار الباثي الانجليزي الجنسية الفرنسي الثقافة جداول الخوارزمي ومبادىء اقليدس ، مما جعله من أشهر أنصار الروح العلمية (٢) .

ويعود فضل نقل العد العربي الى اللغات الاوروبية الى سنة ١٢٠٢ م على يد ليوناردو فيبونا تشبي البيزي الذى سهل العمليات الحسابية ووسع امكانية تطبيقها . (٣)

وفي نهاية القرن العاشر قام جربرت (الذى اعتلى كرسي البابوية باسم سلفستر الثاني بكتابة الارقام العربية للغرب ، فأخذ عن العرب ليفيد ويستفيد ويزيد من معارفه واطلاعه ، وكان لموقفه أ كبر الاثر في جذب العديد من الطلاب اليه لدراسة الرياضيات ، مما أدى الى بداية ربيع علمي مفعم بالحياة الرياضية . (٤)

لقد برهن العرب على تفوقهم في علم الرياضيات في العصور الوسطى بسبب استخدامهم العملي على نطاق واسع والى جانب الارقام دخلت كلمة

---

(١) سيديو : تلريخ العرب العام ، ص ٤١٥ .
فراج : فضل علماء المسلمين ، ص ٧٥
(٢) وط : أثر الحضارة العربية ، ص ١٢٦
(٣) المرجع نفسه ، ص ١٢٩ ، هونكه : شمس العرب ، ص ٨٧ ، ٩٢
(٤) هونكه : شمس العرب تسطع على الغرب ، ص ٧٨ ، ٧٩ .

الفر ، الذى علموه للغرب بجانب الارقام ، فهم مؤسسو علم الحساب الدارج وعلم الجبر والمثلثات ، وصاغوا أسس الهندسة التحليلية ٠

لقد كان وجود الخوارزمي والبيروني ، وابن قرة وغيرهم ضروريا ، لظهور جاليليو ونيوتن ، فلولا العلماء العرب لاضطر علماء الغرب أن يبدأوا من حيث بدأ علماء العرب ، ولم يكن العلماء العرب مجرد نقلة ، فقد شرحوا وحققوا وتفتحوا وأضافوا اضافات هامة تدل على الابداع والابتكار [1] ٠

وعالج ابن سينا ء الاحجام اللامتناهية حجما فيزيا ورياضيا . فحقق انتصارات فكرية كبرى ، وهي في الواقع التي أوصلت كلا من نيوتن ولايبنز في القرن السابع عشر الى وضع الحساب اللامتناهي [2]

خرجت بحوث العرب الفلكية من النظريات الداعية الى الرصد العلمي، لذلك قالوا باستدارة الارض ، وعملوا الازياج (الجداول الفلكية) وضبطوا الاسطرلاب (فقد اخترعه أبواسحق ابراهيم بن حبيب المتوفي سنة ٧٧٧ م)، وحققوا مواقع كثيرة من النجوم ، ورصدوا الاعتدالين والكواكب والنجوم والكسوف والخسوف ٠

ان تقدم علم الفلك عند العرب والمسلمون يعود لأمور دينية فأوقات الصلاة تختلف بحسب الموقع ومعرفة عرض الموقع الجغرافي ، وحركة الشمس في البروج وأحوال الشفق ، وهلال رمضان [3] ٠

ورأى العرب في علم الفلك علما رياضيا مبنيا على الرصد والحساب وعلى فروض تفرض لتعليل مايرى من الحركات والظواهر ٠

وابتكر العرب أجهزة وآلات وأدوات للرصد وقدموا جداول فلكيه ، كما وضعوا أسماء كثير من النجوم والكواكب والمصطلحات نقلها عنهم الافرنج ٠

وبرز في أسبانيا العربية عدد من علماء الفلك مثل : مسلمة المجريطي

(١) منتصر : تاريخ العلم ودور العلماء العرب ، ص ٨٨ ٠
(٢) هونكه : شمس العرب ، ص ١٦٢
(٣) منتصر : فضل علماء المسلمين ، ص ١٠١ ٠

(ت ١٠٠٧) وابن السامح وابن الصفار ، وقام بترجمة أبحاثهم : ابراهام خناسي. من برشلونة ، كما ترجم هوجو السانتاني (في القرن الثاني عشر الميلادى) مؤلفات العرب في الفلك والارصاد الجوية [١]

وتعرف الملك الفونس العاشر (ملك قشتالة) على الحضارة العربية الاسلامية ، وعمل على الافادة منها ، فأمر بترجمة كل ماوصلت اليه يديه من المخطوطات العربية الى المملكة القشتالية ، وأمر ببناء أكبر مملكة فلكية عرفها زمانه وحسب الاصول العربية ، واستعان بالعرب على تحقق مشروعاته وعول عليهم ، فاسدوا اليه النصح والارشاد في مجالات العلم ، وبخاصة فيما يتعلق بأمور السماء ومادار في فلكها من نجوم [٢]

وفي علم الجغرافيا ، تحدث " المسعودى " عن الرياح الموسمية في المحيط الهندى ، ومواعيد هبوبها ، وأثرها على الملاحة ، وعنوا بالجغرافية الاقتصادية والثروات المعدنية والانتاج الزراعي والمراعي ، والحياة الاجتماعية ومراكز الاستقرار البشرى وعلاقتها بما حولها ، كما أنهم عرفوا محيط الارض (خط الاستواء) منذ عهد المأمون وقد قام بذلك أولاد موسى بن شاكر [٣] .

وعمل الادريسي لروجر كرة أرضية من الفضة ، كانت أجمل ماابتدعته قريحة عربية ، رسم عليها العالم ببره وبحره وجباله وسهوله وأنهاره وبحيراته ومدنه وممالكه [٤] .

---

(١) وط : أثر الحضارة العربية ، ص ٨٧ .

(٢) هونكه : شمس العرب ، ص ١٣٧ .

(٣) الغنيمي : الاسلام والثقافة العربية في أوروبا ، ص ٢٣٦ . هونكه : شمس العرب ، ص ١١٩ .

(٤) محمد مرحبا : المرجع في تاريخ العلوم عند العرب ، ص ٦٧ . سيديو : تاريخ العرب العام ، ص ٤٣٢ . الغنيمي : الاسلام والثقافة العربية في أوروبا ص ٢٣٤ .

ولم تعرف أوروبا داخل افريقيا الا عن طريق الكاتابات العربية ، وظلت كتابتهم المرجع الوحيد حتى القرن التاسع عشر ، وقد وضع الحسن بن السوزان الذى عرف باسم ليو الافريقي كتابا وصف فيه افريقيا . [1]

واكتشف العرب أمريكا قبل كولمبس بعدة قرون ، والنقود الأندلسية التي وجدت على الشواطيء الاميركية خير شاهد على ذلك [2] ولو لم يطلع كولمبس على خرائط العرب التي شاعت في أوروبا لما تمكن من القيام برحلته . وأحمد بن ماجد الملاح هو الذى قاد فاسكوداجاما الى الهند .

فالعرب هم حلقة الوصل بين القديم والحديث ، فقد خططوا على مافي التراث الجغرافي القديم ، وأضافوا اليه مشاهداتهم ورحلاتهم مايجمع لديهم من المعرفة الجغرافية عن طريق الرحلات الواسعة كما فعل ابن رسته وابن بطوطة وابن جبير وغيرهم .

واستخدم العرب في عمارتهم العقود الصماء العربية الاصل في زخرفة الابواب والواجهات والمحاريب .

وكانت العقود الاسلامية أهمية كبيرة في عناصر العماره والزخرفة الاوروبية ، وظهرت آثار هذا التطور في فرنسا . وشمال أسبانيا ، وجنوب ايطاليا وقد اقتبست العمارة الاوروبية في القرنين الحادى عشر والثاني عشر فكرة النساب

(1) الغنيمي : الاسلام والثقافة العربية في أوروبا ، ص ٢٣٦ .
(2) ماجد : تاريخ الحضارة الاسلامية في أوروبا ، ص ٢٨٧ ، ٢٨٨ .
أحمد الملا : أثر العلماء المسلمين في الحضارة الاوروبية ، ص ١٧٤ ، ١٨٦ .

الوترية من الاندلس .

وكان للمآذن الاندلسية أثر بالغ على أبراج الكنائس الاسبانية والاوروبية سواء من حيث أشكالها المربعة القاعدة الشاهقة الارتفاع .

ولم تلبث الشرفات البارزة فوق البوابات ، أن تنتشر استعمالها في القصور والحصون الفرنسية والانجليزية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر [1] فالمباني المقتبسة عن جوهر العمارة الاسلامية كثيرة كالجامعات القديمة في انجلترا ، وفرنسا متأثرة بالفن المعماري العربي [2] .

فالعمارة الاوروبية مدينة للعرب بدين كبير من حيث تأثيرها الواضح في الاقتباسات التي أخذها الاوروبيون ، فقد أعجبوا بابتكارات العرب وعبقريتهم في العمارة وتصميمها .

ولايقل تأثر الاوروبيين بالعمارة عن تأثرهم بالزخرفة فقد أعجب الاوربيون بالتحف الاسلامية وأساليب صناعتها وزخرفتها ، ولعل أبرز مثال لذلك نابغة النهضة الاوروبية ليوناردو دافنشي الذي أقبل على دراسة الزخرفة الاسلامية اقبالا برهن على مدى الاهمية التي كانت الزخرفة تكسبه في ذلك العصر ، وقد أفاد دافنشي كثيرا من الزخارف الاسلامية [3].

(١) الغنيمي : الاسلام والثقافة العربية في أوروبا ، ص ٢٤٠ .

(٢) هونكة : شمس العرب تسطع على الغرب ، ص ٤٨٢ . ماجد : تاريخ الحضارة الاسلامية ، ص ٢٨٧ .

(٣) الغنيمي : الاسلام والثقافة العربية في أوروبا ، ص ٢٤١ .

تأصلت الفلسفة الاسلامية على أيدى الفلاسفة المسلمين أمثال الكندى ، والفارابي ، وابن سيناء والغزالي وابن رشد وغيرهم في الشرق والغرب وقد أثرت فلسفة العرب والمسلمين تأثيرا قويا على رجل الفلسفة الاوروبيين وكانت المدارس الاسلامية مصدر هام من مصادر تكوين العقل الاوروبي .

قدم الفكر الفلسفي العربي للاوروبيين مادة جديدة وفتح أمامهم آفاقا رحبة كاملة جديدة من الميترفيزيقا ، فالمؤلفات المترجمة من العربية كانت معروفة لكافة التيارات الفكر الاوروبي ، والتطور اللاحق للفلسفة الاوروبية يدين الى حد كبير للمؤلفين الفلاسفة العرب ، توما الاكويني انما هو مدين لابن رشد [1].

وقد اهتم فردريك الثاني الهوهنسوني كثيرا بالثقافة والفلسفة فترجم ميخيل سكوت مؤلفات أرسطو العلمية والفلسفية ، وشروح ابن رشد على هذه الكتب وكذلك مؤلفات ابن سيناء [2] .

وجذبت كل من طليطلة وبالرمو في القرنين الثاني عشر والثالث عشر أكبر عدد من المخطوطات ، ونظمت مجموعات من المترجمين والمحققين ، وحصلوا على كتب ابن رشد جميعها وقاموا بترجمتها من العربية ، وتأثرت الجامعات الاوروبية ماكان له تأثير على طريقة التفكير في أوروبا .

---

(١) وط : أثر الحضارة العربية . ص ١٤١ . هونكه : شمس العرب ، ص ٤٥٠

(٢) وط : أثر الحضارة العربية . ص ١٢٧ .

ان تأثير الفلاسفة العرب والمسلمين (الكندى ، والفارابي ، وابن سينا ء وابن طفيل ، وابن رشد)، قد تجاوز النطاق العربي الاسلامي ليمتد هذا التأثير على أوروبا فيؤدى الى عصر التنوير فالنهضة فيما بعد في ايطاليا وألمانيا وفرنسا ، وبرزت في انحاء أوروبا من خلال كونها متمثلة ومدافعة كثيرا أو قليلا للفكر الفلسفي الاسلامي وبخاصة الرشدية . (١)

وتأثير الادب العربي واضح في حياة شعراء أوروبا . نتيجة اتصال الفنانين اتصالا وثيقا بالحضارة العربية الاسلامية ، التي تأثرت به وأخذت عنه الشيء الكثير ، وعملت على ترجمته ، ففي القصة تأثرت تأثيرا قويا في القصص الاوروبي التي ظهرت فيما بعد ، ويعتبر التأثير مباشرا مما يفسر اقبال الاوروبيون على الاداب العربية نقلا وترجمة واقتباسا ، فقد ترجمت الى اللغة الايطالية والفرنسية والالمانية والانجليزية الروايات العربية مما تركت أثرها القوى في نفسية الشعوب الاوروبية .(٢)

واذا عدنا الى مظاهر الاداب العالمية نجد أن معظمها من أصل عربي اذ ترجمت كتب عديدة أشهرها : كليلة ودمنة ، والف ليلة وليلة، **رسالة الغفران** للمعرى فقد اعتمد عليها دانتي (١٢٦٥ - ١٣٢٠) في كتابة الكوميديا الالهية واعتمد بوكاشيو الايطالي (١٣١٣ - ١٣٧٥) في كتابه الديكاميرون على ألف ليلة وليلة ، وترفنتس الاسباني (١٥٤٧ - ١٦١٦) (الذى قضى جزء من حياته في الجزائر) اعتمد في كتابه دون كيشوت على وثائق عربية ، بل انها مملوءه بتعابير وأمثال عربية كثيرة ، وشكسبير تأثر بحكايات الشرق في روايته رومبو

(١) طيب تزني : مشروع رؤية للفكر العربي ، ص ٤٠٦ .

(٢) النفيمى : الاسلام والثقافة العربية في أوروبا ، ص ٢١٦ ، ٢٣٣ .

وجولييت ، وتشوسر (الشاعر الانجليزى) تأثر في قصصه بكليلة ودمنة ، وفولتير مدين لقصة ألف ليلة وليلة ، ولسورة الكهف ، وجوته (الشاعر الالماني) متأثر بالاسلام وله رأى في شعر العرب • وقصة روبنسن كروزو لدانويل ديفو مسروقة عن حي بن يقظان [1] • فقد ترجم لاول مرة الى اللاتينية سنة ١٦٧١ وفي السنة التالية لمعظم اللغات الاوروبية [2]

لقد أجمع الباحثون على أن الحضارة الغربية ، كانت أعظم حضارة شهدها العالم طوال العصور الوسطى ، وكان للعرب فضل عظيم في الميدان الحضاري ومنها الميدان الاوروبي بل على البشرية •

فالحضارة العربية الاسلامية أسهمت بنصيب وافر في تقدم أوربا خاصة والانسانية عامة ، ولاتزال وآثارها تنطق حتى الآن. [3]

ولم تستيقظ أوروبا من سباتها العميق الا على علوم العرب وآدابهم وآثارهم ، فحضارة العرب انما شعت في صقلية والاندلس ، ومنها انطلق الاشعاع الى كل أنحاء أوروبا • [4]

ان كل موجه علم أومعرفة في العصور الوسطى كان مصدرها البلدان الاسلامية ، وقد أوجد الاسلام في بلدان البحر المتوسط ، وضعا جديدا أدى الى

(١) عبدالمنعم ماجد : تاريخ الحضارة الاسلامية في العصور الوسطى ص ٢٨٤،٢٨٥
(٢) ريسلر : الحضارة العربية ، ص ٢٢٣ (ترجمة غنيم عبدون)
(٣) ماجد ، ص ٢٨٨ •
(٤) مرحبا : ص ٥٧ •

نقل مركز الثقل في الغرب من البحر المتوسط . ولم يبدأ ازدهار الغرب ونهضته الا حين بدأ احتكاكه بالعرب سياسيا وعلميا واقتصاديا ، واستيقظ الفكر الاوروبي على التراث العلمي والادبي والفني للعرب والذى دام قرونا ليصبح أكثر غنى وجمالا وأوفر صحة وسعادة . (1)

وقد ابتكرت عبقرية العرب الفذة الخلاقة آلات جديدة . فأرست حجر الاساس في صرح طريقتهم العلمية الصادقة في مراقبة الطبيعة من مراصدهم مما جعلهم يتوصلون الى نتائج مذهلة فاقت نتائج من سبقهم ، أضف الى ذلك نبوغهم في الرياضيات وشغفهم بحل المعضلات التي تمكنوا بواسطتها من ايجاد علوم جديدة وتطويرها (٢) .

ومن فضائل العرب الطبيعة ، فن استعمال التخدير . وهو فن عربي بحت لم يعرف قبلهم ، وكذلك معالجتهم للامراض العقلية بالافيون كما هو متبع حاليا (٣).

ان شوق العرب الى العلم قد حفزهم الى النهوض بمختلف فروع المعارف البشرية طلبا للحقيقة وحدها ، مما لايسعنا سوى الاعجاب المطلق بجهود العرب التي أدت الى بعث الاداب والفنون في أوروبا . (٤)

---

(١) زيغريد هونكة : شمس العرب تسطع على الغرب ، ص ٥٤١ .
(٢) هونكة : شمس العرب ، ص ١٢٦ ، ١٢٧ .
(٣) هونكة : شمس العرب تسطع على الغرب ، ص ٢٨٠ ، ٢٨١ .
(٤) سيديو : تاريخ العرب العام ، ص ٤٠٣ .

لقد أصبح للعلوم الاسلامية أثرها الكبير على الفكر الاوروبي حينما انتقل التعليم من الاديرة الى الجامعات ، ومنذ أن انتشرت العلوم الاسلامية وأثرت في الفكر الاوروبي .[1]

وأخيرا ، فأوروبا مدينة للعرب في الحقل العلمي [2] ، فلولا تراثهم العلمي والفكري والادبي ، لاحتاجت أوروبا الى سنوات طويلة من البحث والتجريب ، ولاينكر فضل العرب في نهضة أوروبا الا كل جاحد فالحضارة العربية هي المنارة التي أنارت الطريق أما ظلمات أوروبا ، وهي التي قادتهم بالتالي الى النهضة الحديثة .

---

(١) سيديو : المرجع نفسه ، ص ٤٠٣

(٢) خودانخش : حضارة الاسلام ، ص ١٥١ .

اهم المصادر والمراجع

أرسلان، شكيب : تاريخ غزوات العرب، القاهرة ١٣٥٢هـ .

الاصفهاني : الاغاني، ٢٤ مجلدا، دار الكتب .

البكري : جغرافية الاندلس وأوروبا (من كتاب المسالك والممالك) تحقيق، د. عبدالرحمن علي الحجي .
بيروت : دار الارشاد، ١٩٦٨ .

البلاذري : فتوح البلدان، تحقيق عبدالله، وعمر الطباع
بيروت : دار النشر للجامعيين ١٩٥٧ .

بارتولد : تاريخ الحضارة الاسلامية، ترجمة حمزة طاهر .
القاهرة : دار المعارف ١٩٤٢ .

ترمانيني، د. عبدالسلام : الزواج عند العرب في الجاهلية والاسلام .
الكويت، عالم المعرفة، عدد ٨ .

تيزيني، د. طيب : مشروع رؤية جديدة للفكر العربي في العصر الوسيط
دمشق : دار دمشق، ط ٥، ١٩٨١ .

الجاحظ ابو عثمان عمرو بن بحر (٥٠= ـ ٢٥٥ هـ) .
: رسائل الجاحظ، ج١، ج٢، في مجلد واحد، تحقيق وشرح عبدالسلام هارون .
القاهرة : مكتبة الخانجي، ١٩٦٤ .
: التاج في أخلاق الملوك : تحقيق فوزي عطوي
بيروت : الشركة اللبنانية للكتاب ١٩٧٠ .

جدعان، د. فهمي : نظرية التراث، دراسات عربية والاسلامية اخرى
عمان : دار الشروق، ط ١٩٨٧ .

جرونيبام ، جوستاف : حضارة الاسلام ، ترجمة عبد العزيز جاويد .
القاهرة ١٩٥٦ .

حداد ، د . جورج : المدخل الى تاريخ الحضارة .
دمشق : مطبعة جامعة دمشق ١٩٥٨ .

الحوفي د . احمد محمد : تيارات ثقافية بين العرب والفرس .
القاهرة : دار نهضة مصر ، طبعة ٣ ، ١٩٧٨ .

حوى ، سعيد : الله
بيروت : دار الكتب العلمية ، ط٣ ، ١٩٧٩ .

الخربوطلي د . علي حسني
: تاريخ الحضارة الاسلامية .
القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٦٢ .

خودا بخش ، صلاح الدين : حضارة الاسلام ، ترجمة علي حسني الخربوطلي .
بيروت : دار الثقافة ، ١٩٧١ .

ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد
المقدمة / عدة طبعات .

ابن خلكان ، شمس الدين احمد بن محمد (ت ٦٨١هـ / ١٢٨١م) .
وفيات الاعيان / تحقيق د . احسان عباس .
بيروت : دار صادر ١٩٦٩ ، ١٩٧٠ .

الخطيب ، عمر عودة : لمحات في الثقافة الاسلامية .
بيروت : مؤسسة الرسالة ط٧ . ١٩٨١ .

ريسلز ، جاك ، س : الحضارة العربية (ترجمة غنيم عبدون) .
القاهرة : الدار المصرية للتأليف والترجمة

الرفاعي أنور : النظم الاسلامية
بيروت : دار الفكر ١٩٧٣ .

الرافعي د. مصطفى : حضارة العرب
بيروت : دار الكتاب اللبناني.

الريس د. محمد ضياء الدين
: النظريات السياسية الاسلامية .
القاهرة : دار المعارف ، ط٤ ، ١٩٦٧ .
: الخراج والنظم المالية للدولة الاسلامية
القاهرة : دار الانصار ط٤ ١٩٧٧ .

الزين سميع عاطف : معالم الثقافة الاسلامية
بيروت : دار الكتاب اللبناني ط ٥ ، ١٩٧٨ .

سالم د. السيد عبدالعزيز
: دراسات في تاريخ العرب ، ٣ اجزاء .
الاسكندرية : مؤسسة الثقافة الجامعية ، ١٣٩٨هـ

سيديو : تاريخ العرب العام (ترجمة عادل زعيتر) .
القاهرة : دار احياء الكتب العربية الكتب العربية ١٩٤٨ .

سعد، فهمي عبدالرزاق : العامة في بغداد في القرنين الثالث والرابع الهجري
بيروت : المكتبة الاهلية ، ١٩٨٣ .

سرور ، د. محمد جمال : تاريخ الحضارة الاسلامية في الشرق .
القاهرة : دار الفكر العربي ، ١٩٧٦ .

السامرعد، فيصل : الاصول التاريخية للحضارة الاسلامية في الشرق الاقصى
بغداد : وزارة الثقافة ، ط٢ ، ١٩٨٦ .

الشريف ، د. أحمد ابراهيم دراسات في الحضارة الاسلامية
القاهرة : دار الفكر العربي ، ط٢ ، ١٩٨١ .

شلبي ، ابو زيد : تاريخ الحضارة الاسلامية والفكر الاسلامي .
القاهرة : مكتبة وهبة ، ١٩٦٤ .

الشرقاوي، د.عفت : في فلسفة الحضارة الاسلامية
بيروت : دار النهضة العربية ، ط٣ ، ١٩٨١ .

الشكعة، د.مصطفى : معالم الحضارة الاسلامية
بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٧٣ .

الشابشتي، ابو الحسن علي بن محمد (ت ٣٨٨ هـ / ٩٩٨م) .
: الديارات ، تحقيق كوركيس عواد .
بغداد مكتبة المثنى ، ط٢ ، ١٩٦٦ .

شفيتسر ، البرت : فلسفة الحضارة (ترجمة د. عبدالرحمن بدوى).
القاهرة : وزارة الثقافة ١٩٦٣ .

الشرقاوي،عبدالحميد : الحياة الاقتصادية في الاندلس في القرن الرابع الهجرى
جامعة القاهرة ١٩٥٠ .

صبحي د. أحمد محمود : في فلسفة الحضارة
الاسكندرية : مؤسسة الثقافية ، بلا .

الصالح د.صبحي : النظم الاسلامية
بيروت : دار العلم للملايين، ١٩٦٥ .

عاشور، محمد الطاهر : اصول النظام الاجتماعي في الاسلام
تونس : الشركة العربية للكتاب ١٩٧٩ ٠

علي محمد كرد : الاسلام والحضارة العربية جزءآن ٠
القاهرة : لجنة التأليف والنشر ، ط٣ ، ١٩٦٨ ٠

العبادي، د٠ احمد مختار : في تاريخ المغرب والاندلس ٠
الاسكندرية : مؤسسة الثقافة الجامعية ، بلا

العبيدي، صلاح حسين : الملابس العربية الاسلامية في العصر العباسي من المصادر
التاريخية والاثرية ٠
بغداد : وزارة الثقافة ، ١٩٨٠ ٠

عثمان، د٠عبدالكريم : معالم الثقافة الاسلامية ٠
بيروت : مؤسسة الثقافة ١٩٨٢ ٠

الغنيمي، عبدالفتاح مقلد: الاسلام والثقافة العربية في اوروبا ٠
القاهرة : عالم الكتب ، ١٩٧٩ ٠

فهمي د٠عبدالرحمن : دراسة لبعض التحف الاسلامية / حولية كلية الاداب ٠
جامعة القاهرة ، مجلد ٢٢ العدد ١ ، ١٩٦٠ ٠

فروخ، د٠ عمر : تاريخ الفكر العربي
بيروت : دار العلم للملايين ط٣ ، ١٩٨١ ٠

ابو فارس ، د٠ محمد عبد القادر
: النظام السياسي في الاسلام ٠
عمان : دار الفرقان ١٩٨٠ ٠

الفراء، ابو يعلى : الاحكام السلطانية ، تحقيق محمد حامد الفقي
بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٩٨٣ .

فراج، د. عزالدين : فضل علماء المسلمين على الحضارة الاوروبية .
القاهرة :× دار الفكر العربية ، ١٩٧٨ .

كامل، د. محمود : الاسلام والعروبة، الهيئة المصرية العامة ١٩٧٦ .

لوبون، غوستاف : حضارة العرب (ترجمة عادل زعيتر) .
القاهرة : البابي الحلبي ١٩٤٨ .

لويس، ارشيبالد : القوى البحرية في البحر المتوسط "(ترجمة احمد محمد عيسى) .
القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٠ .

محمود، د. فهمي حسن : المسلمون في الاندلس وعلاقاتهم بالفرنجة .
القاهرة : دار الفكر العربي ، ١٩٨٦ .

مؤنس، د. حسين : المسلمون في حوض البحر المتوسط (المجلة التاريخية ، المجلد الرابع ١٩٥١ ..

الماوردي : الاحكام السلطانية
بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٩٧٨ .

معروف، د. ناجي : اصالة الحضارة العربية
بيروت : ادر الثقافة ، ط٣ ، ١٩٧٥ .

ماجد، د. عبدالمنعم : تاريخ الحضارة الاسلامية في العصور الوسطى
القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية ، ط٤ ، ١٩٧٨ .

الملا احمد علي : اثر العلماء المسلمين فى الحضارة الاوروبيــة
دمشق : دار الفكر ، ط٢ ، ١٩٨١ .

معتز ، آدم : الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى .
ترجمة محمد عبدالهادى ابو ريــدة .
بيروت : دار الكتاب العربى ، ط٤ ، ١٩٦٧ .

مرحبا ، محمد عبدالرحمن : المرجع في تاريخ العلوم عند العرب
بيروت : دار الفيحاء ، ١٩٧٨ .

المبارك محمد : نظام الاسلام / الاقتصاد
بيروت : دار الفكر ، ط٣ ، ١٩٨١ .
: العقيدة والعبادة
بيروت : دار الفكر ، ط٤ ، ١٩٧٥ .

المصري ، د . حسين مجيب : صـلات بين العرب والفرس والترك
القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية ١٩٧١ .

نداء د . طه : فصول من تاريخ الحضارة الاسلامية
بيروت : دار النهضة العربية ، ١٩٧٦ .

الناطور ، د . شحادة : التفاعلات الحضارية في عهد بني امية . دراسة التفاعلات
الاجتماعية والاقتصادية والثقافية / رسالة دكتوراة ١٩٨٢ .

هونكة ، زيغريد : شمس العرب تسطع على الغرب (ترجمة فاروق بيضون كمال
دسوقي . بيروت : المكتب التجاري ، ١٩٦٤ .

وط مونتغمرى : اثر الحضارة العربية الاسلامية على اوروبا ترجمة جاســر
ابي جابر . دمشق : وزارة الثقافة ، ١٩٨١ .

ياقوت : معجم البلــدان
بيروت : دار احياء التراث ١٩٨٠ .

الفهـــرس

الموضــوع	رقم الصفحــة

موافقة دائرة المطبوعات والنشر

رقم الاجازة المتسلسل ١٩٨٩/٢/٩٢

رقم الايداع لدى مديرية المكتبات والوثائق الوطنية

١٩٨٩/٢/٩٦



دار الأمـــل

Al - Amel Bookshop

ص.ب ٤٦٩ ـ تلفون ٢٧٦١٧٤

شارع شفيق الرشيدات

اربد ـ الاردن

وإذا ما ازددت علماً زادني علماً بجهلي